

کتابخانه مصنف سید علی حسینی آبادی

۲۵۲۵

~~مجلد~~

نمبر دجله

نخب الملیح

قسم ثالث

نسخ دجله

نام کتاب

محاضرات

فصل کتاب

۱۰۴

نمبر کتاب فن مذکور



مَخْرَجُ الْمَلْحِ

جميعها الا ب يوحنا بلو ولا ب اغوستينوس
من الرتبة السبعة

الجزء الاول

القسم الثاني

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى فُصُولٍ جُغْرَافِيَّةٍ



طبع رابعة في مطبعة المرسلين السوحيين

في بيروت ١٨٨٤

| | |
|------|-----------|
| ۲۵۲۵ | رقم |
| ۲۰ | فقرت نمبر |
| ۴۱۵۴ | کتاب نمبر |

تَحْفِظَةُ

مِنْ كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْمُخْبَرِ فِي آيَامِ الْعَرَبِ وَالْبُرْجَرِ

وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ دَوِي السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ

لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُونِ الْمُحَضَّرِ



بِمَنْ الْمَقْدِمَةِ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ
وَتَحْفِظِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِهَا بَعْرُضُ لِلْمُؤَرِّخِينَ
مِنْ الْمَغَالِطِ وَالْأَوْهَامِ وَذَكَرَ قِيَمَتِي مِنْ أَسْبَابِهَا

يُؤَلِّمُ أَنْ قَدْ التَّارِيخُ قَدْ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ الْعَائِدَةِ إِذْ
هُوَ يُقِنُّنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرَتِهِمْ
يَا الْمَلُوكَ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى نَعْلَمَ فَائِدَةَ الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ دَرُومُهُ
فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْأَدْنِيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً
وَحُسْنَ نَظَرٍ وَتَثَبُّتٍ بِفَضِيحَانِ بِصَاحِبَيْهَا إِلَى الْحَقِّ وَبَيْنَكِبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَاتِ
وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا مَجَرَّدُ النُّقْلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ
وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَاءِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا
فِي سَرَ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْمُحَاضِرِ بِالدَّاهِبِ قُرْبَهَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا مِنْ
الْعُثُورِ وَمَزَلَةِ الْقَدَمِ وَالْخُدَعِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ
وَالْمُفَسِّرِينَ وَأَثَرَةُ النُّقْلِ الْمَغَالِطِ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى
مَجَرَّدِ النُّقْلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا لَمْ يَبْعُرْضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَقَاسُوهَا بِأَسْبَابِهَا وَلَا

سَبَرُوا بِمَعَارِ الْمَحْكَمَةِ وَالْوُفُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ
وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ الْوَهْمِ وَالْغُلْطِ
سَبَّحًا فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْمَحْكَمَاتِ
إِذْ هِيَ مَطْنَةُ الْكَذِبِ وَمَطْبَةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا
عَلَى النَّوَاعِدِ

وَمِنَ الْمَحْكَمَاتِ الْمَدْخُولَةِ لِلْمُورِخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ
الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِيَةِ أَخِيهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ بَيْهَمِي بْنِ خَالِدِ
مَوْلَاهُ وَإِنَّمَا نَكَبَ الْبَرَامِكَةُ مَا كَانَ مِنْ أَسْبَدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَأَخْبَانِهِ
أَمْوَالِ الْأَجْبَايَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْبَيْسَرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَبْصُلُ إِلَيْهِ
فَغَلَبَهُ عَلَى أَمْرِ وَشَرِّكَوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ
مُلْكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعْدَ صِينِهِمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخِطَطُهَا
بِالرُّؤَسَاءِ مِنْ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَخْذُوا رِوَاغَهُمْ مِنْ زِرَارَةٍ وَكُتَابَةٍ
وَفِيَادَةٍ وَحِجَابَةٍ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ بِقَالٍ إِنَّهُ كَانَ يَدَارِ الرَّشِيدِ مِنْ وَلَدِ بَيْهَمِي
بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ
زَاخُوا فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ بِالْمَنَازِكِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِيَكُنَ أَيُّوْمُهُمْ
مِنْ كَمَالِهِ هُرُونَ وَلِيَّ عَهْدٍ وَخَلِيفَةٍ حَتَّى شَبَّ فِي حُجُوعٍ وَخَرَجَ مِنْ عِشْرِ
وَعَلَيْهِ عَلَى أَمْرِ وَكَانَ يَدْعُوهُ بِأَبْتٍ. فَتَوَجَّهَ الْإِمَارَ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ
وَعَظُمَتْ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَانْبَسَطَ انْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَانْصَرَفَتْ نَحْوُهُمُ الْوُجُوهُ
وَحَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَقُصِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَنَحَطَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَقْصَى
النُّحُومِ هَذَا يَا الْمُلُوكَ وَنَحَفُ الْأُمَرَاءَ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ

التَّزَلُّفِ وَالْإِسْنَاءَ أَمْوَالُ الْإِحْبَابِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْبَةِ وَعُظْمَاءَ
 الْقَرَابَةِ الْعَطَاءَ وَطَوَّقُوهُمْ الْهِنَ وَكَسَبُوا مِنْ بَيِّنَاتِ الْأَشْرَافِ الْمَعْدِمَ
 وَفَكُّوا الْعَانِي وَمُدَّحُوا بِمَا لَمْ يُمْدَحْ بِهِ خَلِيفَتُهُمْ وَأَسَنُوا لِعَفَاتِهِمُ الْجَوَازَ
 وَالصَّلَاتِ وَأَسَنُوا عَلَى الْفَرَى وَالضَّبَاعِ مِنَ الصَّوَابِ وَالْأَمْصَارِ فِي
 سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَتَوْا الْبَطَانَ وَأَخَذُوا الْخَاصَّةَ وَأَعْصَا أَهْلَ الْوِلَايَةِ
 فَكَشِفَتْ لَهُمْ وَجُوهُ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مَهَادِهِمُ الْوَيْبُ مِنَ
 الدَّوْلَةِ عَقَابُ السَّعَايَةِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ بَنُو قُحْطَبَةَ أَخْوَالُ جَعْفَرٍ مِنْ أَكْثَرِ
 السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِهِمْ لِمَا وَفَّرَ فِي نَفْسِهِمْ مِنَ التَّحْسِدِ عَوَاطِفُ الرَّحِمِ
 وَلَا وَزَعَتُهُمْ أَوَاصِرُ الْقَرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ تَخَذُلِهِمْ نَوَاشِئُ الْغَبَرِ
 وَالْإِسْنِغَاكِفِ مِنَ الْحَجَرِ وَالْآفَةِ وَكَامِنُ الْخُفُودِ الَّتِي بَعَثَهَا مِنْهُمْ صَغَائِرُ
 الدَّالَةِ وَانْتَهَى بِهَا الْإِضْرَارُ عَلَى شَاغِرِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْخَالَفَةِ كَيْفَصْنِهِمْ فِي بَيْتِ
 بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي الْمَهْدِيِّ
 الْمَلِكِ بِالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْخَارِجِ عَلَى الْمَنُصُورِ وَبَيْتِهِ هَذَا هُوَ الذَّبَابُ
 اسْتَنَزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَيْتٍ مِنْ بِلَادِ الدَّبَلِ عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِحُطْبِهِ وَبَدَلَ
 لَهُ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَقَّعَهُ الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ
 وَجَعَلَ أَعْيُنَ قَالِهِ يَدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ فَحَبَسَهُ مَدَّةً ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّالَةُ عَلَى تَخْلِيَةِ
 سَبِيلِهِ وَالْإِسْنِيدَادِ بِحُلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِذِمَّتِهِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَةُ عَلَى
 السُّلْطَانِ فِي حُكْمِهِ وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَهَا وَثَقِي بِهِ إِلَيْهِ فَظَنَ وَقَالَ
 أَطْلَقْتُهُ فَأَبْدَى لَهُ وَجْهَ الْإِسْتِحْسَانِ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ

فَأَوَجَدَ السَّبِيلَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ حَتَّى نُلَّ عَرْشُهُمْ وَكُفِّتْ عَلَيْهِمُ

مَأْوَاهُمْ وَخُسِفَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ وَبَدَارَهُمْ وَذَهَبَتْ سَلَكُنَا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ
 أَبَائِهِمْ. وَمَنْ تَأَمَّلَ أَخْبَارَهُمْ وَأَسْتَقْصَى سِيرَ الدُّوَلَةِ وَسِيرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ
 مُحَقَّقَ الْأَثَرِ مُبْهَدَ الْأَسْبَابِ. وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مُفَاضَةٍ
 الرَّشِيدِ عَمَّ جَدِّهِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ فِي شَأْنِ نَكْبَتِهِمْ مَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الشُّعْرَاءِ
 مِنْ كِتَابِ الْعِفَادَةِ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَصْحَابِ لِلرَّشِيدِ وَالْفَضْلِ بْنِ بَيْحٍ فِي سِرِّهِمْ
 فَتَفْهَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الْغَبْرَةُ وَالْمُنَافَسَةُ فِي الْأَسْتِزَادَةِ مِنَ الْخَلِيفَةِ فَهِيَ خَوْنَةٌ
 وَكَذَلِكَ مَا تَحْتَمِلُ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الْبِطَانَةِ فِيمَا دَسَّوهُ لِلْمُغْنِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ.
 أَحْيَا لَا عَلَى إِسْمَاعِيلِ الْخَلِيفَةِ وَتَحْرِيكِ حَفَائِظِهِ لَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ شِعْرٌ

لَيْتَ هَذَا أَمْجَزُ نَمَاتٍ تَعْدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مَا يَحْجُزُ

وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ

وَأَنَّ الرَّشِيدَ لَهَا سَمِعَهَا قَالَ إِي وَاللَّهِ عَاجِزٌ حَتَّى بَعَثُوا بِأَمثالِ هَذِهِ كَالْبَيْنِ
 غَيْرَ تَبَوَّسَ لَهَا عَلَيْهِمْ نَاسٌ أَنْتَقَمِيهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلْبَةِ الرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ
 وَأَمَّا مَا تَهْوِي بِهِ إِلَيْكَ كِتَابَةٌ مِنْ مُعَاوَرَةِ الرَّشِيدِ الْأَخْمَرِ وَأَقْدَرَانِ سَمْعِيهِ
 بِسُكْرِ الْتَذَمُّنِ فَحَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ
 الرَّشِيدِ وَفِيَاكِهِ بِهَا يَجِبُ بِمَنْصِبِ الْخِلَافَةِ مِنَ الدِّينِ وَالْعَدَالَةِ وَمَا كَانَ
 عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَمُحَاوَرَتِهِ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَّاضٍ وَأَبْنِ
 السَّمَكِ وَالْعَبْرِيِّ وَمُكَاتَبَتِهِ سُبْحَانَ وَبُكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ وَدُعَائِهِ بِمَكَّةَ
 فِي طَوَافِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَوْفَاتِ الصَّلَوَاتِ
 وَشُهُودِ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فِي وَفْقِهَا

حَكِي الطَّبْرِيِّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ نَافِلَةٍ وَكَانَ

يَغْزُو عَالَمًا وَيُخْرِجُ عَالَمًا. وَلَقَدْ زَجَرَ ابْنَ أَبِي مَرْزَمٍ مُضْحِكُهُ وَسَمِيحُهُ حِينَ تَعَرَّضَ
لَهُ بِمَنْزِلِ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ لَهَا سَمِعَهُ يَقْرَأُ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي.
قَالَ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ لِي. فَأَتَمَّا لَكَ الرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ. ثُمَّ أَلْتَمَسَ إِلَيْهِ مُغَضِّبًا
وَقَالَ يَا ابْنَ أَبِي مَرْزَمٍ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا إِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالَّذِينَ
وَلَكَ مَا فُتِنْتَ بَعْدَهَا

وَأَيْضًا قَدْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسَّادَةِ بِمَكَانٍ لِقُرْبِ عَهْدِهِ مِنْ سَلَفِهِ
الْمُتَحَلِّينَ لِذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَدِّ أَبِي جَعْفَرٍ بَعِيدُ زَمَنِ إِثْمًا
خَلْفَهُ غُلَامًا. وَقَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ بِمَكَانٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ قَبْلَ الْخِلَافَةِ
وَبَعْدَهَا وَهُوَ الْقَائِلُ لِمَالِكٍ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيفِ الْمُوطَّأِ يَا أَبَا عَبْدِ
اللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ
فَضَعِ أَنْتَ لِلنَّاسِ كِتَابًا يَتَّبِعُونَ بِهِ تَجَنَّبُ فِيهِ رَخَصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَائِدَ
أَبِي عُمَرَ. وَوُطِّئَهُ لِلنَّاسِ تَوَاطُؤُهُ: قَالَ مَالِكٌ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْنِي التَّنْصِيفَ
يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَذْرَكُهُ أَبْنَةُ الْمُهْدِيِّ أَبُو الرَّشِيدِ هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كِسْوَةِ
الْمُجْدِيدِ لِإِعْيَالِهِ مِنْ ثِيَابِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ يَحْلِسُهُ بِبَاشِرِ
الْمُحْبَاطِينَ فِي لِمَازِقِ الْخُلَفَاءِ مِنْ ثِيَابِ إِعْيَالِهِ. فَاسْتَنْكَفَ الْمُهْدِيُّ مِنَ
ذَلِكَ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ كِسْوَةُ هَذِهِ الْإِعْيَالِ عَامِنًا هَذَا مِنْ
عَطَائِي فَقَالَ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ يَصُدَّ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ أَمْوَالِ
الْمُسْلِمِينَ

فَكُفِّ بِإِلْقَى بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأُورِيهِ وَمَا رَهِ
عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْخُلَفَاءِ بِهَا أَنْ يُعَاقِرَ فِي الْخَمْرِ أَوْ

تجَاهِرِهَا. وَقَدْ كَانَتْ حَالُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي اجْتِنَابِ
 الْخَمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ تُكُنِ الْكُرْمُ تُجَرَّتُهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَذْمُومَةً عِنْدَ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ
 وَالصَّغِيرِ وَالرَّشِيدُ وَآبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَبَعٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ
 وَدُنْيَاهُمْ وَالْخَلْقُ بِالْحَمِيدِ وَلَوْ صَافِ الْكَمَالِ وَتَزَعَّتِ الْعَرَبُ. وَأَنْظَرْنَا
 نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالسُّعُودِيُّ فِي قِصَّةِ جِبْرِئِيلَ بْنِ بَجْنِشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ
 أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَمَجَّاهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى
 مَنْزِلِهِ وَقَطِنَ الرَّشِيدُ وَارْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى عَابَنَهُ بِشَاوِلِهِ. فَأَعَدَّ
 ابْنُ بَجْنِشُوعَ لِلْإِعْذَارِ ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَفْدَاجٍ خَلَطَ
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَامِجَ بِالتُّوَابِلِ وَالبُّغُولِ وَالبُّوَارِدِ وَالمُحْلَوَّاءِ. وَصَبَّ
 عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُتَلَجًا. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ خَرَا صِرْفًا. وَقَالَ فِي الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ:
 هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خُلِطَ السَّمَكُ بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يُخْلَطْ. وَقَالَ فِي
 الثَّلَاثَةِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَجْنِشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ حَتَّى إِذَا أَتَتْهُ
 الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَ التَّلَوِيحَ أَحْضَرَ الْأَفْدَاجَ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخَمْرِ قَدْ اخْتَلَطَ
 وَأَمَاعَ وَتَفَتَّتَ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدَا وَتَغَيَّرَتْ رَاحَتُهُمَا

فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ مَعْذِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالُ الرَّشِيدِ فِي
 اجْتِنَابِ الْخَمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ. وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ
 أَنَّهُ عَهْدَ بَجْنِشِ أَبِي نَوَاسٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ أَهْمَاكِهِ فِي الْمَعَاقِفِ حَتَّى تَابَ وَأَفْلَحَ.
 وَلَمَّا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نَبِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَقَتَاوِيهِمْ فِيهَا
 مَعْرُوفَةٌ. وَأَمَّا الْخَمْرُ الصَّرْفُ مِنَ الْعَنْبِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى أَهْمَاكِهِمْ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ
 الْأَخْبَارِ الْوَاهِبَةِ فِيهَا. فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَحْبَثُ بِمَوَاقِعِ مُحَرَّمًا مِنَ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ

عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ. وَلَقَدْ كَانَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ يَخَافُونَ مِنْ حِنْثِ السَّرَفِ
وَالزَّرَفِ فِي مَلَاسِيهِمْ وَزِيَّاتِهِمْ وَسَائِرِ مَتَنَالِهِمْ لَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةٍ
الْبِدَاةِ وَسَدَاجَةِ الذِّهْنِ الَّتِي لَمْ يَفَارِقُوهَا بَعْدُ. فَمَا ظَنُّكَ بِمَا يَخْرُجُ عَنِ
الْإِبَالَةِ إِلَى الْحَظَرِ وَعَنِ الْحِلْيَةِ إِلَى الْحَرَمَةِ. وَلَقَدْ أَتَقَفَ الْمَوْرُخُونَ
الطَّبَرِيُّ وَالسُّعُودِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَلَى أَنْ جَمَعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ
وَبَنِي الْعَبَّاسِ إِذَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِأَحْلِيَةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ
وَالسُّوْفِ وَاللَّحْمِ وَالسُّرُوجِ وَلَنْ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحَدَتْ الرُّكُوبَ بِحِلْيَةِ الذَّهَبِ
هُوَ الْمُعْتَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ
أَيْضًا فِي مَلَاسِيهِمْ. فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَبَيِّنْ ذَلِكَ بِأَمٍّ مِنْ هَذَا إِذَا
فَهَمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوَلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاةِ وَالنَّظَاطَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي مَسَائِلِ
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وَيُنَاسِبُ هَذَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً عَنْ بَحْتِي بْنِ أَكْثَمٍ قَاضِي
الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَلَنْ كَانَ يُعَافِرُ الْمَأْمُونُ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ سَكَّرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِيهِ
فَذَفِنَ فِي الرَّحْمَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَنَشِدُونَهُ عَلَى لِسَانِهِ

بِأَسَدِيهِ وَأَمِيرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْتَفِينِي
لِي غَفَلْتُ عَنِ السَّاقِي قَصِيرِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالذِّهْنِ
وَحَالُ ابْنِ أَكْثَمٍ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَاهُمُ إِذَا
كَانَ النَّبِيدُ وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ. وَأَمَّا السُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ
وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِذَا كَانَ خُلَّةً فِي الدِّينِ. وَلَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ
فِي اللَّيْلِ وَيُنْقَلُ مِنْ فَضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحَسَنِ عِشْرَتِهِ أَنَّهُ أَتَتْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ

فَقَامَ يَجْسُسُ وَيَتَجَسَّسُ الْإِنَانَةَ خَافَةً أَنْ يُوقِظَ بَيْتَهُ بَنُ الْكُفْرِ وَتَبَتَ أَنَّهَا
كَانَا بَصِلِيَانِ الصَّنِيعِ جَمِيعًا. فَأَمِنَ هَذَانِ الْمَعَاقِرُ. وَأَيُّضًا بَيْتَهُ بَنُ الْكُفْرِ
كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَقَدْ أَتَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْقَاضِي
إِسْمَاعِيلُ وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِهِ الْجَمَاعِ. وَذَكَرَ الْحَافِظُ الْمُرْتَضَى أَنَّ
الْجَارِيَّ رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَمَاعِ. قَالَ قَدْ خُذَ فِي جَمِيعِهِمْ
وَكَذَلِكَ نَبَرَةُ الْجَبَانِ بِالْمَلِكِ إِلَى الْعِلْمَانِ يَهْتَانَا عَلَى اللَّهِ وَفِرْيَةٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ
وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقَصَاصِ الرَّاهِيَةِ الَّتِي لِعُلَمَائِهِمْ أَفْتَرَاهُ
أَعْدَائِهِ. فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسِنًا فِي كَمَالِهِ وَخُلُقِهِ لِلسُّلْطَانِ وَكَانَ مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ
وَالدِّينِ مَنَزَهَا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذُكِرَ لِأَبْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ النَّاسُ
فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا
وَأَتَى عَلَيْهِ. وَقِيلَ لِإِسْمَاعِيلَ مَا كَانَ يَقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ
عَدَالَةُ مِثْلِهِ بِتَكْذُوبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ كَانَ بَيْتَهُ بَنُ الْكُفْرِ أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ
مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعِلْمَانِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَؤْفُ
عَلَى سَرَائِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ لِلَّهِ لَكِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خُلُقٍ
فَرَمَى بِهَا رُمِي بِهِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الْفِتَنِ وَقَالَ لَا يُشْغَلُ بِمَا يُجْحَى
عَنْهُ لِأَنَّهُ أَكْثَرُهَا لَا تَصُحُّ عَنْهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ صَاحِبُ الْعَقْدِ مِنْ
حَدِيثِ الزُّنَيْلِ فِي سَبَبِ إِضْهَارِ الْهَامُونَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ
بُورَانَ..... وَأَمِنَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْهَامُونَ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ وَعَلَيْهِ
وَأَفْتِنَاتِهِ سَنَنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخِيهِ يَسِيرِ الْخُلَفَاءِ

الْأَرْبَعَةُ أَرْكَانُ الْعِلْمِ وَمُنَاطَرَتُهُ لِلْعُلَمَاءِ وَحِفْظُهُ لِلْحُدُودِ فِي حُدُودِهِ
وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ عَنْهُ أَحْوَالُ النَّسَاقِ الْمُشْهَرِينَ فِي النُّطُوفِ بِاللَّيْلِ
وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشْيَانِ السَّمَرِ سَبِيلِ عُشَّاقِ الْأَعْرَابِ وَأَيُّ ذَلِكَ
مِنْ مَنْصِبِ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ بِدَارِ أَبِيهَا مِنَ الصُّونِ
وَالْعَنَافِ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُرُخِّينَ مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ
عَلَى وَضْعِهَا وَالتَّحْدِيثِ بِهَا الْإِنْمَاكَ فِي اللَّذَاتِ النَّحْرَمَةِ وَهَتِكَ فِتْنَاعِ
الْمُرُوقَاتِ وَبَعْلُولُونَ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ
كَثِيرًا مَا يَلْتَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَتَفَرَّغُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَفُّهِمْ لِأَوْرَاقِ
الدَّوَابِّ وَلَوْ أَتَمَّسُوا بِهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ الْإِلَاقَةِ
بِهِمِ الْمُنْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَذَلْتُ يَوْمًا
بَعْضَ الْأُمَرَاءِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ يَتَعَلَّمُ الْفَنَاءَ وَوُلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ
وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِكَ. فَقَالَ لِي أَفَلَا تَرَى إِلَى
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَئِيسَ الْبَغِينِ فِي
زَمَانِهِ. فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَأْسَيْتَ بِأَيِّهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ
قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ عَنْ مَنْاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَدْلِي وَأَعْرَضَ

وَمِنْ الْغَلَطِ الْخَفِيِّ فِي التَّلَاجِجِ الدُّهُولُ عَنْ تَبْدِيلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأَمْرِ
وَالْأَجَالِ يَتَبَدَّلُ الْأَعْصَارُ وَمُرُورُ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَائِمٌ دَوْبَةٌ وَشَدِيدٌ
الْخَفَاءُ إِذَا لَا يَنْبَغُ إِلَّا بَعْدَ أَحْقَابٍ مُتَطَوَّلَةٍ وَلَا يَكَادُ يَنْفُطُنُ لَهُ إِلَّا الْآحَادُ
مِنْ أَهْلِ الْخَلِيفَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأَمْرِ وَعَوَائِدُهُمْ وَخَلْقُهُمْ

لَا تَدْرُونَ عَلَى وَيَرِي وَاحِدَةً وَمِنْهَا جُنُودٌ مُسْتَقَرٌّ. إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ
وَالْأَزْمِنَةِ وَانْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَشْخَاصِ
وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَنْقَعُ فِي الْأَقَانِي وَالْأَقْفَارِ وَالْأَزْمِنَةِ
وَالْأَوَّلِ

وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَمُ الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسَّرْيَانِيُونَ وَالنَّبَطُ وَالنَّبَايَعَةُ
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبْطُ. وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ يَوْمَ فِي دَوْلِهِمْ وَمَمْلَكَتِهِمْ
وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرُ مُشَارَكَاتِهِمْ مَعَ أَبْنَاءِ
جَنَسِهِمْ وَأَحْوَالُ أَعْيَانِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا أَعْيَانُهُمْ. ثُمَّ جَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ
الْفَرَسُ الثَّانِيَةُ وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ وَالْفَرَنْجَةُ. وَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ
وَأَنْقَلَبَتْ الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا وَيُشَابِهُهَا وَإِلَى مَا يَتَّصِلُ بِهَا وَيَتَعَادِلُهَا. ثُمَّ
جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرَّةٍ. فَأَنْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ انْقِلَابَةً أُخْرَى
وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارِفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ يَأْخُذُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ، ثُمَّ
خَرَسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَكَهَبَ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَبَّدُوا عِزَّهُمْ
وَمَهَّدُوا مُلْكُهُمْ وَصَارَ فِي أَيْدِي سَوَاقِمٍ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلُ التُّرْكِ بِالشَّرْقِ وَالْبَرْبَرِ
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتْ يَدَاهُ يَوْمَ أُمَمُ وَأَنْقَلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ
نَبِيِّ سَائِمِهَا وَأَغْفَلَ أَمْرُهَا

وَالسَّبَبُ السَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ. أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ
تَابِعَةٌ لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ.
وَأَهْلُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَرَعَّوْا
إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ فَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ

مَعَ ذَلِكَ فَبَقِيَ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ بَعْضُ الْمُخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْمَجْلِيِّ الْأَوَّلِ. فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَزَجَتْ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَتْ أَيْضًا بَعْضُ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً. ثُمَّ لَا يَزَالُ التَّدْرِجُ فِي الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَابَةِ بِالْجُمْلَةِ. فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْبَالُ تَتَعَاقَبُ فِي الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْمُخَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةً

وَالنِّيَاسُ وَالنَّحَاكَةُ لِلإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْغَلْطِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ تَخْرُجُهُ مَعَ الدُّهُولِ وَالْعَفْلَةِ عَنْ مَقْصِدِهِ وَتَعَوُّجُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ. فَرُبَّمَا سَمِعَ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ فَلَا يَنْفَطِنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَانْقِلَابِهَا فَتَجَرَّبُهَا لِأَوَّلِ وَهَلَاةٍ عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقْسُهَا بِمَا يَشْهَدُ. وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهَا كَثِيرًا فَبَقِيَ فِي مَهْوَاهُ مِنَ الْغَلْطِ

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَتَوَهَّمُ الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ النَّارِ عِجْ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْفُضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّئَاسَةِ فِي الْحُرُوبِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ فَتَنَرَّأَى عَنْهُمْ وَسَاوِسُ الْهَمِّ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ يَحْسِبُونَ أَنَّ الشَّانَ فِي خِطَةِ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَبَطْنُونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ حَاجِبِ هِشَامِ الْمُسْتَنْدِ عَلَيْهِ وَابْنِ عِبَادٍ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ بِإِسْطِيبَلَةِ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ أَبْنَاءَهُمْ كَانُوا قُضَاءَ أَمْرٍ مِثْلَ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَنْفَطِنُونَ لِمَا وَقَعَ فِي رُتَبَةِ الْقَضَاءِ مِنَ مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نَبَّيْنَاهُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ. وَابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَابْنُ عِبَادٍ كَانَا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْقَلْبِيِّينَ بِالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلُ عَصِيئَتِهَا. وَكَانَ مَكَانُهُمْ

فِيهَا مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَلِمُ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرَّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ بِخَطَةِ الْقَضَاءِ كَمَا
 فِي هَذَا الْعَهْدِ. بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ لِأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ
 مِنْ قَبَائِلِ الدَّوْلَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا هِيَ الْوِزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ. وَأَنْظُرْ
 خُرُوجَهُمُ بِالْعَسَاكِرِ فِي الصَّوَانِفِ وَتَقْلِيدُهُمْ عِظَامَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُقْلَدُ
 إِلَّا لِكُنْ لَهُ الْعَنَاءُ فِيهَا بِالْعَصِيَّةِ فَيَغْلُطُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَحْمِلُ الْأَحْوَالَ
 إِلَى غَيْرِ مَا هِيَ

وَأَكْثَرُ مَا يَنْفَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضَعْفُ الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا
 الْعَهْدِ لِنَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مِنْذُ أَعْصَارٍ يَعْجَلُ لِفَنَاءِ الْعَرَبِ
 وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا وَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلَكَةِ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ مِنَ الْبَرِّ بِرَفِيقَتِ أَنْسَابِهِمْ
 الْعَرَبِيَّةِ مَحْفُوظَةً وَالذَّرْبَةَ إِلَى الْعِزِّ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْتِصَافِ مَقْنُودَةً بَلْ
 صَارُوا مِنْ جُلَّةِ الرِّعَايَا الْمُتَخَذِينَ الَّذِينَ تَعَبَّدُ لَهُمُ الْقَهْرُ وَزِيَمُوا لِلْمَذَلَّةِ
 بِحَسَبِ أَنْ أَنْسَابَهُمْ مَعَ مُخَالَطَةِ الدَّوْلَةِ فِي الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْقَلْبُ وَالْعَقْلُ
 فَتَجِدُ أَهْلَ الْإِخْوَانِ وَالصَّنَائِعِ مِنْهُمْ مُتَصَدِّقِينَ لِذَلِكَ سَاعِينَ فِي نَيْلِهِ. فَأَمَّا
 مَنْ بَاشَرَ أَحْوَالَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصِيَّةِ فِي دَوْلِهِمُ بِالْعُدُوقِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَكَيْفَ
 يَكُونُ التَّغْلِبُ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْعَشَائِرِ فَقَلَّمَا يَغْلُطُونَ فِي ذَلِكَ وَيَخْطِئُونَ
 فِي أَغْيَابِهِ

تَمَّ الْمَقُولُ مِنْ كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْمُخْبَرِ
 لِابْنِ خَلْدُونِ

مِنْ كِتَابِ نَحْوِ الطَّبِيبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ
تَأْلِيفِ الْعَلَامَةِ الْمُقْرِئِ

فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ

قَائِلُ مُحَايِنُ الْأَنْدَلُسِ لَا تُسْتَوْفَى بِعِبَارَةٍ وَبِحَارِ بِهٍ فَضْلُهَا لَا يَشُقُّ
غُبَارُهُ وَأَنْتَى مُجَارَى وَهِيَ الْحَايَةُ قَصَبُ السَّنِي فِي أَفْطَارِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ.
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالْأَنْدَلُسِ بْنِ طُوبَالِ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ
لِأَنَّهُ نَزَلَهَا كَمَا أَنَّ أَخَاهُ سَبْتِ بْنِ يَافَثَ نَزَلَ الْعُدُوَّةَ الْمُبَايِلَةَ لَهَا وَإِلَيْهِ
تُنَسَّبُ سَبْتَةُ. قَالَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يُحَافِظُونَ عَلَى قِيَامِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ
لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَبُوا أَوْ مَعْرُبُونَ أَنْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ إِنَّهُ أَنْدَلُسُ بْنُ
يَافَثَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرَّبْعِ وَغَدَقَ السُّقْيَا
وَلَدَادَةُ الْأَقْوَاتِ وَتَرَاهِ الْأَحْيَاءِ وَدَوْرَ الْفَوَاكِهَ وَكَثْرَةَ الْبِيَاءِ وَتَجَرُّ
الْعِمْرَانِ وَجُودَةَ اللَّيَاسِ وَشَرَفَ الْأَنْيَةِ وَكَثْرَةَ السِّلَاحِ وَصِحَّةَ الْمَوَاقِفِ
وَأَبْيَاضَ الْوَلَانِ الْإِنْسَانِ وَنُبْلَ الْأَذْهَانِ وَفُتُونِ الصَّنَائِعِ وَشَهَامَةِ
الطَّبَاعِ وَتَفُؤْذِ الْإِذْرَاكِ وَأَحْكَامِ التَّمَلُّكِ وَالْإِعْيَارِ بِهَا حُرْمَةُ الْكَثِيرِ مِنَ
الْأَفْطَارِ بِمَا سَوَاهَا. أَنْتَهَى

قَالَ أَبُو عَالِيٍّ السُّلَيْمِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِدُرَرِ الْقَلَانِدِ وَغُرَرِ الْفَوَائِدِ
الْأَنْدَلُسُ مِنَ الْأَقْلِيمِ الشَّامِيِّ وَهُوَ خَيْرُ الْأَقَالِيمِ وَأَعْدَلُهَا هَوَاءً وَتَرَابًا
وَأَعْدَبُهَا مَاءً وَأَطْيَبُهَا هَوَاءً وَحَيَوَانًا وَنبَاتًا وَهُوَ أَوْسَطُ الْأَقَالِيمِ وَخَيْرُ

الأمور أوساطها. انتهى

قال أبو عبيد البكري الأندلس شامية في طبيها وهوامها بمانية في أعينها وأسوارها هندية في عطرها وذكاها أهواية في عظم جبانها صينة في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحيلها. فيها آثار عظيمة اليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة. وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالأندلس هرقلس وله الآثار في الصم بحرية قاحس وصم جليفة والآثار في مدينة طرغونة الذي لا نظير له

قال المسعودي بلاد الأندلس تكون ميسرة عمايرها ومدينها نحو شهرين ولمن من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى بإختصار ونحوه لابن الأثير إذ قال طولها من أربونة إلى إشبونة وهو قطع سنين يوما للفراس الجيد والتقدير بأمرين أحدهما أنه يقتضي أن أربونة داخلية في جزيرة الأندلس والصحيح أنها خارجة عنها. والثاني أن قوله سنين يوما للفراس الجيد إغباته وإفراط وقد قال جماعة أنها شهر ونصف. قال ابن سعيد وهذا بقرب إذا لم يكن للفراس الجيد والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها ميسرة شهر وكذا قال النجاشي وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمرجل الجيد أفضى إلى نحو شهر ينصف قليل

قال النجاشي في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجز إلى إشبونة ألف ميل ونصف. وبالجملية فالمراد التقريب من غير مشاحة كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك. ثم قال بعد كلام وساقته

البحر الذي بين بحر الرقاق والبحر المحيط أربعون ميلاً وهذا عرض
الاندلس عند رأسها من جهة الشرق ولقد سُميت جزيرةً وإلا فلست
بحريّة على الحقيقة لِاتصال هذا القدر بالأرض الكثير. وعرض جزيرة
الاندلس في موصلها عند طلبطة سنة عشر يوماً.....

قال الشيخ أحمد بن محمد ابن موسى الرازي: بلدُ الاندلس هو آخر
الإقليم الرابع إلى المغرب وهو عند الحكماء بلدٌ كريمُ البتة طيبُ
التربة خصبُ الجناب مُتجسُّ الأنهار الفزار والعبون العذاب. قليلُ
الهوام ذوات السموم. مُعَدِّلُ الهواء والجو والنسيم ربيعُهُ وخريفُهُ
ومشتاهُ ومصيفُهُ على قدرٍ من الاعتدال ونسطةٍ من الحال لا يتولد في
أحدها فصلٌ يتولد منه فيما يتلوهُ انتقاصٌ تنصلُ قواكمهُ أكثرُ الأزمنة
وتدومُ متلاحقةً غيرَ مفقودة. أما الساحلُ منه ونواحيه فبيادرُ
ياكوريه. وأما النفرُ وجهانه والجبالُ المخصوصةُ يبردُ الهواءُ فيها
بالكثير من ثمره فائدةُ الخيرات بالبلدِ متعديّة في كلِّ الأحيان وقواكمهُ
على الجملة غيرُ معدومة في كلِّ أوانٍ. وله خواصٌ في كرمِ النبات
توافقُ في بعضها أرضَ الهند المخصوصة بكرمِ النبات وجواهرِ منها
أنَّ الخلبَ وهو المُندم في الأقاييه والمنفصل في أنواعِ الأشنان
لا يثبتُ بقي من الأرض إلا بالهند والاندلس. وللاندلس المدنُ
المحصنة والمعانيلُ النبعة والفلاخُ الحريرة والمصانعُ الجليلة ولها البرُ
والبحرُ والسهلُ والوعرُ وشكلها مثلُ

وهي مُعينة على ثلاثة أركانٍ الأولُ هو الموضعُ الذي فيه صنمُ قادمٍ

الْمَشْهُورُ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُ تَخْرُجُ الْبَحْرُ الْمَتَوَسِّطُ الشَّامِي الْأَخِيذُ يَقْبَلُ
 الْأَنْدَلُسُ وَالرُّكْنُ الثَّلَاثِي هُوَ بَشْرُقِي الْأَنْدَلُسُ بَيْنَ مَدِينَةِ بَرْيُونَةَ وَمَدِينَةِ
 بَرْدِيلَ مَا يَأْتِيهِ الْفَرْجَةُ الْيَوْمَ بِأَزَاهِ جَزِيرَتِي مَيُورَقَةَ وَمَنُورَقَةَ بِجَاوَرَةِ
 مِنَ الْبَحْرَيْنِ الْبَحْرُ الْهَيْطُ وَالْبَحْرُ الْمَتَوَسِّطُ وَسَمَّاهُمَا الْبَرْقُ الَّذِي يُعْرَفُ
 بِالْأَبْوَابِ وَهُوَ الْمَدْخَلُ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ عَلَى
 بَلَدِ أَفْرَنْجَةَ. وَمَسَافَتُهُ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ وَمَدِينَةُ بَرْيُونَةَ تُقَابِلُ
 الْبَحْرَ الْهَيْطَ. وَالرُّكْنُ الثَّلَاثُ مِنْهَا هُوَ مَا بَيْنَ الْجُوفِ وَالْغَرْبِ مِنْ حِزِّ
 جِلِينَةِ حَيْثُ الْجَبَلُ الْمَوْفِيُّ عَلَى الْبَحْرِ. وَفِيهَا الصُّمُّ الْعَالِي الْمَشْبَهُ بِصَمْرِ
 قَلِيسَ وَهُوَ الطَّالِعُ عَلَى بَلَدِ بَرْطَانِيَّةَ

قَالَ وَالْأَنْدَلُسُ أَنْدَلَسَابُ فِي اخْتِلَافِ هُبُوبِ رِيَاحِهَا وَمَوَاقِعِ
 أَمْطَارِهَا وَجَرَيَانِ أَنْهَارِهَا أَنْدَلُسُ غَرْبِي وَأَنْدَلُسُ شَرْقِي. فَالْغَرْبِيُّ مِنْهَا
 مَا جَرَتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْهَيْطِ الْغَرْبِيِّ وَتُمْطَرُ بِالرِّيَّاحِ الْغَرْبِيَّةِ
 وَتُسَبِّدُ هَذَا الْخَوْزَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ مَعَ الْمَنَازِلَةِ الْخَارِجَةِ مَعَ الْجُوفِ إِلَى
 بَلَدِ شَنْتَمَرِيَّةَ طَالِعًا إِلَى خَوْزِ إِغْرِبَةَ الْعُجَاوَرَةِ لَطْلَيْطَلَةَ مَا نِلَا إِلَى
 الْغَرْبِ وَبِجَاوَرَةِ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ الْمَوَازِي لِفَرْطَلَجَنَةِ الْخُلَفَاءِ الَّتِي مِنْ بَلَدِ
 لُورَقَةَ وَالْخَوْزُ الشَّرْقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْأَنْدَلُسِ الْأَفْصَى وَتَجْرِي أَوْدِيَّتُهُ إِلَى
 الشَّرْقِ وَأَمْطَارُهُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ وَهُوَ مِنْ حَدِّ جَبَلِ الْبَشْكَنْشِي هَائِطًا مَعَ
 وَاجِبِهِ لِمَنْزِلَةٍ إِلَى بَلَدِ شَنْتَمَرِيَّةَ. وَمِنْ جُوفِ هَذَا وَغَرْبِهِ الْبَحْرُ الْهَيْطُ
 وَفِي الْقِبْلَةِ مِنْهُ الْبَحْرُ الْغَرْبِيُّ الَّذِي مِنْهُ تَجْرِي الْبَحْرُ الْمَتَوَسِّطُ الْخَارِجُ إِلَى
 بَلَدِ الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمُسَمَّى بِبَحْرِ نِيرَانَ وَمَعْنَاهُ الَّذِي يَشُقُّ حَائِزَةً

الْأَرْضِ وَيُسَمَّى الْبَحْرَ الْكَبِيرَ. أَنْتَهَى

قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ النَّظَامِ: بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ
عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِهِ أَنْدَلُسَانُ. قَالَ الْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ مِنْهُ مَا صَبَتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى
الْبَحْرِ الرُّومِيِّ الْمَتَوَسِّطِ الْمَتَصَاعِدِ مِنْ أَسْفَلِ أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَذَلِكَ مَا بَيْنَ مَدِينَةِ تَدْمِيرَ إِلَى سَرْقُسطَةَ. وَالْأَنْدَلُسُ الْغَرْبِيُّ مَا صَبَتْ
أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُحِيطِ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ الْخُذْ إِلَى
سَاحِلِ الْمَغْرِبِ. فَالشَّرْقِيُّ مِنْهَا يُمَطَّرُ بِالرَّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَبْضُخُ عَلَيْهَا وَالْغَرْبِيُّ
يُمَطَّرُ بِالرَّيْحِ الْغَرْبِيَّةِ وَبِهَا صَلَاحُهُ وَجِبَالُهُ هَاطِطَةٌ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلًا بَعْدَ
جَبَلٍ. وَإِنَّمَا قَسَمَتُهُ الْأَوَّلُ جُزَيْنِ لِاخْتِلَافِهَا فِي حَالِ أَمْطَارِهَا وَذَلِكَ
أَنَّهُ مِمَّا اسْتَحْكَمَتِ الرَّيْحُ الْغَرْبِيَّةُ كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ وَفُحِطَ
الْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ وَمَتَّى اسْتَحْكَمَتِ الرَّيْحُ الشَّرْقِيَّةُ كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ
الشَّرْقِيِّ وَفُحِطَ الْغَرْبِيُّ. وَأَوْدِيَّتُهُ هَذَا الْقِسْمُ تَجْرِي مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ
بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ. وَجِبَالُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ تَمْتَدُّ إِلَى الشَّرْقِ جَبَلًا بَعْدَ
جَبَلٍ تَقَطُّعٌ مِنَ الْجُوفِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَالْأَوْدِيَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْجِبَالِ
يَقَطُّعُ بَعْضُهَا إِلَى الْقِبْلَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الشَّرْقِ وَتَنْصَبُ كُلُّهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ
بِالْأَنْدَلُسِ الْقَاطِعِ إِلَى الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ. وَمَا كَانَتْ مِنْ بِلَادٍ
جَوْفِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ بِلَادٍ جَلِيفِيَّةٍ وَمَا يَلِيهَا فَإِنَّ أَوْدِيَّتَهُ تَنْصَبُ إِلَى الْبَحْرِ
الْكَبِيرِ الْمُحِيطِ بِسَاحِلِ الْجُوفِ. وَضِفَةُ الْأَنْدَلُسِ شَكْلٌ مَرَكَنٌ عَلَى مِثَالِ
الشَّكْلِ الْمَثَلثِ. وَرُكْنُهَا الْوَاحِدُ فِيمَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ حَيْثُ اجْتِمَاعُ
الْبَحْرَيْنِ عِنْدَ صَمِّ قَادِسَ. وَرُكْنُهَا الثَّانِي فِي بَلَدٍ جَلِيفِيَّةٍ حَيْثُ الصَّمِّ

الْمَشِيَّةُ صَمَ قَادِسَ مُقَابِلَ جَزِيرَةِ بَرْطَانِيَّةَ. وَرَمَكُنْهَا الثَّالِثُ بَيْنَ مَدِينَةِ
بَرْبُوتَةَ وَمَدِينَةِ بَرْبِيلَ مِنْ بَلَدِ الْفَرَنْجِيَّةِ يَحْتُ بِقُرْبِ الْبَحْرِ الْخِيطِ مِنَ
الْبَحْرِ الشَّامِيِّ الْمُتَوَسِّطِ فَبَكَادَانِ يَجْتَنِبَعَانِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَيَصِيرُ بَلَدُ
الْأَنْدَلُسِ جَزِيرَةً بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لَوْلَا أَنَّهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا بَرَزْخٌ بَرِّيٌّ صَحْرَاءُ
وَعِمَارَةٌ مَسَافَةٌ مَسِيرَةٍ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ مِنْهُ الْمَدْخَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي
يُقَالُ لَهَا الْأَبْوَابُ وَمِنْ قُبُلِهِ يَنْصِلُ بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ يَتْلُكَ الْبِلَادِ الْمَعْرُوفَةِ
بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَلْسِنِ الْخُفْلِفَةِ

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَمِزَانُ وَصَفِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا جَزِيرَةٌ قَدْ أَحْدَقَتْ
بِهَا الْبَحَارُ فَكَثُرَتْ فِيهَا الْخُصْبَ وَالْعِمَارَةُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. فَهِيَ سَافَرَتْ مِنْ
مَدِينَتِهِ إِلَى مَدِينَتِهِ لَا تَكَادُ تَنْقَطِعُ مِنَ الْعِمَارَةِ مَا بَيْنَ قُرَى وَمِيَاءٍ وَمَزَارِعَ
وَالصَّخَارِ فِيهَا مَعْدُومَةٌ. وَمَا اخْتَصَّتْ بِهِ أَنْ فُرَاهَا فِي نَهَائِهِ مِنَ الْجَمَالِ
لِتَصْنَعُ أَهْلُهَا فِي أَوْصَاعِهَا وَتَبْيِضُهَا لِيَلَا تُنْبُو الْعُيُونُ عَنْهَا فَبَيَّ كَمَا قَالَ
الْوَزِيرُ ابْنُ الْحَجَّارَةِ فِيهَا

لَا حَتَّ فُرَاهَا بَيْنَ خُضْرٍ أَيْكَمَا كَاللُّبْرِ بَيْنَ زَبَرَجْدٍ مَكْنُونٍ
وَلَقَدْ نَجَّجْتُ لَهَا دَخْلُ الدِّيَارِ الْبَصْرِيَّةِ مِنْ أَوْصَاعِ فُرَاهَا الَّتِي تُكْدِرُ
الْعَيْنَ بِسَوَادِهَا وَيَضِيقُ الصَّدْرَ بِضِيقِ أَوْصَاعِهَا. وَفِي الْأَنْدَلُسِ جِهَاتُ
تَقْرُبُ فِيهَا أَلْدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الْمُبَصَّرَةُ مِنْ مِثْلِهَا. وَالْمِثَالُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ
إِذَا تَوَجَّهْتَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَبَعْضِ آخِرِ مَدِينَةِ شَرِيشَ وَفِي
فِي نَهَائِهِ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالنَّصَارَةِ. ثُمَّ يَلِيهَا الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ كَذَلِكَ ثُمَّ
مَالَنَّهُ. وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْأَنْدَلُسِ وَلِهَذَا كَثُرَتْ مَدُنُهَا وَأَكْثَرُهَا مَسُورٌ مِنْ

أَجَلَ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْعَدُوِّ فَحَصَلَ لَهَا بِذَلِكَ التَّشْيِيدُ وَالْتِزِينَ وَفِي حُصُونِهَا
مَا يَبْقَى فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ مَا يُنْفَعُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً لِمَنْتَنَاعِ مَعَاوِلِهَا وَخَرَبَةِ
أَهْلِهَا عَلَى الْحَرْبِ وَأَعْيَادِهِمْ لِمُجَاوَرَةِ الْعَدُوِّ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَكَثْرَةِ مَا
تَخْزِنُ الْقَلْعَةُ فِي مَطَامِيرِهَا. فَبَيْنَمَا مَا يَطُولُ صَبْرُهُ عَلَيْهَا حَوَامِينَ مِائَةَ سَنَةٍ.
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَلِذَلِكَ أَكَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَقْتِ الْفَتْحِ إِلَى الْآنَ وَإِنْ كَانَ
الْعَدُوُّ قَدْ نَقَصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَشَارَكَ فِي أَوْسَاطِهَا. فَفِي الْبَقِيَّةِ مَنَعَةُ عَظِيمَةٍ
قَارَضَ بَقِيَّ فِيهَا مِثْلُ إِسْطَبْلَةٍ وَغَرْنَابَةِ وَمَالِقَةٍ وَالْبَرِيَّةِ وَمَا يَنْصَافُ إِلَى
هَذِهِ الْحَوَاضِرِ الْعَظِيمَةِ الْمَصْرُوعِ الرَّجَاءِ فِيهَا قُوِيَّ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. أَنْتَهَى
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي إِسْطَبْلَةٍ لَهَا قَاعِدَةٌ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَحَاضِرَتُهَا
وَمَدِينَتُهَا الْأَدَبُ وَاللَّهُوُ وَالطَّرِبُ وَهِيَ عَلَى ضَفَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ عَظِيمَةٍ
الْقَائِنِ طَبِئَةُ الْمَكَانِ لَهَا الْبَرُّ الْمَدِيدُ وَالْبَحْرُ السَّاكِنُ وَالْوَادِي الْعَظِيمُ وَهِيَ
قَرِيبَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ الشَّرَفِ إِلَّا مَوْضِعُ
الشَّرَفِ الْمُتَقَابِلِ الْمَطْلُ عَلَيْهَا الْمَشْهُورُ بِالزُّبُنُونِ الْكَبِيرِ الْمَمْتَدِّ فَرَاخِجَ
فِي فَرَاخِجَ لَكُو. وَبِهَا مَنَارَةٌ فِي جَانِبِهَا بَنَاهَا يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ لَبَسَ فِي بِلَادِ
الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ بِنَاءٍ مِنْهَا وَعَسَلُ الشَّرَفِ يَبْقَى حِينًا لَا يَتَرَمَلُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
وَكَذَلِكَ الزَّيْتُ وَالزَّيْنُ. وَقَالَ ابْنُ مُلْجٍ إِنَّ إِسْطَبْلَةَ عَرُوسُ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّ تَاجَهَا الشَّرَفُ وَفِي عُنُقِهَا سِنَطُ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ وَلَبَسَ فِي
الْأَرْضِ أَمُّ حُسْنًا مِنْ هَذَا النَّهْرِ يُضَافِي حِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ وَالزَّيْلَ تَسِيرُ
الْقَوَارِبُ فِيهِ لِلزَّهْوَةِ وَالسَّيْرِ وَالصَّيْدِ تَحْتَ ظِلَالِ الْفَارِ وَتَغْرِيدُ الْأَطْيَارِ
أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مِيلًا وَتَعَاطَى النَّاسُ السَّرْحَ مِنْ جَانِبَيْهِ عَشْرَةَ فَرَاخِجَ فِي

عَاكِفَةٌ مُتَّصِلَةٌ وَمَنَارَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ وَأَبْرَاجٌ مُشِيدَةٌ وَفِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ السَّمَكِ مَا لَا يُحْصَى . وَبِالْجَمَلَةِ قَوِيٌّ قَدْ حَارَبَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَالزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَكَثَرَتْ الْفَارِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَقَصَبَ السَّكَّرِ وَتُجْمَعُ مِنْهَا الْفَرِيزُ الَّذِي هُوَ أَجَلٌ مِنَ الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ وَزَيْتُونَهَا يُخْزَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . ثُمَّ يَنْصَرُّ فَيُخْرَجُ مِنْهُ أَكْثَرُ مَا يُخْرَجُ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيٌّ . أَنْتَهَى مُلْخَصًا

وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ الْأَسْعَدِ الْأَنْدَلُسَ قَالَ لَا يَتَزَوَّدُ فِيهَا أَحَدٌ مَا حَبِثُ سَلَكَ لِكَثْرَةِ أَنْهَارِهَا وَعُمُومِهَا وَرَبَّهَا لَقِيَ الْمَسَافِرُ فِيهَا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَدَائِنَ وَمِنْ الْمَعَاقِلِ وَالْقُرَى مَا لَا يُحْصَى وَفِي بَطَاجٍ خُضْرٌ وَقُصُورٌ بِيضٌ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَأَنَا أَقُولُ كَلَامًا فِيهِ كِفَايَةٌ مِمَّا خَرَجْتُ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَطُفْتُ فِي بَرِّ الْعُدُوفِ وَرَأَيْتُ مَدَنَهَا الْعَظِيمَةَ كَبْرًا كَشَّ فَاَسَ وَسَلَا وَسَبْتَةَ . ثُمَّ طُفْتُ فِي أَفْرِيقِيَّةٍ وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ فَرَأَيْتُ مَجَابَةَ وَتُونُسَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْبَصْرِيَّةَ فَرَأَيْتُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ وَالْقَاهِرَةَ وَالْقُسْطَاطَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمْ أَرِ مَا يُشْبِهُ رَوْنَقَ الْأَنْدَلُسِ فِي مِيَاهِهَا وَأَنْجَارِهَا إِلَّا مَدِينَةَ فَاَسَ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَمَدِينَةَ دِمَشْقَ بِالشَّامِ وَفِي حِمَاةِ مَدِينَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَلَمْ أَرِ مَا يُشْبِهُهَا فِي حُسْنِ الْمَبْنِيِّ وَالْتَشْيِيدِ وَالتَّصْنِيعِ إِلَّا مَا شُيِّدَ بِبَرَّاكَشَ فِي قَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَعْضِ الْأَمَاكِنِ فِي تُونُسَ . وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى تُونُسَ الْبِنَاءُ بِالْجَارَةِ كَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَلَكِنَّ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ أَفْضَحَ شَوَارِعَ وَأَبْسَطَ وَأَبْدَعُ وَمَبْنِي حَلَبَ دَاخِلَةٌ فِيمَا يُسَمَّوْنَ لِأَنَّهَا مِنْ جِمَارَةِ صُلْبَةٍ وَفِي وَضْعِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا إِتْقَانٌ . أَنْتَهَى . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ مِنَ النَّظْمِ فِي الْأَنْدَلُسِ قَوْلُ ابْنِ سَفَرٍ

لَمِنْ بَيْنِي وَالْإِحْسَانَ لَهُ عَادَةٌ

فِي أَرْضٍ أُنْدَلُسُ تَلْتَدُ نَعْمَاءَ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُسْتَع
وَأَبْنُ بَعْدَلٍ عَنْ أَرْضٍ تَحْضِي بِهَا
وَكَيْفَ لَا يُبْعِجُ الْآبْصَارُ رَوْيَهَا
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْبَيْسُكَ تُرْبَتُهَا
وَاللَّهُوَاءُ بِهَا لُطْفٌ يَرِيقُ بِهِ
لَيْسَ النَّسِيمُ الَّذِي يَهْفُو بِهَا صَحْرًا
وَأَنْتَا أَرْجُ النَّدَى أَسْتَنَارَ بِهَا
وَأَنْتِ بِلَيْلُغٍ مِنْهَا مَا أُصْنِفُهُ
قَدْ مِزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَافًا أَمْجَرُ خَفَّتْ
لِذَاكَ يَسِيمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ
فِيهَا خَلَعْتُ عِدَارِي مَا بِهَا عَوَضُ
وَلَا يَفَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءَ
وَلَا تَقُومُ بِحُفٍّ الْآنَسُ صَهْبَاءَ
عَلَى الْهَدْلَمَةِ أَمْوَاءُ وَأَفْيَاءَ
وَكُلُّ رَوْضٍ بِهَا فِي الْوُثْيِ صَنْعَاءَ
وَالْحُرُ رَوْضَتُهَا وَالْدُّرُ حَصْبَاءَ
مَنْ لَا يَرِيقُ وَتَبْدُو مِنْهُ أَهْوَاءَ
وَلَا أَنْتَارُ لَأَيِّ الْطَلِّ أُنْدَاءَ
فِي مَاءٍ وَرَدٍ فَطَابَتْ مِنْهُ أَرْجَاءَ
وَكَيْفَ يَحْوِي الَّذِي حَازَتْهُ إِحْصَاءَ
قَدْ مِزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَافًا أَمْجَرُ خَفَّتْ
لِذَاكَ يَسِيمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ
فِيهَا خَلَعْتُ عِدَارِي مَا بِهَا عَوَضُ

وَلِلَّهِ حُرُّ أَبْنِ خَفَاجَةَ حَيْثُ يَقُولُ

إِنِّ لِلْجَنَّةِ يَا أَلْأَنْدَلُسِ
فَسَنِي صُبْحِيهَا مِنْ شَبِّ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَا
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ قَالَ أَبُو خَفَاجَةَ هَذِهِ
الْآيَاتُ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فِي بَرِّ الْعَذُوقِ وَمَنْزِلُهُ فِي شَرْقِ

الْأَنْدَلُسُ بِحَزْبِ شَقْرِ. وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ مَا نَصَّهُ قَوْلُهُ مِنْ
كِتَابِ الشَّهْرِ الْقَافِيَةِ فِي الْإِنْصَافِ بَيْنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ أَوَّلُ مَا
تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَاعَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَنَقُولُ لَهَا مَعَ مَا بِيَدِي
عِبَادَ الصَّلِيبِ مِنْهَا أَعْظَمُ سُلْطَنَةٍ كَثُرَتْ مَمَالِكُهَا وَتَشَعَّبَتْ فِي وَجُوهِ
الْإِسْطِظْهَارِ لِلسُّلْطَانِ إِعَانَتُهَا وَتَدْعُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الشَّانِ وَنَقُولُ مَا
قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ النَّصِيبِيُّ فِي كِتَابِهِ لَهَا دَخَلَهَا فِي مِثْلِ خِلَافَةِ بَنِي مَرْوَانَ
بِهَا فِي أَلِمَائَةِ الرَّابِعَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَهَا وَصَفَهَا قَالَ وَأَمَّا جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ
فَجَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ طُولُهَا دُونَ الشَّهْرِ فِي عَرْضِ نِيفٍ وَعِشْرِينَ مَرَحَلَةً
تَغْلِبُ عَلَيْهَا أَلْبَاءُ الْحَجَارِيَّةِ وَالْحَجَرُ وَالشَّجَرُ وَالرُّخْصُ وَالسَّعَةِ فِي الْأَحْوَالِ
مِنْ الرِّفَافِ الْفَاحِرِ وَالْخَضْبِ الظَّاهِرِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَلِكِ الْفَاشِيَةِ فِيهَا
وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَسْبَابِ رَغْدِ الْعَبَسِ وَسَعْنِهِ وَكَثُرَتْ بِهِ بِلْكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَهْمٌ
وَلَزَابُ صَنَائِعِهِمْ لِقَلَّةِ مَوْتِنِهِمْ وَصَلَاحِ يَلَادِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ فِي عِظَمِ
سُلْطَانِهَا وَوَضَعَ وَفُورَ جَبَابَاتِهِ وَعِظَمَ مَرَاتِفِهِ

وَقَالَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَمِمَّا يُدَلُّ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ عَلَى كَثِيرِهِ أَنَّ سِيَكَةَ دَارِ
ضَرْبِهِ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالْدَّنَانِيرِ دَخَلَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَرَفُ
الدِّينَارِ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا هَذَا إِلَى صَدَقَاتِ الْبَلَدِ وَجَبَابَاتِهِ وَخَرَاجَاتِهِ
وَأَعْشَارِهِ وَضَمَانَاتِهِ وَالْأَمْوَالِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْمَرَائِبِ الْوَارِدَةِ وَالصَّادِرَةِ
وغير ذلك . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ أَنَّ جَبَابَةَ الْأَنْدَلُسِ بَلَغَتْ فِي مِثْلِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَلَرْبَعِيَّاتِهِ أَلْفٌ وَثَمَانِينَ
أَلْفًا مِنَ السُّوقِ وَالْمُسْتَخْلَصُ سَبْعِيَّاتِهِ أَلْفٌ وَخَمْسَةُ وَسِتُّونَ أَلْفَ دِينَارٍ

ثُمَّ قَالَ آمِنْ حَقَّقْ. وَمِنْ أَعْجَبَ مَا فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقَائِلِهَا عَلَى مَنْ هِيَ
فِي يَدِهِ مَعَ صِغَرِ أَحْلَامِ أَهْلِهَا وَضَعَةِ نُفُوسِهِمْ وَتَقْصِ عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنَ
الْبَاسِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسَةِ وَالْبَسَالَةِ وَلِقَاءِ الرِّجَالِ وَمَرَاسِ الْأَنْجَادِ
وَالْأَبْطَالِ مَعَ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحُلُمِهَا فِي نَفْسِهَا وَمِقْدَارِ جَبَابِهَا
وَمَوَاقِعِ نِعَمِهَا وَلَذَائِهَا

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ سَعِيدٍ مُكْمِلُ هَذَا الْكِتَابِ. لَمْ أَرُبْدًا مِنْ إِبْتَاتِ هَذَا
الْفَصْلِ وَإِنْ كَانَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِي فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالنَّعْصِبِ مَا لَا يَخْفَى
وَلِسَانُ أَمْحَالٍ فِي الرَّدِّ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْبَلَاغَةِ. وَلَيْتَ شِعْرِي إِذْ سَلِبَ
أَهْلُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الصُّلُوحَ وَالْأَرَاءَ وَالْهَيْمَ وَالشَّجَاعَةَ. فَمَنْ الَّذِينَ دَبَّرُوا
بَارَأْنَهُمْ وَعُقُولَهُمْ مَعَ مُرَاصَدَةِ أَعْدَائِهِمَا الْجَاوِرِينَ لَهَا مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ
وَتَيْفٍ وَمَنْ الَّذِينَ حَمَوْهَا بِسَالَتِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ فِي دَاخِلِهَا
وَخَارِجِهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نُصْرَةِ الصَّلِيبِ وَإِنِّي لَأَعْجَبُ
مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي زَمَانٍ قَدْ دَلَّتْ فِيهِ عِبَادُ الصَّلِيبِ إِلَى الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ
وَعَاثُوا كُلَّ الْعَبَثِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ أَجْمَهُوهُ وَالْقَبْضَةُ الْعُظْمَى حَتَّى
أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَمَا أَذْرَاكَ وَقَعَلُوا فِيهَا مَا فَعَلُوا وَبِلَادَ الْإِسْلَامِ
مُتَّصِلَةً بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا هُوَ مُسْطُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ
وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ وَأَشَدِّ أَنْهُمْ كَانُوا يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْخِصْنِ مِنْ حُصُونِ
الْإِسْلَامِ الَّتِي يَتِمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ بَسَاطِطِ بِلَادِهِمْ فَيَسْبُونَ وَيَأْسِرُونَ فَلَا
يُجْتَنَبُ عَنْهُمْ الْمُلُوكُ الْجَاوِرَةُ عَلَى حَسْرِ الدَّاءِ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ بَسَّعِينَ بِهِ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتِمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ الَّذِي لَا يُطْبَقُ. وَقَدْ كَانَتْ

جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِالضُّدُونِ الْبِلَادِ الَّتِي تَرَكَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ
وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي تَارِيخِ أَبِي حَيَّانَ وَغَيْرِهِ
فِي إِقْلَامِ الْأَنْدَلُسِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا عَلَى يَدِ مُوسَى
بْنِ نَصِيرٍ وَمَوْلَاهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ

قَالَ أَبُو خَلْدُونٍ بَعْدَ ذِكْرِ أَنْ الْقَوَاطِينُ كَانَتْ لَمْ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ
وَأَنَّ مَلِكَهُمْ لَعَبْدُ الْفَرَجِ يُسَمَّى لُذْرِيْقُ مَا نَصَّهُ وَكَانَتْ لَمْ خُطْوَةٌ وَرَاءَ الْبَحْرِ
فِي هَذِهِ الْعُدُوَّةِ الْأَجْنَوِيَّةِ خُطُوهَا مِنْ فُرْصَةِ الْحَجَّازِ بِطَنْجَةِ وَمِنْ زُقَاقِ
الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَاسْتَعْبَدُوهُمْ. وَكَانَ مَلِكُ الْبَرْبَرِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ
الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ جِبَالُ غَارَةِ يُسَمَّى بِلْيَانُ فَكَانَ يَدِينُ بِطَاعَتِهِمْ وَيَسْلُطُهُمْ
وَمُوسَى بْنُ نَصِيرٍ أَمِيرُ الْغَرْبِ إِذْ ذَاكَ عَامِلٌ عَلَى أَفْرِيقِيَّةٍ مِنْ فَيْكٍ
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْزِلُهُ بِالْقَبْرَوَانِ. وَكَانَ قَدْ أَغْرَى لِذَلِكَ الْعَهْدِ
عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الْغَرْبِ الْأَقْصَى وَدَوَّخَ أَفْطَارَهُ وَأَنْخَنَ فِي جِبَالِ
طَنْجَةِ هَذِهِ حَتَّى وَصَلَ خَلِيجَ الزُّقَاقِ وَأَسْتَنْزَلَ بِلْيَانُ لِبَاعَةِ الْإِسْلَامِ وَخَلَفَ
مَوْلَاهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ اللَّيْثِي وَالْيَا بِطَنْجَةِ. وَكَانَ بِلْيَانُ يَنْتَمِ عَلَى لُذْرِيْقِ

(١) ان لدریق (ای رودریق) اخر ملوک الوزیفوطی فی اسپانیا کان ولد دواکافر طبة
الذي امر قلع اعينه فتيما الملك الوزیفوطی، فنهض رودریق المشار اليه ضد حاربه فترع
سه التاج الملوكي (سنة ٧١٠ هـ) غير ان اولاد الملك واقاربہ استغاثوا بالعرب فاتوا
لجديهم وامامهم طارق فاستولى على البوغار المعروف باسمه وهو بوغاز جبل طارق، فسامر
اليه رودریق بمجوشو وكانت نحو ٢٠ الف مقاتل فحارب الجيخان مدة تسعة ايام في كبريس
فقتل رودریق في اليوم الثالث (سنة ٧١١)، هذاوس القيل التابع ان الكونت بليان
(اي جوليانوس) قد استغاث بالعرب لينتقم عن اهانة الحققت بابتقه (بوللير)

مَلِكِ الثُّوَطِ لِهَيْدٍ بِالْأَنْدَلُسِ فَعَلَهَا زَعَمُوا بِأَبْنَيْهِ النَّاشِئَةِ فِي دَارِهِ
فَغَضِبَ لِذَلِكَ وَأَجَازَ إِلَى كُذْرِيْقٍ وَأَخَذَ ابْنَتَهُ مِنْهُ . ثُمَّ لَحِقَ بِطَارِقٍ
فَكَشَفَ لِلْعَرَبِ عَوْرَةَ الثُّوَطِ وَدَلَّهُمْ عَلَى عَوْرَتِهِمْ أَمْكَنَتْ طَارِقًا فِيهَا
الْفُرْصَةُ فَأَنْتَهَزَهَا لَوْفِهِ وَأَجَازَ الْبَحْرَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ الْفَتْحِ
يَا إِذْنِ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ تَصِيرٍ فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ مِائَةً مِنَ الْعَرَبِ وَأَخْشَدَ مَعَهُمُ
مِنْ الْبَرَبَرِ زُهَاءَ عَشْرَةِ آلَافٍ فَصَبَّرَهَا عَسْكَرُ بْنُ أَحَدُهَا عَلَى نَفْسِهِ وَزَلَّ
بِهِ جَبَلٌ أُلْفَخَ فَسُمِيَ جَبَلُ طَارِقِ بِهِ وَالْآخَرُ عَلَى طَرِيفِ بْنِ مَالِكٍ
الْقُضِيِّ وَزَلَّ بِمَكَانِ مَدِينَةِ طَرِيفِ فَسُمِيَ بِهِ وَأَدَارُوا الْأَسْوَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
لِلتَّحَصُّنِ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى كُذْرِيْقٍ وَنَهَضَ إِلَيْهِمْ بِحُرَّ أُمِّ الْأَعَاجِمِ وَأَهْلٍ
مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي زُهَاءَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَزَحَفُوا إِلَيْهِ فَالْتَقَوْا بِبَعْضِ شَرِيْشٍ
فَهَزَمَهُ اللَّهُ وَنَفَلَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَرَفَاهَهُمْ

وَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى بْنِ تَصِيرٍ بِالْفَتْحِ وَبِالْغَنَائِمِ فَحَرَّكَتُهُ الْغَنِيمَةُ
وَكَتَبَ إِلَى طَارِقِ بِتَوَعُّدٍ إِنْ تَوَعَّلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَيَأْمُرُ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ
مَكَانَهُ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَبْرَوَانِ وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ وَخَرَجَ مَعَهُ
حَبِيبُ بْنُ مَنَّةَ الْفِهْرِيُّ وَنَهَضَ مِنَ الْقَبْرَوَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مِنَ
الْفَتْحِ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ وَجْهِ الْعَرَبِ الْمَوَالِي وَعُرْفَاءُ الْبَرَبَرِ وَوَأَقْبَ
خَلِيجَ الرُّفَاقِ مَا بَيْنَ طَبْجَةِ وَالْحُزْبَةِ الْمُخَضَّرَاءِ . فَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَتَلَقَّاهُ
طَارِقٌ فَأَقْبَادًا وَتَبَعَ وَأَتَمَّ مُوسَى الْفَتْحَ وَتَوَعَّلَ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرَشْلُونَةَ
فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَلَدُونُهُ فِي الْجُوفِ وَصَنَمَ قَادِسَ فِي الْعَرَبِ وَدَوَّخَ أَقْطَارَهَا
وَجَمَعَ غَنَائِمَهَا . وَأَجْمَعَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَشْرِقَ مِنْ نَاحِيَةِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَتَجَاوَزَ إِلَى

الشام خروبه ودروب الأندلس ويخوض إليه ما بينهما من أمم الأماجم
النصرانية مجاهدا فيهم مستلجما ثم إلى أن بلغني بدار الخلافه
ونما أخبرني الوليد فاشتد قلته بمكان المسلمين من دار الحرب
ورأى أن ما لم يه موسى غرر بالمسلمين . فبعث إليه بالتوجه
والانصراف وأسر إلى سيفيه أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع وكتب
له بذلك عهد ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن الأندلس بعد أن
أنزل الرابطة والحامية يشغورها وأنزل ابنه عبد العزيز لسدوها وجهاد
عدوها وأنزله يقرطبة فأنخذها دار إماره وأخل موسى بالقرطبة سنة
خمس وتسعين وأرتحل إلى المشرق سنة ست بعد ما كان معه من
الغنائم والذخائر والأموال على العجل والظهير يقال إن من جملتها
ثلاثين ألف رأس من السبي

وولي موسى على أفريقيا ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد
المليك فخطه ونكبه وفارت عساكر الأندلس بإبنه عبد العزيز بإغراه
سليمان فقتلوه لستين من ولايته . وكان خيرا فاضلا وأفتخ في ولايته
مدائن كثيره وولي من بعده أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت

(١) موسى بن نصير قائد جيوش الخليفة الوليد الأول أقام مولاه ملكا على افريقية
في ٧٠٥ فاستبجده الكونت جوليانوس في ٧١٠ فارسل مولاه طارقا فاخذ من الوزير قوط
أكثر ولاياتهم ثم دخل البلاد فاستبجها وقطع جبال يبراني وقدم الى فرنسا حتى ابواب
كاراكسونا فطلبه الوليد الى دمشق في ٧١٥ بصفة كونه قد انشب بتبعيه على مولاه طارق
لمسه له فحكم عليه بدفع ٢٠٠٠٠٠ دوكا ذهب اي نحو مليوني فرنك وضرب بالعصي
ثم نفى الى مكة فتوفي في ٧١٨ (بوللر)

مُوسَى بْنِ تَصِيرٍ قَوْلِي عَلَيْهَا سَنَةٌ أَشْهَرُ
 ثُمَّ تَمَّاعَتْ وَلَاءُ الْعَرَبِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ قَارَةً مِنْ قِبَلِ الْخُلَيْفَةِ وَقَارَةً مِنْ
 قِبَلِ عَامِلِهِ بِالْقَيْرَوَانِ وَأَتَخَّضُوا فِي أَمْرِ النَّصَارَى وَافْتَتَحَ بَرَشْلُونَةَ مِنْ جِهَةِ
 الْمَشْرِقِ وَحُصُونَ قَشْنَالَةَ وَسَائِطَهَا مِنْ جِهَةِ الْجُوفِ وَأَنْفَرَضَتْ أُمُّ
 الْقُوْطِ وَأَوَى الْجَلَالَةُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَمْرِ الْعَجَمِ إِلَى جِبَالِ قَشْنَالَةَ وَلَدُونَهُ
 وَأَقْوَاهِ الدُّرُوبِ فَتَحَصَّنُوا بِهَا وَأَجَازَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا وَرَأَى
 بَرَشْلُونَةَ مِنْ دُرُوبِ الْعَجَمِ حَتَّى أَخْلَوْا الْبَسَائِطَ وَرَأَاهَا وَتَوَعَّلُوا فِي
 بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ وَعَصَفَتْ رِيحُ الْإِسْلَامِ بِأَمْرِ النَّصَارَى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ
 وَرُبَّمَا كَانَتْ بَيْنَ جُنُودِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْعَرَبِ اخْتِلَافٌ وَتَنَازُعٌ أَوْجَدَ
 لِلْعَدُوِّ بَعْضَ الْكَرِّ فَرَجَعَ الْإِفْرَنْجُ مَا كَانُوا غَلَبُوهُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ
 بَرَشْلُونَةَ لِحِدِّ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ لَدُنْ فَتَحِهَا وَأَسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ

انتهى المقول

من كتاب فتح الطوب من غصن الاندلس الرطوب
 للعلامة المقرئ



مِنْ كِتَابِ الْإِقَادَةِ وَالْأَعْيَانِ فِي الْأُمُورِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُحَادِثِ

الْمُعَانِيَةِ بِأَرْضِ مِصْرَ

لِأَبِي الطَّيْفِ

الْمَقَالَةُ الْأُولَى وَفِي سِنَةِ فُصُولِ

الْفَصْلِ الْأَوَّلِ

فِي خَوَاصِّ مِصْرَ الْعَامَةِ لَهَا

إِنَّ أَرْضَ مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الْعَجِيبَةِ الْأَنْهَارِ الْغَرِيبَةِ الْأَخْبَارِ وَهِيَ وَادٍ
يَكْتَنِفُهُ جَبَلَانِ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ وَالشَّرْقِيُّ أَعْظَمُهُمَا يَتَدَيَّنَانِ مِنْ أَسْوَانٍ
وَيَتَقَارَبَانِ بِأَسْنَا حَتَّى يَكَادَانِ بِمَآسَانٍ ثُمَّ يَنْفَرَجَانِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَكُلُّمَا أَمْتَدَا
طُولًا أَنْفَرَجَا عَرْضًا حَتَّى إِذَا أَرَبَا الْفُسْطَاطَ كَانَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ يَوْمَ قَامَا
دُونَهُ ثُمَّ يَتَبَاعَدَانِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّيْلُ يَنْسَابُ بَيْنَهُمَا وَيَتَشَعَّبُ
بِأَسَافِلِ الْأَرْضِ وَجَمِيعُ شُعْبِهِ تَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْمِلْحِ

وَهَذَا النَّيْلُ لَهُ خَاصَّتَانِ الْأُولَى بَعْدَ مَرَمَاهُ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ فِي الْمَعْبُورَةِ نَهْرًا
أَبْعَدَ مَسَافَةٍ مِنْهُ لِأَنَّ مَبَادِئَهُ عُمُونَ تَأْتِي مِنْ جَبَلِ الْقَبْرِ وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا
الْجَبَلَ وَرَأَاهُ خَطُّ الْإِسْنَوَاءِ بِأَحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَعَرْضُ أَسْوَانٍ وَهِيَ
مَبْدَأُ أَرْضِ مِصْرَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَنِصْفُ دَرَجَةٍ وَعَرْضُ حِمْبَاطٍ
وَهِيَ أَقْصَى أَرْضِ مِصْرَ أَحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُ دَرَجَةٍ فَتَكُونُ مَسَافَةُ
النَّيْلِ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ ثَلَاثًا وَارْبَعِينَ دَرَجَةً تَنْقُصُ سُدْسًا وَمِسَاحَةُ
ذَلِكَ تَقْرِيبًا تِسْعَ مِائَةِ فَرَسَخٍ هَذَا سِوَى مَا يَأْخُذُ مِنَ التَّرْعِيجِ وَالتَّوْرِيبِ
فَإِنْ أَعْتَبِرَ ذَلِكَ تَضَاعَفَتِ الْمِسَاحَةُ جِدًّا

وَالْخَاصَّةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ يَزِيدُ عِنْدَ نُصُوبِ سَائِرِ الْأَنْهَارِ وَتَشْيِشِ الْبِيَاهِ
لِأَنَّهُ يَنْتَدِي بِالنَّزِيَادَةِ عِنْدَ أَنْتِهَاءِ طُولِ النَّهَارِ وَتَنَاقُفِ زِيَادَتِهِ عِنْدَ
الْإِعْتِدَالِ الْخَرِيفِيِّ وَجِنْدِي تَنْفُخِ الرِّيحِ وَتَفِيضِ عَلَى الْأَرْضِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ
أَنْ مَوَادَّ زِيَادَتِهِ أَمْطَارٌ غَرِيبَةٌ دَائِمَةٌ وَسُبُلٌ مُتَوَاصِلَةٌ تُمَدُّ فِي هَذَا
الْأَوَّلِ. فَإِنَّ أَمْطَارَ الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِذَا تَغَرَّرُ فِي الصَّبْفِ وَالْقَبْطِ
وَأَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَلَهَا أَيْضًا خَوَاصٌ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَبْقَى بِهَا مَطَرٌ إِلَّا مَا لَا
أَحْتِمَالَ بِهِ وَخُصُوصًا صَعِيدُهَا. فَأَمَّا أَسَافِلُهَا فَقَدْ يَبْقَى بِهَا مَطَرٌ جَوْدٌ
لِكُنْهَ لَا يَبْقَى بِحَاجَةِ الزَّرْعَةِ. وَأَمَّا دِمِطَاطُ وَالْإِسْكَندَرِيَّةُ وَمَا دَانَاهَا فَبِحَبِّ
غَرِيبَةٍ الْطَرِيقَةِ مِنْهُ بِشَرْبُونٍ وَلَبَسَ بِأَرْضِ مِصْرَ عَيْنٌ وَلَا تَهْرُ سِوَى نِيلِهَا
وَمِنْهَا أَنَّ أَرْضَهَا رُيْلِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِلزَّرْعَةِ لِكُنْهَ بَاتِنِهَا طِينٌ أَسْوَدٌ عَلَيْكَ
فِيهِ دُسُومَةٌ كَثِيرَةٌ بَسَمَى الْإِنْبِلِزِيَانِيهَا مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ مَخْطِطًا بِمَاءِ
النَّيْلِ عِنْدَ مَدْيَ قَبَسْتَفْرِ الطِّينِ وَيَنْضَبُ الْمَاءُ فَجَرَتْ وَزَرَعَتْ وَكُلَّ سَنَةٍ
بَاتِنِهَا طِينٌ جَدِيدٌ وَلِهَذَا يَزْرَعُ جَمِيعُ أَرْضِهَا وَلَا يَرَاغُ شَيْءٌ مِنْهَا كَمَا يُفْعَلُ
فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ لِكُنْهَ تَخَالَفِ عَلَيْهَا الْأَصْنَافُ. وَقَدْ لَحَظْتُ الْعَرَبُ
ذَلِكَ فَأَمَّا نَقُولُ إِذَا كَثُرَتِ الرِّيَاحُ جَادَتِ الْحِرَاءَةُ لِأَنَّهُمْ يَنْتَابِ
غَرِيبٌ وَنَقُولُ أَيْضًا إِذَا كَثُرَتِ الْمَوْتِفَكَاتُ زَكَا الزَّرْعُ. وَلِهَذَا الْعِلَّةُ
تَكُونُ أَرْضُ الصَّعِيدِ زَكِيَّةً كَثِيرَةً إِلَّا نَاءً وَالرَّيْعُ إِذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى
الْمَبْدَأِ فَتَحْصُلُ فِيهَا مِنْ هَذَا الطِّينِ مِقْدَارٌ كَثِيرٌ بِخِلَافِ أَسْفَلِ الْأَرْضِ
فَإِنَّهَا أَسَافَةٌ مُضَوِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ رَفِيقَةً ضَعِيفَةً الطِّينِ لِأَنَّهُ بَاتِنِهَا الْمَاءُ
وَقَدْ رَأَى وَصَفًا وَلَا أَعْرِفُ شَيْئًا بِذَلِكَ إِلَّا مَا حَكِي لِي عَنْ بَعْضِ جِبَالِ

الْإقْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّ الرِّيحَ تَأْتِيهِ وَقْتُ الزَّرَاعَةِ بِدَرَجٍ كَثِيرٍ. ثُمَّ يَفْعُ عَلَيْهِ
الْمَطَرُ قَبْلَ أَنْ يَجْرُثَ وَيُزْرَعَ فَإِذَا حُصِدَ جَاءَتْهُ رِيَّاحٌ أُخْرَى فَتَسْفَتْهُ حَتَّى
يَبُودَ أَجْرَدًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا

وَمِنْهَا أَنَّ الْفُصُولَ بِهَا مُتَغَيِّرَةٌ عَنْ طَبِيعَتِهَا الَّتِي لَهَا. فَإِنَّ أَحْصَى
الْأَوْقَاتِ بِالْبَيْسِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ أَغْنَى الصِّفِّ وَالْخَرِيفَ تَكَثُرُ فِيهِ
الرُّطُوبَةُ يَمُضِرُ بِهَذَا نِيلَهَا وَقَبِيضُهُ لِأَنَّهُ يَهْدُ فِي الصِّفِّ وَيُطَبِّقُ الْأَرْضَ
فِي الْخَرِيفِ. فَأَمَّا سَائِرُ الْبِلَادِ فَإِنَّ مِيَاهَهَا تَنْشُ فِي هَذَا الْأَوَّلِ وَتَنْزُرُ
فِي أَحْصَى الْأَوْقَاتِ بِالرُّطُوبَةِ أَغْنَى الشِّتَاءَ وَالرَّبِيعَ وَمِضْرُ إِذَا كَانَ تَكُونُ
فِي غَابَةِ النَّحْلَةِ وَالْبَيْسِ وَلِهَذَا الْعِلَّةُ تَكَثُرُ عُفُونَاتُهَا وَأَخِلَافُ هَوَائِهَا
وَتَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهَا الْأَمْرَاضُ الْعَنِيبَةُ الْمُحَادَّةُ عَنْ أَخْلَاطِ صَفَرَاوِيهِ
وَبَلْعِيْبِيَّةٍ وَقَلْبًا تَجِدُ فِيهِمْ أَمْرَاضًا صَفَرَاوِيَّةً خَالِصَةً بَلَى الْغَالِبُ عَلَيْهَا الْبَلْغَمُ
حَتَّى فِي الشَّبَابِ وَالْخُرُورِ وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ مَعَ الصَّفَرَاءِ خَامٌ وَكَثُرَ
أَمْرَاضِهِمْ فِي آخِرِ الْخَرِيفِ وَلَوَّلِ الشِّتَاءِ لَكُنْهَا يَغْلِبُ عَلَيْهَا حَبِيدُ الْعَافِيَةِ
وَيَقِلُّ فِيهِمْ الْأَمْرَاضُ الْمُحَادَّةُ وَالْدَّمَوِيَّةُ الْوَحِيَّةُ. وَأَمَّا أَصْحَاؤُهُمْ فَيَغْلِبُ
عَلَيْهِمُ التَّرَهُّلُ وَالْكَسَلُ وَتُحِبُّ اللَّوْنُ وَكُمُودَتُهُ وَقَلْبًا تَرَى فِيهِمْ
مَشْبُوبَ اللَّوْنِ ظَاهِرَ الدَّمِ. وَأَمَّا صِبْيَانُهُمْ فَصَاوِيُونَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الدَّمَامَةُ
وَقِلَّةُ النَّصَارَةِ وَإِنَّمَا تَحْدُثُ لَهُمُ الْبِدَانَةُ وَالْفَسَامَةُ غَالِبًا بَعْدَ الْعِشْرِينَ.
وَلَمَّا ذَكَرْتُمْ وَتَوَقُّدَ أَذْهَانِهِمْ وَخَفَةَ حَرَكَاتِهِمْ فَحَرَارَةُ بَلَدِهِمُ الدَّائِيَّةُ لِأَنَّ
رُطُوبَتَهُ عَرِضِيَّةٌ. وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الصَّعِيدِ أَفْخَلُ جُسُومًا وَأَجْفَ أَمْرِجَةً
وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ السَّمَرَةُ وَكَانَ سَاكِئُوا النَّسْطَاطِ إِلَى دِمْيَاطَ أَرْطَبَ أَبْدَانًا

وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ الْبَيَاضُ

وَلَمَّا رَأَى قَدَمَاهُ الْبَصَرِيَّيْنِ أَنَّ عِمَارَةَ أَرْضِهِمْ إِنَّمَا فِي بَيْنِهَا جَعَلُوا
أَوَّلَ سِتْنِهِمْ أَوَّلَ الْخُرَيْفِ وَذَلِكَ عِنْدَ بُلُوغِ النَّيْلِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى مِنَ
الزِّيَادَةِ

وَمِنْهَا أَنَّ الصَّبَا تَحْجُوبُهُ عَنْهُمْ بِحِيلِهَا الشَّرْقِيَّ الْمَسْمِيَّ الْمَنْطِقَ فَإِنَّهُ يَسْتُرُ
عَنْهَا هَذِهِ الرِّيحَ الْفَاصِلَةَ وَقَلَمًا هُبُّ عَلَيْهِمْ خَالِصَةً اللَّهُمَّ لَا تُكْبِكْ. وَهَذَا
أَخْبَارُ قَدَمَاهُ الْبَصَرِيَّيْنِ أَنَّ يَجْعَلُوا مُسْتَقَرَّ الْمَلِكِ مَنْفَ وَتَحْوَاهَا مِمَّا يَبْعُدُ
عَنْ هَذَا الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ إِلَى الْغَرْبِيِّ وَأَخْبَارُ الرُّومِ الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَتَحْتَبُوا
مَوْضِعَ الْقُسْطَاطِ لِغُرْبِهِ مِنَ الْمَنْطِقِ فَإِنَّ الْجَبَلَ يَسْتُرُ عَمَّا فِي لِحْفِهِ أَكْثَرَ مِمَّا
يَسْتُرُ عَمَّا بَعْدَ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ بِأَخْرِ طُلُوعِهَا عَلَيْهِمْ فَيَقِلُّ فِي هَوَائِهِم
الْتَفُجُّ وَيَبْقَى زَمَانًا عَلَى نَهْوَةِ اللَّيْلِ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْمَوَاضِعَ الْمُنْكَشِفَةَ لِلصَّبَا
مِنْ أَرْضٍ مِصْرَ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ غَيْرِهَا وَلِكِنِّي رُطُوبَتِهِ يَسَارِعُ الْعَفْنُ
إِلَيْهَا وَيَكْثُرُ فِيهَا الْفَأْرُ وَتَوَلَّدَ مِنَ الطِّينِ وَالْعَقَارِبُ تَكْثُرُ بِقُصْوِ وَكَثِيرًا
مَا تَقْتُلُ بِلِسَانِهَا وَالْبَقِيَّةُ الْمُنَيْنُ وَالذُّبَابُ وَالْبَرَاعِثُ تَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا
وَمِنْهَا أَنَّ الْجُنُوبَ إِذَا هَبَّتْ عِنْدَهُمْ فِي الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَفِيمَا بَعْدَ
ذَلِكَ كَانَتْ بَارِدَةً جِدًّا وَيُسْمَوْنَهَا الْمَرْيَسِيَّ لِهُرُورِهَا عَلَى أَرْضِ الْمَرْيَسِ
وَهِيَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ. وَسَبَبُ بَرْدِهَا مَرُورُهَا عَلَى بَرَكٍ وَنَفَائِعٍ. وَالذَّلِيلُ
عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ إِنَّهَا إِذَا دَامَتْ أَيَّامًا مُتَوَالِيَةً عَادَتْ إِلَى حَرَارَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ
وَأَضْحَتْ أَلْوَاءُ وَأَخَذَتْ فِيهِ يَسَا

التَّصْلُ الثَّانِي

فِيمَا تَخْتَصُّ بِهِ مِنَ النَّبَاتِ

مِنْ ذَلِكَ الْجَمِيزُ وَهُوَ يَبْصُرُ كَثِيرٌ جِدًّا وَرَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا يَسْتَلَانِ
وَالسَّاحِلَ وَكَأَنَّهُ يَبْنِي بَرِّي وَيَخْرُجُ ثَمَرَتُهُ فِي الْخَشَبِ لَاتَحْتَ الْوَرَقِ
وَيَخْلُفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةَ بَطُونٍ وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَحْمِلُ وَفَرَا عَظِيمًا
وَقَبْلَ أَنْ يَجْنِيَ بِأَيَّامٍ بَصْعَدُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرِ وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ يَسِمُ بِهَا
حَبَّةَ حَبَّةٍ مِنَ الشَّعْرِ فَيَحْبِسُ مِنْهَا لَبَنٌ أَيْضُ . ثُمَّ يَسُوذُ الْمَوْضِعَ وَيَحْلُو
الشَّعْرُ بِذَلِكَ الْفِعْلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ نَبْتٌ شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ
الَّتَيْنِ لَكِنَّهُ لَا يَنْفَكُ فِي أَوَاخِرِ مَضِيِّهِ مِنْ طَعْمٍ خَشِيبَةٍ مَا . وَشَجَرَتُهُ
كَبِيرَةٌ كَتَجَمُّعِ الْجُوزِ الْعَائِدَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ قَمَرٍ وَغِصْنَتِهِ إِذَا فُصِدَتْ
لَبَنٌ أَيْضُ إِذَا طُلِيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبْغُهُ وَأَحْمَرُ . وَخَشَبُهُ نَعْمَرٌ بِهِ
الْمَسَاكِينُ وَيَتَّخِذُ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَلَاتِ الْحَفَافَةِ وَلَهُ بَقَاءٌ عَلَى
الذَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَاءِ وَالشَّمْسِ وَقَلَمًا يَأْكُلُ هَذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ
خَفِيفٌ قَلِيلُ اللَّدُونَةِ . وَيَتَّخِذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ خَلٌّ حَادِيقٌ وَنَبِيذٌ حَادٍ . قَالَ
جَالِينُوسُ الْجَمِيزُ بَارِدٌ رَطْبٌ فِيمَا بَيْنَ الثَّوْبِ وَالتَّيْنِ وَهُوَ رَدِيٌّ لِلْبَعْدَةِ
وَلَبَنُ شَجَرَتِهِ لَهُ قُوَّةٌ مُلِينَةٌ تُلِصِقُ الْأَجْرَاجَ وَتَفْشُ الْأَوْرَامَ وَيَطْلُخُ عَلَى لَسَعِ
الْهُوَامِ وَيَحْلُلُ جَسَاءَةَ الطِّحَالِ وَلَوْ جَاعَ الْبَعْدَةُ فِيمَا دَا وَتَتَّخِذُ مِنْهُ شَرَابٌ
لِلسَّعَالِ الْمُتَفَادِمِ وَتَوَازِلُ الصَّدْرِ وَالرِّثَةِ وَعَمَلُهُ بِأَنْ يَطْبَخَ فِي الْمَاءِ حَتَّى
يَخْرُجَ فِيهِ قُوَّتُهُ وَيَطْبَخُ ذَلِكَ الْمَاءُ مَعَ السُّكَّرِ حَتَّى يَنْعَقِدَ وَيَرْفَعُ . وَقَالَ
أَبُو حَنِيفَةَ وَمِنْ أَجْنَاسِ التَّيْنِ تَيْنُ الْجَمِيزِ وَهُوَ تَيْنٌ حُلُوٌّ رَطْبٌ لَهُ

مَعَالِقُ طَوَالٍ وَيَرْبُ وَيَضْرِبُ آخَرُ مِنَ الْجَمِيدِ حَمْلُهُ كَالْبَيْنِ فِي الْخِلْفَةِ
وَوَرَقُهُ أَضْغَرُ مِنَ وَرَقِ الْبَيْنِ. وَبَيْنُهُ أَضْفَرُ صُغَارًا وَأَسْوَدُ وَيَكُونُ بِالْعُورِ
وَيُسَمَّى الْبَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأَضْفَرُ مِنْهُ حَلْوٌ وَالْأَسْوَدُ بِدُمِي النَّمِّ وَلَيْسَ
لِيَبْنِيهِ عِلَاقَةٌ بَلْ لَاصِقٌ بِالْعُودِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْبَلَسَانُ فَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ إِلَّا بِبَصْرَ بَيْنِ شَمْسٍ فِي
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُخْتَفِظٌ بِهِ مَسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدَنِيَّةٍ. وَلَازِمٌ نَفَاحُ شَجَرَتِهِ
نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا فِشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ وَالْأَسْفَلُ
أَخْضَرُ نَجِيفٌ. وَإِذَا مَضَعَ ظَهَرَ فِي النَّمِّ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَاحَةٌ عَطِرَةٌ. وَوَرَقُهُ
شَبِيهُ وَرَقِ السَّدَابِ وَيَحْتَفِ دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشُّعْرَى بِأَن تَشْدَحَ السُّوقُ
بَعْدَ مَا يَحْتِ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا وَشَدْحُهَا يَكُونُ بِجَمْعٍ نَخْدٌ مُحَدَّدَةٌ وَيَنْتَفِرُ
شَدْحُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ يَحْتِ يَقْطَعُ الْفِشْرُ الْأَعْلَى وَيُشَقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْفُذُهُ
إِلَى الْخَشَبِ فَإِنْ نَفَذَ إِلَى الْخَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِذَا شَدَحَهُ كَمَا وَصَفْنَا
أَمَلَهُ رِيثًا يَسِيلُ لَنَاءً عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِأَصْبَعِهِ مَسْمًا إِلَى قَرْنٍ فَإِذَا أَمْتَلَا
صَبَّهُ فِي قَنَاقِي رُجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لَنَاءُ
وَكُلَّمَا كَثُرَ النَّدَى فِي الْجَوِّ كَانَ لَنَاءُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ وَفِي الْجَذْبِ وَقِلَّةُ النَّدَا
يَكُونُ اللَّكَا أَنْزَرَ وَمَقْدَارُ مَا خَرَجَ مِنْهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ
وَفِي عَامٍ جَدْبٍ نِيفٌ وَعِشْرُونَ رِطْلًا. ثُمَّ تُوَخَّذُ الْقَنَاقِي فَيُدْفَنُ إِلَى
الْقَبْطِ وَحَمَارَةِ الْحَرِّ وَيُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَيُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ. ثُمَّ تَنْفَقِدُ كُلُّ
يَوْمٍ فَيُوجَدُ الدَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ قَوْقُ رُطُوبَةٍ مَائِيَّةٍ وَأَثْقَالِ أَرْضِيَّةٍ فَيَنْقَطِفُ
الدَّهْنُ ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ يَنْتَمِسُّهَا وَيَقْطِفُ دُهْنَهَا

حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا دُهْنٌ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ الدُّهْنُ وَيَطْبَخُ فِيهِ فِي الْخِنْجَةِ لَا
يُطْلَعُ عَلَى طَبْعِهِ أَحَدًا ثُمَّ يَرْقَعُهُ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ الدُّهْنِ الْخَالِصِ
مِنَ اللَّيْلِ بِالنُّوْبِ ثَمَانِ عَشْرَ أَجْمَلَةٍ وَقَالَ لِي بَعْضُ أَرْبَابِ الْخَبَرِ إِنَّ
الَّذِي يَحْصُلُ مِنْ دُهْنِهِ ثَمَانِينَ عَشْرِينَ رَطْلًا

وَرَأَيْتُ جَالِينُوسَ يَقُولُ إِنَّ أَجْوَدَ دُهْنِ الْبَلْسَانِ مَا كَانَتْ يَارُضِ
فَلَسْطِينَ وَأَضَعَنَهُ مَا كَانَتْ يَمِصُّ وَنَحْنُ فَلَا نَجِدُ الْيَوْمَ مِنْهُ يَفْلَسْطِينَ شَيْئًا
الْهَيْئَةَ وَقَالَ يَقُولُ لَوْسُ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ وَمِنْ النَّبَاتِ مَا لَهُ رَائِحَةُ طَبِيبَةٍ
فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا رَائِحَتُهُ الطَّبِيبَةُ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ كَالْبَلْسَانِ الَّذِي
يَكُونُ فِي الشَّامِ يَقْرِبُ بَحْرَ الزَّرْفِ وَالْيَدِ الَّتِي يُسْقَى مِنْهَا تُسَمَّى يَدُ الْبَلْسَمِ
وَمَا وَهِيَ عَذْبٌ وَقَالَ ابْنُ سَجُونَ: إِنَّمَا يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا يَمِصُّ
فَقَطُّ وَيُسَخَّرُ دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ كَلْبِ الْجُبَارِ وَهُوَ الشَّعْرَى وَذَلِكَ فِي
الشُّبَاطِ وَمِقْدَارُ مَا يُخْرَجُ مَا بَيْنَ خَمْسِينَ رَطْلًا إِلَى سِتِينَ وَسَبْعِينَ فِي مَكَانِهِ
بِضْعَيْنِ فِضَّةً وَكَانَ هَذِهِ أَمْحَالٌ قَدْ كَانَتْ فِي زَمَنِ ابْنِ سَجُونَ وَحُكْمِ
عَنِ الرَّازِيِّ أَنَّ بَدْلَهُ دُهْنُ الْفَجْلِ وَهَذَا يَبْعُدُ وَالْبَلْسَانُ الدُّهْنِيُّ لَا يَشْرَبُ
وَأِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ فُسُخٌ فَتُغْرَسُ فِي شُبَاطٍ قَتْلَقُ وَتَنْبِي. وَأِنَّمَا الشَّرْبُ
لِلذِّكْرِ الْبَرِّيِّ وَلَا دُهْنَ لَهُ وَيَكُونُ يَجِدُ وَهَامَةً وَرَارِي الْعَرَبِ
وَسَوَاحِلِ الْيَمَنِ وَبَارِضِ فَارِسَ وَيُسَمَّى الْبَشَامَ وَدُرِّي فِشْرٌ قَبْلَ
اِسْتِخْرَاجِ دُهْنِهِ فَيَكُونُ نَافِعًا مِنْ جَمِيعِ السُّمُومِ. وَأَمَّا خَوَاصُّهُ وَمَنَافِعُهُ
فَأَلَا لَبِقُ بِهَا غَيْرُ هَذَا الْكِتَابِ

٢٧٠
الفصل الثالث

فِي مَا تَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ

مِنْ ذَلِكَ الْحَيِيرُ وَالْحَيِيرُ يَبْصُرُ فَارِهِ جِدًّا وَتُرَكَّبُ بِالسُّرُوحِ وَتَجْرِي
مَعَ الْحَمَلِ وَالْبَقَالِ النَّفِيسَةِ وَلَعَلَّهَا تَسْبُتُهَا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرَةُ الْعَدَدِ
وَمِنْهَا مَا هُوَ عَالٍ يَحِثُّ إِذَا رُكِبَ بِسَرْجٍ اخْتَلَطَ مَعَ الْبَقَالَتِ . يَرْكَبُهُ
رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . يَبْلُغُ مِمَّنُ الْوَاحِدِ مِنْهَا عَشْرِينَ دِينَارًا إِلَى
أَرْبَعِينَ

وَأَمَّا بَقَرَةٌ فَعَظِيمَةُ الْخَلْقِ حَسَنَةُ الصُّورِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ هُوَ أَحْسَنُهَا
وَأَعْلَاهَا فِيهِ يَسَمَّى الْبَقَرُ الْخَيْسِيَّةُ وَهِيَ ذَوَاتُ قُرُونٍ كَانَتْهَا الْفَيْحِيُّ غَزِيرَاتُ
اللَّيْلِ

وَأَمَّا خَيْلُهَا فَعِنَاقُ سَابِقَةٍ . وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ ثَمَنُهُ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ
وَمِنْ ذَلِكَ الْفَاسِجُ وَالْفَاسِجُ كَثِيرَةٌ فِي الْبَيْلِ وَخَاصَّةً فِي الصَّعِيدِ
الْأَعْلَى وَفِي الْجَنَادِلِ فَإِنَّهَا تَكُونُ عَلَى الْمَاءِ وَيَبْنِي صُغُورَ الْجَنَادِلِ كَاللُّدُودِ
كَثْرَةً وَتَكُونُ كِبَارًا وَصَغَارًا وَتَنْتَبِهُ فِي الْكِبَرِ إِلَى ثِنْتَيْ عَشْرِينَ ذِرَاعًا
طُولًا . وَتُوجَدُ فِي سَطْحِ جَسَدِهَا بِلَى بَطْنُهُ سِلْعَةٌ كَالثِيضَةِ تَحْتَوِي عَلَى
رُطُوبَةٍ دَمَوِيَّةٍ وَهِيَ كَنَافِحَةِ الْيَسْكَ فِي الصُّورَةِ وَالطَّبِيبُ وَخَبَرٌ فِي الثَّقَةِ
أَنَّهُ يَنْدُرُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي عُلْوِ الْيَسْكَ لَا يَنْقُصُ عَنْهُ شَيْئًا . وَالْخِمْسَاجُ
يَبْيَضُ يَبْضًا شَبِيهَا يَبْيَضُ الدُّجَاجُ وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ مَنْسُوبٍ إِلَى أَرِسْطُو
مَا هَذِهِ صُورَتُهُ . قَالَ الْخِمْسَاجُ وَلَا يَفْعَلُ فِي جِلْدِهِ الْحَدِيدُ . وَمِنْ فَقَارِ
رَقَبَتِهِ إِلَى ذَنْبِهِ عَظْمٌ وَاحِدٌ وَلِهَذَا إِذَا انْقَلَبَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ

مَرْجَعٍ . قَالَ وَيَبْضُ نِبْطًا طَوِيلًا كَالْوَرْدِ وَيَذِفُهُ فِي الرَّمْلِ فَإِذَا أُخْرِجَ
كَانَ كَالْحَرَاذِينِ فِي جَنِينِهَا وَخَلْقِنِهَا . ثُمَّ يَعْظُمُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرَ أَذْرُعَ
وَأَزِيدَ وَيَبْضُ سِتِينَ بَيْضَةً لِأَنَّ خَلْقَتَهُ تَجْرِي عَلَى سِتِينَ سِنًا وَسِتِينَ عَرَفًا
وَمِنْ ذَلِكَ فَرَسُ الْبَحْرِ وَهَذِهِ تَوْجِدُ بِأَسْفَلِ الْأَرْضِ وَخَاصَّةً بِبَحْرِ
دِمْبَاطَ وَهُوَ حَيَوَاتٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ هَائِلُ الْمَنْظَرِ شَدِيدُ الْبَاسِ يَنْتَبِعُ
الْمُرَاكِبُ فَيَعْرِفُهَا وَهَيْلُكَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهَا وَهُوَ بِالنَّجَامِ مَوْسِمٌ أَشْبَهُ مِنْهُ
بِالْقُرْسِ لَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قَرْنٌ وَفِي صَوْتِهِ صَحْلَةٌ بِشَيْءٍ صَهْلِ الْقُرْسِ بَلْبُ
الْبَغْلِ وَهُوَ عَظِيمُ الْمَامَةِ هَرَبْتُ الْأَشْدَاقُ حَدِيدُ الْأَنْبَابِ عَرِيضُ
الْكَلْكِ مُتَبَخِّجُ الْجَوْفِ قَصِيرُ الْأَرْجْلِ شَدِيدُ الْوُتْبِ قَوِيُّ الدَّفْعِ مِهْبُ
الصُّورَةِ خَوْفُ الْغَائِلَةِ وَخَبَرَنِي مِنْ أَصْطَادِهَا مَرَاتٍ وَشَقَّهَا وَكَشَفَ عَنْ
أَعْضَائِهَا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ أَنَّهُا خَيْرٌ كَيْدٌ وَلَنْ أَعْضَاءَهَا الْبَاطِنَةَ
وَالظَّاهِرَةَ لَا تُغَادِرُ مِنْ صُورَةِ الْخَيْرِ شَيْئًا إِلَّا فِي عِظَمِ الْخَلْقَةِ . وَرَأَيْتُ
فِي كِتَابِ نَبُطِ الْبَاسِ فِي الْخَيَوَانِ مَا يَعْضُدُ ذَلِكَ وَهَذِهِ صُورَتُهُ . قَالَ
خَيْرِيَّةُ الْمَاءِ تَكُونُ فِي بَحْرِ مِصْرَ وَهِيَ تَكُونُ فِي عِظَمِ الْفِيلِ وَرَأْسُهَا بِشَيْءِ
رَأْسِ الْبَغْلِ وَلَهَا شِبْهُ الْجَمَلِ . قَالَ وَتَحْمُ مِنْهَا إِذَا أُذِيبَتْ بِسَوِيْقِي
وَشَرِيَّتُهُ أَمْرَأَةٌ أَسْمَنُهَا حَتَّى تَجُوزَ الْبِقْدَارَ

وَكَانَتْ وَاحِدَةً بِبَحْرِ دِمْبَاطَ فَذُضِرَتْ عَلَى الْمُرَاكِبِ تَعْرِفُهَا وَصَارَ
الْمَسَافِرُ فِي تِلْكَ الْأَجْهَةِ مَغْرَرًا وَضُرَتْ أُخْرَى بِجَهَةِ أُخْرَى عَلَى الْجَوَائِيسِ
وَالْبَقَرِ وَبَنِي آدَمَ تَقْتُلُهُمْ وَتَقْسِدُ الْحَرْتَ وَالنَّسْلَ . وَأَعْمَلُ النَّاسُ فِي
قَتْلِهَا كُلَّ جِلْدَةٍ مِنْ نَصَبِ الْحَبَائِلِ الْوُثِيقَةِ وَحَشْدِ الرِّجَالِ بِأَصْنَافِ

السِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَلَمْ يُجِدْ شَيْئًا قَاسِدًا عَنِ يَنْفَرِ مِنَ الرِّيسِ صِنْفٍ مِنَ
السُّودَانِ رَعَوْا أَمَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِدْهَا وَأَنَّهُ بَكِيرَةٌ عِنْدَهُمْ وَمَعَهُمْ
مَزَارِيقُ. فَتَوَجَّهُوا نَحْوَهَا فَاقْتُلُوا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَبَاهُونَ سَعْيَ وَاتُوا
بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَشَاهَدَتْهَا فَوَجَدَتْ جِلْدَ إِحْدَاهَا أَسْوَدَ أَجْرَدَ تُخَيِّفُ
جِلْدًا وَطُولَهَا مِنْ رَأْسِهَا إِلَى ذَنْبِهَا عَشْرُ خُطَوَاتٍ مُعْتَدِلَاتٍ وَهِيَ فِي غِلْظِ
أَجْمَاسِ نَحْوِ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ وَكَذَلِكَ رَقَبَتُهَا وَرَأْسُهَا. وَفِي مَقْدَمِ فِيهَا
أَثْنَا عَشَرَ نَابًا مِثْلَ مَنْ قَوْوٌ وَسِنَّةٌ مِنْ أَسْفَلِ النُّظَرِ قُرْبُهَا نِصْفُ ذِرَاعٍ
زَائِدٌ وَالْمُتَوَسِّطَةُ أَتَقْصُ بِقَلِيلٍ. وَبَعْدَ الْأَنْبَابِ أَرْبَعَةُ صُفُوفٍ مِنْ
الْأَسْنَانِ عَلَى خُطُوطٍ مُسْتَقِيمَةٍ فِي طُولِ الْقَرَى فِي كُلِّ صَفٍّ عَشْرَةٌ كَأَمْثَالِ
يَضِ الدُّجَاجِ الْمُصْطَفَى صَفَانِ فِي الْأَعْلَى وَصَفَانِ فِي الْأَسْفَلِ عَلَى
مُقَابَلَتِهَا. وَإِذَا فَعِرْفُوهَا وَسِعَ شَاةٌ كَبِيرَةٌ وَذَنْبُهَا فِي طُولِ نِصْفِ ذِرَاعٍ.
زَائِدٌ غِلْظٌ وَطَرْفُهُ كَأَلَا صَبْعٍ أَجْرَدٌ كَأَنَّهُ عَظْمٌ شَبِيهُ بِذَنْبِ الْوَرَلِ
وَلَزَجْلُهَا فِصَارٌ طُولُهَا نَحْوُ ذِرَاعٍ وَثُلُثٌ وَلَهَا شَبِيهُ نُخْفٍ الْبَعِيرِ إِلَّا أَنَّهُ
مَشْفُوقُ الْأَطْرَافِ بِأَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ وَأَرْجُلُهَا فِي غَايَةِ الْغِلْظِ. وَجُمْلَةُ جَنَّتِهَا
كَأَنَّهُمَا مَرْكَبٌ مَكْبُوبٌ لِعَظْمٍ مُنْظَرِهَا. وَبِالْجُمْلَةِ فِي أَطْوَلِ وَأَغْلَظِ مِنْ
الْفِيلِ إِلَّا أَنَّ أَرْجُلَهَا أَقْصَرُ مِنْ أَرْجُلِ الْفِيلِ بِكَبِيرٍ وَلَكِنْ فِي غِلْظِهَا أَوْ
أَغْلَظُ مِنْهَا

وَأَمَّا أَصْنَافُ السَّمَكِ عِنْدَهُمْ فَكَبِيرَةٌ لِأَنَّهُ يَجْنَعُ إِلَيْهِمْ سَمَكُ الْبَيْلِ
وَسَمَكُ الْبَحْرِ أَلَحُّ وَلَا يَبْنِي الْقَوْلُ بَيْنَهُمَا لَكِنَّا أَصْنَافُهَا وَأَحْيَا أَشْكَالِهَا
وَالْوَلَدِهَا

الفصل الرابع في انقصاص ما شوهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد يبصر من الآثار القديمة فشيء لم أرو ولم أسمع ينسب إليه في غيرها فأقتصر على أعجب ما شاهدته

فمن ذلك الأهرام وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساخنها وفي كثيرة العدد جدا وكلها يبرئ الحجة وعلى مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين وفي بؤصير منها شيء كثير وبعضها يكبر وبعضها صغار وبعضها طين ولين وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملت. وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب على يدي قراقوش بعض الأهرام. وكان خصباً رومياً سمي الهمة وكان حولي عماير مصر وهو الذي بنى السورين المحجرة محيطاً بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم وهو أيضاً الذي بنى القلعة وأنبت فيها اليدين الموجودتين اليوم وهما من العجايب وتزل إليها بدرج نحو ثلثمائة درج. وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى القناطر الموجودة اليوم بالجيزة. وهذه القناطر من الآنية العجيبة أيضاً ومن أعمال الحجارين وتكون نبتاً ولزعين فقطع. وفي هذه السنة وفي سنة سبع وتسعين وخمس مائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدّها رجاء أن يجنيس الماء فيروبه الجيزة فتويّت عليها جربة الماء فزلزلت منها تلك قناطر وأنشئت. ومع

ذَلِكَ فَلَمْ يَرَوْا رَجَاءً يُرَوَّى. وَقَدْ بَقِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَهْرَامِ الْمُهْدُومَةِ قَلْبُهَا
وَحُشُونُهَا وَهِيَ رَذْمٌ وَحِجَارَةٌ صِغَارٌ لَا تَصْلُحُ لِلْقَنَاطِيرِ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ
نُرِكَتْ

وَأَمَّا الْأَهْرَامُ أَلْتَحَدَّثُ عَنْهَا الْمَشَارُ إِلَيْهَا الْمَوْصُوفَةُ بِالْعِظَمِ. فَتَلَكُ
أَهْرَامٌ مَوْصُوعَةٌ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ بِالنَّجْدَةِ قِبَالَةَ الْقُسْطَاطِ وَبَيْنَهَا مَسَافَاتُ
بَسِيرَةٌ وَزَوَايَاهَا مُتَقَابِلَةٌ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَاثْنَانِ مِنْهَا عَظِيمَانِ جِدَا وَفِي قَدْسٍ
وَاحِدٍ وَبِهَا أُولُوعُ الشَّعْرَاءِ وَشَبُوهَا يَنْهَدِينَ قَدْ نَهَدَا فِي صَدْرِ الدِّيَّاسِ
الْبَصْرِيَّةِ وَهِيَ مُتَقَارِبَانِ جِدَا وَمِنْهُمَا بِنَاءُ حِجَارَةِ الْبَيْضِ. وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَبِنْفُصُ
عَنْهَا يَنْحَوِي الرُّبْعَ لَكِنَّهُ مَبْنِيٌّ بِحِجَارَةِ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ الْمُنْتَطِ الشَّدِيدِ
الْصَّلَاةِ وَلَا يُؤَثَّرُ فِيهِ التَّحْدِيدُ إِلَّا فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَنَحْوِ صِغَرٍ
بِالْقِيَاسِ إِلَى حَذَنِكَ فَإِذَا قُرِبَتْ مِنْهُ وَأَفْرَدَتْهُ بِالنَّظَرِ هَالِكٌ مَرَأَةٌ وَحَسَرُ
الْطَّرْفِ عِنْدَ تَأْمُلِهِ

وَقَدْ سَلِكَ فِي بِنَائِهِ الْأَهْرَامِ طَرِيقٌ مِنَ الشَّكْلِ وَالْإِثْقَانِ وَلِذَلِكَ
صَبَرَتْ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ بَلْ عَلَى مَمَرِهَا صَبَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّكَ إِذَا تَجَرَّعْتَهَا وَجَدْتَ
الْأَذْهَانَ الشَّرِيفَةَ قَدْ اسْتَهْلَكَتْ فِيهَا وَالْعُقُولَ الصَّافِيَةَ قَدْ أَفْرَعَتْ عَلَيْهَا
مَجْهُودَهَا وَالْأَنْفُسَ النُّورَةَ قَدْ أَفَاضَتْ عَلَيْهَا أَشْرَفَ مَا عِنْدَهَا لَهَا وَالْمَلَكَاتِ
الْمُنْدَسِيَّةَ قَدْ أَخْرَجَتْهَا إِلَى الْعِلْمِ مِثْلًا هِيَ غَايَةُ امْكَانِهَا حَتَّى أَنَّهَا تَكَادُ
تُحَدِّثُ عَنْ قَوْمِهَا وَتُخْبِرُ بِحَالِهِمْ وَتَنْطَلِقُ عَنْ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَتَنْزِجُ
عَنْ سِيرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ وَضْعَهَا عَلَى شَكْلِ مَخْرُوطٍ يَنْتَدِي مِنْ
قَاعَةٍ مُرَبَّعَةٍ وَيَنْتَهِي إِلَى نَقْطَةٍ. وَمِنْ خَوَاصِّ الشَّكْلِ الْمَخْرُوطِ أَنَّ مَرَكَزَ

ثِقَلِهِ فِي وَسْطِهِ وَهُوَ يَتَّسَدُّ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَوَاقِعُ عَلَى خَائِهِ وَيَحْمَلُ بَعْضُهُ
عَلَى بَعْضٍ فَلَيْسَ لَهُ جِهَةٌ أُخْرَى خَارِجَةٌ عَنْهُ يَسَاقُطُ عَلَيْهَا. وَمِنْ عَجِيبِ
وَضْعِهِ أَنَّهُ شَكْلُ مُرَبَّعٍ قَدْ قُوِّلَ بِزَوَايَاهُ مَهَبُ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ فَإِنَّ الرِّيحَ
تَنْكَبِرُ سَوْرَتَيْهَا عِنْدَ مُصَادَمَتِهَا الزَّوَايَةَ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَلْقَى
السَّطْحَ

وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ الْأَرْبَعِينَ الْعَظِيمِينَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ ذَكَرُوا أَنَّ قَاعِدَةَ كُلِّ
مِنْهَا أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ طُولًا فِي مِثْلِهَا عَرْضًا وَلَزِمَتْ قَاعِدَةُ عُمُودِهَا أَرْبَعُ مِائَةِ
ذِرَاعٍ وَذَلِكَ كُلُّهُ بِالذِّرَاعِ السُّودَةِ. وَيَنْقَطِعُ الْخُرُوطُ فِي أَعْلَاهُ عِنْدَ
سَطْحٍ مِسَاحَتُهُ عَشْرُ أَدْرَعٍ فِي مِثْلِهَا. وَأَمَّا الَّذِي شَاهَدْتُهُ مِنْ حَالِهَا فَإِنَّ
رَأْسَهَا كَانَ مَعَارِضَ سَهْمٍ فِي فُطْرٍ أَحَدِهَا وَفِي سَمَكِهِ فَسَطَ السَّهْمِ دُونَ
نِصْفِ الْمَسَافَةِ وَخَيْرٌ نَأْنٍ فِي الْقَرْيَةِ الْبُجَاوِرَةِ لَهَا قَوْمًا قَدِ اعْتَادُوا أَرْتِقَاءَ
الْهَرَمِ بِأَلْكَفَةٍ فَاسْتَدْعَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ وَرَضَخْنَا لَهُ بِشَيْءٍ. فَجَعَلَ يَصْعَدُ فِيهَا
كَأَنَّهُ يَرْفَعُ فِي أَحَدِنَا فِي الدَّرَجِ بَلْ أَسْرَعَ وَرَفَى بِتَعْلِيهِ وَأَنْوَاهُ وَكَانَتْ سَابِغَةً
وَكُنْتُ أَمْرُهُ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى سَطْحِهِ قَاسَهُ بِعَازِمَتِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ دَرَعْنَا
مِنْ عَازِمَتِهِ مِقْدَارَ مَا كَانَ قَاسَ فَكَانَ أَحَدَى عَشْرَةَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْبَيْدِ.
وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَرْبَابِ الْفِيَّاسِ قَالَ أَرْتِقَاءَ عُمُودِهَا ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ
وَتَحْوَ سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا يُحِيطُ بِهِ أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُثَلَّثَاتِ الْأَضْلَاعِ طُولُ
كُلِّ ضِلْعٍ مِنْهَا أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ وَتَسْتَوْنَ ذِرَاعًا وَلَدَسَ هَذَا الْفِيَّاسُ
خَطَاً وَلَوْ جُعِلَ الْعُمُودُ أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ لَصَحَّ فَيَاسُهُ وَإِنْ سَاعَدَتْ
الْمَقَادِيرُ قَوْلِيْتُ فَيَاسُهُ بِشَيْءٍ

وَفِي أَحَدِ هَذَيْنِ الْهَرَمَيْنِ مَدْخَلٌ لِيَلْحَقَ النَّاسُ بِتُفْضِي عِزِّهِ إِلَى مَسَالِكِ
 ضَيْقِهِ وَأَسْرَابِهِ مُتَنَافِئَةً وَأَبَارِ وَمَهَالِكَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَجْكِيهِ مِنْ يَلْحَقُهُ
 وَتَوَعُّلُهُ. فَإِنَّ نَاسًا كَثِيرِينَ لَمْ يَغْرَامُوا بِهِ وَتَحَبَّلُوا فِيهِ فَيُورَغَلُونَ فِي أَعْمَاقِهِ
 وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى مَا يَنْجُزُونَ عَنْ سُلُوكِهِ. وَأَمَّا السُّلُوكُ فِيهِ الْمَطْرُوقُ
 كَثِيرًا فَزَلَّاقَةٌ تُتَفَضَّى إِلَى أَعْلَاهُ. فَيُوجَدُ فِيهِ بَيْتٌ مُرَبَّعٌ فِيهِ نَاقُوسٌ مِنْ
 حَجَرٍ وَهَذَا الْمَدْخَلُ لَيْسَ هُوَ الْبَابُ الَّتِي تَخْدَلُهُ فِي أَصْلِ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا هُوَ
 مُنْتَوَبٌ نَقْبًا صُورِفَ اتِّفَاقًا. وَذِكْرُ أَنَّ الْمَأْمُونَ هُوَ الَّذِي فَتَحَهُ وَجُلُّ مَنْ
 كَانَ مَعَنَا وَلَجُوا فِيهِ وَصَعِدُوا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ. فَلَمَّا نَزَلُوا أَحَدُهُمْ
 يَعْظِمُ مَا شَاهَدُوا وَأَنَّهُ سَمِلُوهُ بِاتِّخَفَافِشِ وَأَبْوَالِهَا حَتَّى يَكَادُ يُبْغِضُ السَّالِكُ
 وَيَعْظُمُ فِيهَا اتِّخَفَافُشِ حَتَّى يَكُونَ فِي قَدْرِ الْحِمَامِ. وَفِيهِ طَافَاتٌ وَرَوَازِينُ
 نَحْوِ أَعْلَاهُ وَكَانَتْهَا جُعِلَتْ مَسَالِكُ لِلرَّجْعِ وَمَنَافِذُ لِلضُّومِ وَوَلَجْنُهُ مَرَّةً
 أُخْرَى مَعَ جَمَاعَةٍ وَلَقِيتُ نَحْوَ ثَلَاثِي الْمَسَافَةِ فَأُغْيِيَ عَلَيَّ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ
 فَرَجَعْتُ بِرَمَقٍ

وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ مَبْنِيَّةٌ بِحِجَارَةٍ جَافِيَةٍ يَكُونُ طُولُ النَّجْرِ مِنْهَا مَا بَيْنَ عَشْرِ
 أَدْرُعٍ إِلَى عِشْرِينَ ذِرَاعًا وَسَمَكُهَا مَا بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ إِلَى ثَلَاثٍ وَعَرْضُهُ نَحْوُ
 ذَلِكَ وَعَجَبُ كُلِّ الْعَجَبِ فِي وَضْعِ النَّجْرِ عَلَى النَّجْرِ بِهَيْدَامٍ لَيْسَ فِي
 الْإِمْكَانِ أَصَحُّ مِنْهُ يَحْتَضِرُ لَا يَجِدُ بَيْنَهُمَا مَدْخَلَ إِبْرَةٍ وَلَا خَلَلَ شَعْرَةٍ وَبَيْنَهُمَا
 طِبْنٌ كَأَنَّهُ الْوَرَقَةُ لَا أَدْرِي مَا صِنْفُهُ وَلَا مَا هُوَ. وَعَلَى نِلكِ الْحِجَارَةِ كِتَابَاتٌ
 بِالْقَلَمِ الْقَدِيمِ الْجَهْلُولِ الَّذِي لَمْ أَجِدْ بِدِيَارِ مِصْرَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ
 بَعْرِقَةٍ. وَهَذِهِ الْكِتَابَاتُ كَثِيرَةٌ جِدًّا حَتَّى لَوْ نُقِلَ مَا عَلَى الْهَرَمَيْنِ فَقَطُّ إِلَى

صُحِبَ لَكَانَتْ زُهْرًا عَشْرَةَ آلَافٍ صِحْفَةٍ. وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الصَّابِئَةِ
الْقَدِيمَةِ أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْهَرَمَيْنِ هُوَ قَبْرُ أَخَا يَهُونَ وَالْآخَرُ قَبْرُ هَرَمِيسَ
وَيَدْعُوْنَ أَنَّهُمَا نِيَّانِ عَظِيمَانِ وَلَنْ أَغَاذِيَهُنَّ أَقْدَمُ وَأَعْظَمُ وَأَنَّهُ كَانَ
نُحْجٌ إِلَيْهَا وَهُوَ يَحْوِي مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. وَقَدْ وَسَعْنَا الْقَوْلَ فِي
الْمَنْثُولِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ فَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فَقَلْبُهُ بِهِ فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ
مَنْصُورٌ عَلَى الْمَشَاهِدِ

وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ لَمَّا اسْتَقَالَ بَعْدَ أَبِيهِ سَوَّلَ لَهُ
جَهْلَهُ أَصْحَابُهُ أَنْ يَهْدِمَ هَذِهِ الْأَهْرَامَ. فَبَدَأَ بِالصَّغِيرِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ ثَالِثُ
الْأَنفَاءِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الْحُلِيَّةَ وَالنَّقَائِنَ وَالْمُجَارِينَ وَجَمَاعَةً مِنْ عُظَمَاءِ
دَوْلَتِهِ وَأَمْرَأَةً مَبْلُوكِيَّةً وَأَمَرَهُمْ بِهَدْيِهِ وَوَكَّلَهُمْ بِخَزَائِنِهِ فَجَمَعُوا عِنْدَهَا
وَحَشَرُوا عَلَيْهَا الرِّجَالَ وَالصَّنَاعَ وَوَقَرُوا عَلَيْهِمُ النِّقَاطَ وَأَقَامُوا نَحْوَ
ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يَخْلِعُهُمْ وَرَجُلُهُمْ يَهْدِيهِمْ كُلُّ يَوْمٍ بَعْدَ بَدَلِ الْجَهْدِ
وَالسِّتْرَانِ الْوُسْعِ النُّجَرِ وَالْمُجَرَّيْنِ. فَقَوْمٌ مِنْ فَوْقَ يَدْفَعُونَهُ بِالْأَسَافِينِ
وَالْأَخْطَالِ وَقَوْمٌ مِنْ أَسْفَلٍ يَحْدُبُونَهُ بِالْقُلُوسِ وَالْأَشْطَانِ فَإِذَا سَفَطَ
سَمِعَ لَهُ وَجَبَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ حَتَّى تَرْجَفَ لَهُ الْجِبَالُ وَتَزَلْزَلَ
الْأَرْضُ وَيَغْضُ فِي الرَّمْلِ فَيَتَعَبُونَ نَعْبًا آخَرَ حَتَّى يَخْرُجُوهُ ثُمَّ يَضْرِبُونَ
فِيهِ الْأَسَافِينَ بَعْدَ مَا يَنْتَبِهُنَّ لَهَا مَوْضِعًا وَيَبْتَدِئْنَ فِيهِ فَيَنْقَطِعُ قُطْعًا
فَتُحْبَبُ كُلُّ قِطْعَةٍ عَلَى الْبَعْجِ حَتَّى تُتْلَى فِي ذَيْلِ الْجَبَلِ وَهِيَ مَسَافَةٌ
قَرِيبَةٌ. فَلَمَّا طَالَ نَوَاطُهُمْ وَتَنَدَّتْ نَفَقَاتُهُمْ وَتَضَاعَفَ نَصَبُهُمْ وَوَهَتْ
عِزَاتُهُمْ وَخَارَتْ قُوَاهُمْ كَفُّوا مُحْصَرِينَ مَدْمُومِينَ لَمْ يَتَأَكُلُوا يَغِيبَةً وَلَا

بَلَّغُوا غَايَةَ بَلِّ كَانَتْ غَايَتُهُمْ أَنْ شَوْهُوا الْهَرَمَ وَأَبَانُوا عَنْ عَجْزٍ وَقَسَلٍ .
وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّائِي
لِحَجَارَةِ الْهَرَمِ يَظُنُّ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ اسْتَوْصَلَ فَإِذَا عَايَنَ الْهَرَمَ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ
يَهْدَمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنَّمَا جَانِبٌ مِنْهُ كُشِطَ بَعْضُهُ . وَحِينَ مَا شَاهَدْتُ الْمَشْفَقَةَ
الَّتِي يَجِدُونَهَا فِي هَذِهِ كُلِّ حَجَرٍ سَأَلْتُ مُقَدِّمَ الْحُجَّارِيِّينَ فَقُلْتُ لَهُ لَوْ
بُذِلَ لَكُمْ أَلْفُ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَرُدُّوا حَجَرًا وَاحِدًا إِلَى مَكَانِهِ وَهَذَا يَهُ هَلْ
كَانَ بِكُمْ ذَلِكَ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ لَيَعِزُّونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ
بُذِلَ لَهُمْ أَضْعَافُهُ

وَيَازَاهُ الْأَهْرَامُ مِنَ الصُّفَةِ الشَّرْقِيَّةِ مَغَايِرُ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ كَثِيرَةٌ الْبِقْدَارِ
عَمِيقَةُ الْأَنْوَارِ مُتَدَاخِلَةٌ . وَفِيهَا مَا هُوَ ذُو طَبَقَاتٍ ثَلَاثٌ وَتُسَمَّى الْمَدِينَةُ حَتَّى
لَعَلَّ الْفَارِسَ يَدْخُلُهَا بِرُفْعِهِ وَيَخْلُهَا بِوَمَا أَجْمَعَ وَلَا يَنْبُهَا لِكُنُفِهَا وَسَعِنَهَا
وَتُعْدِيهَا وَيُظْهِرُ مِنْ حَالِهَا أَنَّهَا مَنَاطِعُ حِجَارَةِ الْأَهْرَامِ . وَأَمَّا مَنَاطِعُ حِجَارَةِ
الصَّوَانِ الْأَخْرَى فَيَقَالُ إِنَّهَا يَالْقَلْزَمُ وَيَا سَوَانَ

وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَهْرَامِ آثَارُ أُبْنِيَّةِ جِبَارَةٍ وَمَغَايِرُ كَثِيرَةٌ مُتَفَنَّةٌ وَقَلَمَا تَرَى
مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا وَتَرَى عَلَيْهِ كِتَابَاتٍ يَهْدِي الْقَلَمُ الْجَهْلُولِ
وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَهْرَامِ يَأْكُثَرُ مِنْ غُلُوفِ صُورَةِ رَأْسٍ وَعَنْقٍ بَارِزَةٍ مِنْ
الْأَرْضِ فِي غَايَةِ الْعِظَمِ يُسَمَّى النَّاسُ أَبَا الْهَوْلِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ جُسْنَهُ
مَذْفُونَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَقْتَضِي الْقِيَاسُ أَنْ تَكُونَ جُسْنُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَأْسِهِ
سَبْعِينَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَفِي وَجْهِهِ حُمْرَةٌ وَدِهَانٌ أَحْمَرٌ يَلْمَعُ عَلَيْهِ رَوْتٌ
الطَّرِيقُ وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ مَقْبُولُهَا عَلَيْهِ مَسْحَةٌ بِهَا وَجَالٍ كَأَنَّهُ يَبْخُكُ

تَسْمَا. وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْفُضَلَاءِ مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ فَقُلْتُ تَنَاسُبُ وَجْهِ أَبِي
 الْهَوَلِ فَإِنَّ أَعْضَاءَ وَجْهِهِ كَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالْأَذُنِ مُتَنَاسِبَةٌ كَمَا تَصْنَعُ
 الطَّبِيعَةُ الصُّورَ مُتَنَاسِبَةً. فَإِنَّ أَنْفَ الْطِفْلِ مَثَلًا مُنَاسِبٌ لَهُ وَهُوَ حَسَنٌ
 بِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْأَنْفُ لِرَجُلٍ لَكَانَ مُشَوَّهًا بِهِ وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ
 أَنْفُ الرَّجُلِ لِلصَّيْرِ لَتَشَوَّهَتْ صُورَتُهُ وَعَلَى هَذَا سَائِرُ الْأَعْضَاءِ فَكُلُّ
 عُضْوٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى مِقْدَارٍ وَهَيْئَةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَعَلَى
 نِسْبَتِهَا فَإِنَّ لَمْ تُوجَدْ الْمُنَاسِبَةُ تَشَوَّهَتْ الصُّورَةُ وَالْعَجَبُ مِنْ مُصَوِّرِهِ
 كَيْفَ قَدَّرَ أَنْ يَحْفَظَ نِظَامَ التَّنَاسُبِ فِي الْأَعْضَاءِ مَعَ عَظِيمِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ
 فِي أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ مَا يُعْجِزُكَ وَيَقْتُلُهُ

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارُ الَّذِي بَعَيْنِ شَمْسٍ وَهِيَ مَدِينَةُ صَغِيرَةٌ يُشَاهِدُ سُورَهَا
 مُخْدِفًا بِهَا مَهْدُومًا وَيُظْهِرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهُمَا قَدْ كَانَتْ بَيْتَ عِبَادَةٍ. وَفِيهَا مِنْ
 الْأَصْنَامِ أَلْمَائِلَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّكْلِ مِنْ نَحْبِ الْمَجَارَةِ يَكُونُ طُولُ الصَّمِّ
 زُهًا كَلِيلَيْنِ ذِرَاعًا وَأَعْضَاؤُهُ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ مِنَ الْعِظَمِ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ
 هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَائِمًا عَلَى قَوَاعِدَ وَبَعْضُهَا قَائِمًا بِنُصْبَاتٍ عَجِيبَةٍ وَالْمَقَانِاتُ
 مُحْكَمَةٌ وَبَابُ الْمَدِينَةِ مَوْجُودٌ إِلَى الْيَوْمِ. وَعَلَى مُعْظَمِ تِلْكَ الْمَجَارَةِ تَصَاوِيرُ
 الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَكُنَايَاتُ كَثِيرَةٍ بِالْقَلَمِ الْجَهُولِ وَقَلَمًا
 تَرَى حَجَرًا غُفْلًا مِنْ كِتَابَةٍ أَوْ نَقْشٍ أَوْ صُورَةٍ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْيَسَلْتَانِ
 الْمَشْهُورَتَانِ وَتُسَمَّيَانِ مِسْلَتِي فِرْعَوْنَ وَضَنَةُ الْيَسَلَةِ أَنْ قَاعِدَةً مُرَبَّعَةً طُولُهَا
 عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي يَنْبُلِهَا عَرْضًا فِي نَحْوِهَا سِتْمًا قَدْ وَضِعَتْ عَلَى أَسَاسٍ ثَابِتٍ
 فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أُقِيمَ عَلَيْهَا عَمُودٌ مُرَبَّعٌ مَخْرُوطٌ يَنْبِفُ طُولُهُ عَلَى مِائَةِ ذِرَاعٍ

يَتَدَيُّ بَيْنَ قَاعَيْهِ لَعَلَّ فُطْرَهَا خَمْسُ أَذْرُعٍ وَيَشْتَبِي إِلَى تَقَطُّوعٍ وَقَدْ لَيْسَ
رَأْسُهَا بِقَلَنْسُوءَةٍ نَحَاسٍ إِلَى نَحْوِ ثَلَاثِ أَذْرُعٍ مِنْهَا كَأَنَّمَا لَيْسَ بِهَا . وَقَدْ تَزَجَّرَ
بِالْمَطَرِ وَلِجَوْلِ الْمَدِينَةِ وَأَخْضَرَ وَسَالَ مِنْ خُضْرَتِهِ عَلَى بَسِيطِ الْيَسَلَةِ .
وَالْيَسَلَةُ كُلُّهَا عَلَيْهَا كِتَابَاتٌ بِذَلِكَ الْقَلَمِ وَرَأَيْتُ إِحْدَى الْيَسَلَتَيْنِ
وَقَدْ خَرَّتْ وَأَنْصَدَعَتْ مِنْ نِصْفِهَا لِعِظَمِ الثَّقَلِ وَأَخَذَ النَّحَاسُ مِنْ رَأْسِهَا .
فَمِنْ حَوْلِهَا مِنَ الْمَسَالِ شَيْئًا كَثِيرًا لَا يَحْصِي عَدْدُهَا وَمَقَادِيرُهَا عَلَى نِصْفِ
تِلْكَ الْعُظْمَى أَوْ ثُلَاثِهَا وَقَلَمًا يَجْدُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِ الصِّغَارِ مَا هُوَ قِطْعَةٌ
وَاحِدَةٌ بَلْ فُصُوصٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَقَدْ تَهَدَّمَتْ أَكْثَرُهَا وَإِنَّمَا بَقِيََتْ
قَوَاعِدُهَا . وَرَأَيْتُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ يَسَلَتَيْنِ عَلَى سَيْفِ الْبَحْرِ فِي وَسَطِ
الْبَحَارَةِ أَكْبَرَ مِنْ هَذِهِ الصِّغَارِ وَأَصْغَرَ مِنَ الْعُظَمَتَيْنِ

وَأَمَّا الْبَرَابِيُّ بِالصَّعِيدِ فَالْحِكَايَاتُ عَنْ عِظَمِهَا وَإِقْفَانِ صَنْعَتِهَا وَأَحْكَامِ
صُورِهَا وَتَعْجَائِبِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْكَالِ وَالنُّقُوشِ وَالنَّصَاوِيرِ وَالْخُطُوطِ
مَعَ إِحْكَامِ الْبِنَاءِ وَجَفَاءِ الْأَلَاتِ وَالْأَتَجَارِ مَا يَبُوتُ الْحُضْرَ وَفِي مَنَ
الشَّهَرَةِ يَحْبُثُ تَغْنِي عَنْ الْإِطَالَةِ فِي الصِّفَةِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارُ الَّذِي يَبْصُرُ الْقَدِيمَةَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةَ بِالْمَجْنَةِ فَوْقَ
الْفُسْطَاطِ وَفِي مَنْفُ الْوَيْي كَانَ يَسْكُنُهَا الْقَرَاعَةُ وَكَانَتْ مُسْتَقَرًّا مَمْلُوكَةً
مُلُوكِ مِصْرَ

فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَعَ سَعَتِهَا وَقَادِمِ عَهْدِهَا وَتَدَاوُلِ الْيَلَلِ عَلَيْهَا وَأَسْتِثْصَالِ
الْأُمَمِ إِيَّاهَا مِنْ تَغْنِيَةِ آثَارِهَا وَنَحْوِ رُسُومِهَا وَثَقُلِ حِجَارِهَا وَالْأَعْمَارِ
وَالْفَسَادِ أَنْبَنِيهَا وَنَشْوِيهِ صُورِهَا مُضَافًا إِلَى مَا فَعَلْتُهُ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَلْفِ

سَنَةً فَصَاعِدًا تَجِدُ فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ مَا يَفُوتُ فَمَنِ الْقَطِينُ الْمَتَائِلُ وَنَحْصَرُ
 دُونَ وَصْفِهِ الْبَلِيغُ اللَّسِينُ وَكُلُّمَا زِدْتَهُ نَأْمَلَا زَادَكَ عَجَابًا وَكُلُّمَا زِدْتَهُ
 نَظَرًا زَادَكَ طَرَبًا وَمَهُمَا اسْتَنْبَطْتَ مِنْهُ مَعْنَى أَنَّهُ أَكْ يَبَاهُو أَغْرَبُ وَمَهُمَا
 اسْتَنْتَرْتَ مِنْهُ عِلْمًا ذَكَكَ عَلَى أَنْوَرَةٍ مَاهُوَ أَعْظَمُ

فَمِنْ ذَلِكَ الْآيَتِ الْمُسَمَّى بِالْآيَةِ الْأَخْضَرِ وَهُوَ جَرَّ وَاحِدٌ نِسْعُ
 أَذْرُعٍ أَرْقَاعًا فِي ثَمَانِ طُولًا فِي سَبْعِ عَرْضًا قَدْ حَفِرَ فِي وَسْطِهِ بَيْتٌ قَدْ
 جُعِلَ سَمَكٌ حِطَانِيهِ وَسَفْنِيهِ وَلَرَضِيهِ ذِرَاعَيْنِ ذِرَاعَيْنِ وَالْبَاقِي فُضَاءٌ
 الْآيَةُ وَجَمِيعُهُ ظَاهِرٌ وَأَبَاطِنًا مَنُوشٌ وَمُصَوَّرٌ وَمَكْتُوبٌ بِأَلْقَمِ الْقَدِيمِ
 وَعَلَى ظَاهِرِهِ صُورَةُ الشَّمْسِ بِمَا يَلِي مَطْلِعَهَا وَصُورٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ
 وَالْأَفْلَاقِ وَصُورُ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ الثَّنْبَاتِ وَالْمَبْنَاتِ
 فَمِنْ بَيْنِ قَائِمٍ وَمَاشٍ وَمَا ذَرَجَلِيهِ وَصَافِيهَا وَسُسْتِيرٌ (مُسْتِيرٌ) لِلْخِدْمَةِ
 وَحَامِلِ آلَاتٍ وَالْمُشِيرِ بِهَا. بَنِي ظَاهِرُ الْأَمْرِ أَنَّهُ فِصْدٌ بِذَلِكَ عُمَاكَاةُ
 أُمُورٍ جَلِيلَةٍ وَأَعْمَالٍ شَرِيفَةٍ وَهِيَ بَاتٌ فَاضِلَةٌ وَأَشَارَاتٌ إِلَى أَسْرَارٍ غَامِضَةٍ
 وَأَنَّهُمَا لَمْ يُتَّخَذْ عَيْنًا وَلَمْ يُسْتَفْرَغْ فِي صَنْعَتِهَا الْوُسْعُ لِحُجْرَةِ الزَّيْنَةِ وَالْحُسْنِ .
 وَقَدْ كَانَ هَذَا الْآيَةُ مُمَكَّنًا عَلَى قَوَاعِدٍ مِنْ حِجَارَةِ الصَّوَانِ الْعَظِيمَةِ الْوُثْقَةِ
 تَحْفَرُ تَحْتَهَا الْجُهْلَةُ وَالْحَقِيقُ طَبْعًا فِي الْمَطَالِبِ فَتَغْيِيرُ وَضْعُهُ وَفَسَدُ هَيْئَتِهِ
 وَاخْتِلَافُ مَرَكِّزِ ثِقَلِهِ وَقَلْبَ بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ فَتَصَدَّعَ صُدُوعًا لَطِيفَةً
 يَسِيرَةً . وَهَذَا الْآيَةُ قَدْ كَانَ فِي هَيْئَتِهِ عَظِيمٌ مَنِيْرٌ بِحِجَارَةٍ عَائِيَةٍ جَافِيَةٍ
 عَلَى آتَنِ هَيْئَتِهِ وَأَحْكَمَ صَنْعَتِهِ وَفِيهَا قَوَاعِدُ عَلَى عُمَدٍ عَظِيمَةٍ وَحِجَارَةٌ
 الْمَذْمُومَةِ مُتَوَاصِلَةٌ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ هَذَا الْخَرَابِ . وَقَدْ بَقِيَ فِي بَعْضِهَا حِطَانٌ

مَا لَيْلَةَ يَتْلِكَ الْحَجَارَةُ الْجَوَافِيَّةَ . وَفِي بَعْضِهَا أَسَاسٌ وَفِي بَعْضِهَا أَطْلَالٌ
وَرَأَيْتُ عِنْدَ بَابِ شَاهِقَا رُكْنَاهُ حَجْرَانِ قَنَطٍ وَأَرْجَحُهُ حَجْرٌ وَاحِدٌ قَدْ سَقَطَ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَجِدُ هَذِهِ الْحَجَارَةَ مَعَ الْمُنْتَامِ الْعُجْمِ وَالْوَضْعِ الْمُنْتَنِ قَدْ خَيْرَ
بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ مِنْهَا نَحْوُ شِبْرٍ فِي أَرْتِفَاعِ أَصْبَعَيْنِ وَفِيهِ صَدَأَةُ النُّحَاسِ
وَرَجَحْتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ قُبُودُ الْحَجَارَةِ الْيَنَاءِ وَتَوْثِيقُ لَهَا وَرِيبَاطَاتُ
بَيْنَهَا بِأَنَّ يُجْعَلَ بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِ الرِّصَاصُ وَقَدْ تَتَّبَعَهَا
الْأَنْدَالُ وَالْخُدُودُونَ فَقَلَعُوا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَسَرُوا لِأَجْلِهَا كَثِيرًا
مِنَ الْحَجَارَةِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَيْهَا وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ بَذَلُوا الْجُهْدَ فِي اسْتِخْلَاصِهَا
وَأَبْنَاءُ عَن تَمَكُّنٍ مِنَ اللُّؤْمِ وَتَوَغُّلٍ فِي الْحَسَاسَةِ

وَأَمَّا الْأَصْنَامُ وَكَثْرَةُ عَدْدِهَا وَعِظَمُ صُورِهَا فَأَمْرٌ يَفُوتُ الْوَصْفَ
وَيَجَاوِزُ التَّنْقِيدَ . وَأَمَّا ائْتِنَانُ أَشْكَالِهَا وَإِحْكَامُ هَيْئَتِهَا وَالنُّحَاكَاةُ بِهَا
الْأُمُورَ الطَّبِيعِيَّةَ فَمَوْضِعُ التَّعَجُّبِ بِالْحَقِيقَةِ . فَمِنْ ذَلِكَ صَمٌّ ذَرَعَاتُهُ
سَوَى فَاعِدَتِهِ فَكَانَ تِنَقُّا وَكَلْبَيْنِ ذِرَاعًا وَكَانَ مَدَاهُ مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ إِلَى
الْبَسَارِ نَحْوَ عَشْرِ أَذْرُعَ . وَمِنْ جِهَةِ الْخَلْفِ إِلَى الْأَمَامِ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ
وَهُوَ حَجْرٌ وَاحِدٌ مِنَ الصُّوَانِ الْأَخْرِ وَعَلَيْهِ مِنَ الدِّهَانِ الْأَخْرِ كَأَنَّهُ لَمْ
يَزِدْهُ تَقَادُمُ الْأَيَّامِ إِلَّا جِلَّةً . وَالتَّعَجُّبُ كُلُّ التَّعَجُّبِ كَيْفَ حِفْظُ فِيهِ مَعَ
عِظَمِهِ النِّظَامُ الطَّبِيعِيُّ وَالتَّنَاسُبُ الْحَقِيقِيُّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ
الْأَعْضَاءِ أَلَا لِيَةِ الْمُتَشَابِهَةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ مِثْقَالٌ مَا وَلَهُ إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ
نِسْبَةٌ مَا يَذَلِكُ الْمِثْقَالُ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ بِحُصُلِ حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَمَلَاحَةِ
الصُّورَةِ فَإِنْ أَخْلَلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَدَثَ مِنَ التَّفْعُرِ يَبْغِي تَارِيخَ الْخَلَلِ .

وَقَدْ أَحْكَمَ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ هَذَا النِّظَامُ إِحْكَامًا أَسْبَغَ إِحْكَامًا فَمِنْ ذَلِكَ
 مَنَادِيرُ الْأَعْضَاءِ فِي نَفْسِهَا ثُمَّ نَسَبَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ
 وَرَأَيْتُ أَسَدَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ بَيْنَهُمَا أَمَدٌ قَرِيبٌ وَصُورُهُمَا هَائِلَةٌ جِدًّا وَقَدْ
 حُفِظَ فِيهَا النِّظَامُ الطَّبِيعِيُّ وَالتَّنَاسُبُ الْحَيَوَانِيُّ مَعَ كَوْنِهَا أَعْظَمَ جَنَّةٍ مِنَ
 الْحَيَوَانِ الْخَفِيِّ جِدًّا وَقَدْ تَكْسَرُ أَرْوَامُهَا بِالْأَرَابِ وَوَجَدْنَا مِنْ سُورِ
 الْمَدِينَةِ قِطْعَةً صَالِحَةً مَبْنِيَةً بِالْحِجَارَةِ الصَّغِيرِ وَالطُّوبِ وَهَذَا الطُّوبُ
 كَثِيرٌ جَانِبَ مَطَاوِيلِ الشَّكْلِ وَبِفَنَائِهِ نِصْفُ الْأَجْرِ الْكُسْرِيِّ بِالْعِرَاقِ
 كَأَنَّ طُوبَ يَصْرُ الْيَوْمَ نِصْفُ أَجْرِ الْعِرَاقِ الْيَوْمَ أَيْضًا
 (ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ) يَحْدُثُونَ نَوَافِسَ تَحْتَ الْأَرْضِ فَسِجَّةُ الْأَرْجَاءِ مُحْكَمَةٌ
 الْبِنَاءُ وَفِيهَا مِنْ مَوْتَى الْقَدَمَاءِ أَكْثَرُ الْغَنِيِّ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ قَدْ لُفُوا بِأَكْفَانٍ
 مِنْ ثِيَابِ الْقِنَبِ لَعَلَّهُ يَكُونُ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْهَا زُهَاءٌ أَلْبَنُ ذِرَاعٍ وَقَدْ كُنْفُ
 كُلِّ عِضْوٍ عَلَى أَنْفَرَادِهِ كَالْبَيْدِ وَالرَّجْلِ وَالْأَصَابِعِ فِي قُبُطٍ دَقَاقٍ ثُمَّ
 بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثُ جَنَّةٍ الْمَيِّتِ جُمْلَةً حَتَّى يَرْجِعَ كَأَنَّهُمْ الْعَظِيمُ وَمَنْ كَانَ
 يَتَّبِعُ هَذِهِ النَّوَافِسَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الرِّيفِ وَغَيْرِهِمْ يَأْخُذُ هَذِهِ
 الْأَكْفَانِ فَأَوْجَدَ فِيهِ نَمَاسًا أَكْثَرَ فَيَأْبَا أَوْبَاعَهُ لِلْوَرَائِقِ يَبْعَلُونَ مِنْهُ
 وَرَقَ الْعَطَارِينَ وَيُوجَدُ بَعْضُ مَوْتَانٍ فِي تَوَائِيتٍ مِنْ خَشَبٍ جُبَيْرٍ
 يُخْبِنُ وَيُوجَدُ بَعْضُهُمْ فِي نَوَافِسٍ مِنْ حِجَارَةٍ لِمَا رَحِمَ وَأَمَّا صَوَانٍ وَبَعْضُهُمْ
 فِي أَرْبَابٍ مَمْلُوءَةٍ عَسَلًا وَخَبَرِي الثَّقَةِ أَنَّهُمْ يَتَنَاكَتُونَ بِتَقْنُونَ الْمَطَالِبِ
 عِنْدَ الْأَهْرَامِ صَادِقُوا دَنَا مَحْنُومًا قَفْضُهُ فَإِذَا فِيهِ عَسَلٌ فَأَكَلُوا مِنْهُ فَعَلَقَ
 فِي أَصْبَعٍ أَحَدِهِمْ شَعْرًا فَجَدَّ بِهِ فَظَهَرَ لَمْ صَبِيٍّ صَغِيرٌ مَتَابِكُ الْأَعْضَاءِ

رَطْبُ الْبَدَنِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلِيِّ وَالْجَوْهَرِ. وَهُوَ لَا يَمُوتُ قَدْ يُوجَدُ عَلَى
جِبَاهِهِمْ وَعُمُومِهِمْ وَأَنْوَافِهِمْ وَرَقٍّ مِنَ الذَّهَبِ كَالْفِشْرِ. وَرُبَّمَا وَجِدَ فِشْرٌ
مِنَ الذَّهَبِ عَلَى جَمِيعِ أَلْيَتِ كَالْعِشَاءِ وَرُبَّمَا وَجِدَ عِنْدَ شَيْءٍ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْحَلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَرُبَّمَا وَجِدَ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِي كَانَ يُزَوِّلُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ.
وَأَخْبَرَنِي الثُّغَّةُ أَنَّهُ وَجِدَ عِنْدَ مَيِّتٍ مِنْهُمْ آكَةَ الْهَرَمِيِّ مِسْنًا وَمُومَى وَعِنْدَ
آخَرِ آكَةِ الْحَجَّامِ وَعِنْدَ آخَرِ آكَةِ الْحَائِكِ وَيُظْهِرُ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ
مِنْ سُنَّتِهِمْ أَنْ يَذْفُونَا مَعَ الرَّجُلِ اللَّهُ وَمَا لَهُ. وَسَمِعْتُ أَنَّ طَوَائِفَ مِنَ
الْحَبَشَةِ هُنَا سُنَّتُهُمْ وَيَتَطَبَّرُونَ بِسِتَاعِ أَلْيَتِ إِنْ يَمْسُوهُ أَوْ يَتَصَرَّقُوا فِيهِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ يُجْعَلُ مَعَ أَلْيَتِ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ.
فَخَبَّرَنِي بَعْضُ قُضَاةِ بُوَيْصِرَ وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ مَدَائِنَهُمْ أَنَّهُمْ نَبَشُوا ثَلَاثَةَ أَقْبَرٍ
فَوَجَدُوا عَلَى كُلِّ مَيِّتٍ فِشْرًا رَفِينًا مِنَ الذَّهَبِ لَا يَكَادُ يُجْمَعُ وَفِيهِ
سَيِّكَةٌ مِنَ الذَّهَبِ فَجَمَعَ السَّبَائِكُ الثَّلَاثَةَ فَكَانَ وَزْنُهَا تِسْعَةٌ مِثْقَالٍ
وَالْحِكَايَاتُ فِي ذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَحْصُرَهَا هَذَا الْكِتَابُ

وَأَمَّا مَا يُوجَدُ فِي أَجْوَادِهِمْ وَأَضْيَعَتِهِمْ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُسَمُّوهُ مُوْمِيَا
فَكَبِيرٌ جِدًّا يَحْلِيهِ أَهْلُ الرِّيفِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَيَبْتَاعُ بِالشَّيْءِ النَّزِيرِ وَلَقَدْ
اشْتَرَيْتُ ثَلَاثَةَ أَرْؤُسٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْهُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ مِصْرِيِّ وَلَرَانِي بِأَتْعُهُ
جُودًا مَمْلُوءًا مِنْ ذَلِكَ. وَكَانَ فِيهِ الصَّدْرُ وَالْبَطْنُ وَحَشَوُهُ مِنْ هَذَا
الْمُومِيَا وَرَأَيْتُهُ قَدْ دَاخَلَ الْعِظَامَ وَتَشَرَّبَتْهُ وَسَرَى فِيهَا حَتَّى صَارَتْ
كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهُ وَرَأَيْتُ أَيْضًا عَلَى فِجْفِ الرَّأْسِ أَثَرَ قُوبِ الْكُفَنِ وَأَثَرَ
النِّسَاجَةِ قَدْ انْتَفَشَ فِيهِ كَأَنَّهُ يَرْتِمُ عَلَى الشَّمْعِ إِذَا حُمَّتْ بِهِ عَلَى قُوبِ

وَهَذَا الْمُومِيَا هُوَ أَسْوَدٌ كَالْقَرِ وَرَأَيْتُهُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ حَرُّ الصَّيْفِ
يَجْرِي وَيَلْصِقُ بِهَا بَدَنُ مَوْتِهِ وَإِذَا طَرِحَ عَلَى الْجَمْرِ غَلِيَ وَدَخَنَ وَشُمِيتَ
مِنْهُ رَائِحَةُ الْقَرِ أَوْ الزَّيْتِ وَالْغَالِبُ أَنَّهُ زَيْتٌ وَمَرٌّ. وَأَمَّا الْمُومِيَا بِالْحَقِيقَةِ
فَتُحْمَلُ مِنْ رُؤُسِ الْجِبَالِ مَعَ الْبَهَائِمِ ثُمَّ يَجْعَلُ كَالْقَارِ وَيَفُوحُ مِنْهُ
رَائِحَةُ زَيْتٍ مَخْلُوطٍ يَقْرِ. وَقَالَ جَالِينُوسُ الْمُومِيَا تَخْرُجُ مِنَ الْعُيُونِ
كَالْقَارِ وَالنَّفِطِ. وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ صَنْفٌ مِنَ الْقَارِ وَيُسَمَّى حِضَّ الْجِبَالِ
وَهَذَا الَّذِي يُوجَدُ فِي تَجَاوِفِ الْمَوْتَى يَبْصُرُ لَا يَبْعُدُ عَنْ طِبَاعِ الْمُومِيَا
وَأَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ بِدَلَّةٍ إِذَا نَعَسَ

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يُوجَدُ فِي مَدَائِنِهِمْ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ
وَالْحَشَرَاتِ وَقَدْ كُنِيَ الْوَاحِدُ مِنْهَا فِي كَذَا كَذَا ثَوْبًا وَهُوَ مُخْنَطٌ عَلَيْهِ
مُحْفَظٌ بِهِ. وَخَبَرَنِي الْفَتَى أَنَّهُمْ وَجَدُوا يَتَاخَتُّ الْأَرْضَ مُحْكَمًا فَتَقْوُهُ
فَوَجَدُوا فِيهِ لَفَائِفَ ثِيَابِ النَّسَبِ وَقَدْ تَبَعَطَتْ فَأَزَالُهَا مَعَ كَثَرَتِهَا
فَوَجَدُوا تَحْتَهَا عِجَالًا صَحِيحًا قَدْ أَحْكَمُ تَقْبِطُهُ. وَحَدَّثَنِي آخَرُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا
صَفْرًا فَنَشَرُوا عَنْهُ مِنْ لَفَائِفِ الثِّيَابِ حَتَّى عُبُوا فَوَجَدُوهُ لَمْ تَسْفُطْ مِنْهُ
رَيْشَةٌ. وَحَكِي لِي مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ هِرٍّ وَعَنْ عُصْفُورٍ وَعَنْ خُنْفَسَاءَ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مَا يَبْطُلُ شَرْحُهُ وَيَقْبَلُ ذِكْرُهُ

وَحَكِي لِي أَيْضًا الْأَمِيرُ الصَّادِقُ أَنَّهُ كَانَ يَفُوصَ قَجَاةً إِلَيْهِ مِنْ بَيْتِ
عَنِ الْمَطَالِبِ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُمْ اتَّخَذَتْ بِهِمْ هَوَّةٌ مُوهِبَةٌ أَنَّ فِيهَا دَفِينًا
فَخَرَجَ مَعَهُمْ بِجَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ وَحَفَرُوا فَوَجَدُوا زَيْدًا كَبِيرًا مُوْتَقً الرُّأْسِ
بِالْحَصِيِّ فَتَقْوُهُ بَعْدَ الْجَهْدِ فَوَجَدُوا فِيهِ كَالْأَصَابِعِ مَكْنَنَةً يَجْرِي تَحْلُوهَا

فَوَجَدُوا تَحْتَهَا صِيْرًا وَهُوَ سَمَكٌ صَغِيرٌ وَصَارَ كَالْمَبَاءِ إِذَا نُفِخَ طَارَ فَتَنَلُوا
الزَّيْرَ إِلَى مَدِينَةِ قُوصَ بَيْنَ بَدَايَةِ الْوَالِي وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ
فَخَلُّوا الْجَمِيعَ حَتَّى أَتَوْا عَلَى آخِرِهِ وَهُوَ كَلْبٌ صَبْرٌ مَكْنُونٌ لَيْسَ فِيهِ سِوَى ذَلِكَ
وَرَأَيْتُ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَدَائِنِهِمْ يَبْصُرُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يَبْنِي بِهِ
هَذَا الْكِتَابُ. فَمِنْ ذَلِكَ أَنِّي وَجَدْتُ فِي هَذِهِ الْمَدَائِنِ مَقَايِرَ تَحْتَ الْأَرْضِ
مَبْنِيَّةٌ بِإِثْنَانٍ وَفِيهَا رِمٌّ مَكْنُونٌ فِي كُلِّ مَقَارِفٍ عَدَدٌ لَا يُحْصَى. وَبَيْنَ الْغَايِرِ
مَا هُوَ مَسْلُوكٌ بِرِمِّ الْكِلَابِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مَسْلُوكٌ بِرِمِّ الْبَقَرِ وَمِنْهَا مَا فِيهِ رِمٌّ
السَّيَائِرِ وَالْجَمِيعُ مَكْنُونٌ يَخْرُقُ الْقِنَبَ. وَرَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ عِظَامِ بَنِي آدَمَ
وَقَدْ تَمَشَّقَ حَتَّى صَارَ كَالْيَبِّ الْأَبْيَضِ لِقَدَمَيْهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَكَثُرَ الرِّمُّ
الَّتِي رَأَيْتُهَا صَالِيَةً مُنَاسِكَةً جِدًّا بَظَهْرٍ مِنْ عَلَيْهَا الطَّرْفُ أَكْثَرُ مِنْ رِمِّ
أَمَّا لَكِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ الْآتِي ذِكْرُهَا آخِرَ كِتَابِنَا هَذَا
وَلَا سِوَا مَا كَانَ مِنَ الرِّمِّ الْقَدِيمَةِ قَدْ أَنْصَبَ بِالزَّفْرِ أَوْ الْقَطِرَانِ فَإِنَّكَ
تَجِدُهَا فِي لَوْنِ الْحَدِيدِ وَصَلَاتِهِ وَرِزَاتِهِ. وَرَأَيْتُ مِنْ جَاوِزِ الْبَقَرِ مَا شَاءَ
اللَّهُ وَكَذَلِكَ جَاوِزِ الْغَنَمِ وَفَرَقْتُ بَيْنَ رُؤُوسِ الْمَغِزِّ وَالضَّانِّ وَبَيْنَ
رُؤُوسِ الْبَقَرِ وَالْثِيْرَانِ وَوَجَدْتُ لَحْمَ الْبَقَرِ قَدْ التَّصَّقَ بِالْأَكْفَانِ حَتَّى
صَارَ قُطْعَةً وَاحِدَةً حَمْرًا تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ وَتَخْرُجُ الْعَظْمُ مِنْ تَحْتِهَا
أَبْيَضَ يَتَنَاقُ وَبَعْضُ الْعِظَامِ أَحْمَرُ وَبَعْضُهَا أَسْوَدُ وَكَذَلِكَ فِي عِظَامِ
الْآدَمِيِّ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَكْفَانَ كَانَتْ تُبَلُّ بِالصَّبْرِ وَالْقَطِرَانِ وَتُشْرَبُ
بِهِ ثُمَّ يَكْنَفُ بِهَا فَلِذَلِكَ بَصُغُ اللَّحْمِ وَبُيُغِيهِ وَمَا نَالَ مِنْهَا الْعَظْمُ صَبْغُهُ
فَأَحْمَرُ وَأَسْوَدُ. وَوَجَدْتُ فِي عِدَّةٍ مَوَاضِعٍ نِلَالًا مِنْ رِمِّ الْكِلَابِ لَعَلَّهُ

يُكُونُ فِي حُمْلَتِهَا مِائَةُ أَلْفِ رَأْسٍ كَلْبٍ أَوْ يَزِيدُ وَذَلِكَ مَا يُبِيرُ الْبَاحِثُونَ
 عَنِ الْطَلَائِبِ فَإِنْ جَاعَةً يَجْعَلُونَ مَكَاسِيَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْقُبُورِ وَأَخَذَ مَا سَخَّ لَمْ
 مِنَ الْخَشَبِ وَالْخَرَقِ وَغَيْرِهِ . وَاسْتَفْرَيْتُ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنَةِ فَلَمْ أَجِدْ
 فِيهَا رَأْسَ قَرَسٍ وَلَا حَمَلٍ وَلَا جَارٍ فَبَقِيَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي فَسَأَلْتُ مَشَاجِخَ
 بُوصِيرٍ فَبَاكَرُوا إِلَى إِيخَارِيَّةٍ بِأَنَّهُمْ قَدْ تَقَدَّسَتْ فِكْرَتُهُمْ فِي ذَلِكَ
 وَاسْتَفْرَأُوهُمْ إِيَّاهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ . وَكَثُرَ تَوَاسِيَتُهُمْ مِنْ خَشَبِ الْجُمُيزِ وَفِيهِ
 الْقُوَى الصَّالِبُ وَمِنْهُ مَا صَارَ فِي دَرَجَةِ الرَّمَادِ . وَخَبَّرَنِي قُضَاةُ بُوصِيرٍ
 بِعَجَائِبِ مِنْهَا أَنَّهُمْ وَجَدُوا نَاوُوسًا مِنْ حَجَرٍ فَفَضُّوهُ فَأَلْفَوْا فِيهِ نَاوُوسًا
 فَفَضُّوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ تَابُوتًا فَفَتَحُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ سَحَابَةً وَفِي سَامِ أَبْرَصَ
 مَكْنَنَةً مُخَاطَا عَلَيْهَا مَعْنِيَا بِهَا . وَوَجَدْنَا عِنْدَ بُوصِيرٍ أَهْرَامًا كَثِيرَةً مِنْهَا
 هَرَمٌ قَدْ انْهَدَمَ وَبَقِيَ قَلْبُهُ فِقْسَنَاهُ مِنْ مَبْدَأِ آسَاسِهِ فَوَجَدْنَاهُ لَا يَتَقَاصِرُ عَنْ
 هَرَمِي الْجُمُيزِ وَجَمِيعُ مَا حَكَيْنَاهُ مِنْ أَحْوَالِ مَدَائِفِهِمْ يُبُوصِيرُ يُوجَدُ نَحْوُهُ
 وَأَمْثَالُهُ بَعَيْنِ شَمْسٍ وَبِالْبَرَايِ وَبِغَيْرِهَا



الفصل الخامس

فِيمَا شُوهِدَ بِهِمَا مِنْ غَرَائِبِ الْآبِنِيَّةِ وَالسُّنَنِ

وَأَمَّا آبِنِيَّتُهُمْ فَبَيْنَهَا هُنْدَسَةٌ بَارِعَةٌ وَتَرْيِبٌ فِي الْغَايَةِ حَتَّى أَتَاهُمْ فَلَمَّا
بَدَرُوا مَكَانًا غَفَلًا خَالِيًا عَنْ مَصْلُوحَةٍ وَدُورُهُمْ أَفْجَعُ وَغَالِبُ سُكْنَاهُمْ فِي
الْأَعَالِي وَيَجْعَلُونَ مَنَافِدَ مَنَارٍ لِيْلَ تِلْقَاءِ النَّمَالِ وَالرِّيَاحِ الطَّيِّبَةِ وَقَلْبًا
يَجِدُ مَنَزِلًا إِلَّا وَفِيهِ بَادَا هَنْجٌ وَبَادَا هَنْجَاتُهُمْ كِبَارٌ وَاسِعَةٌ لِلرَّيْحِ عَلَيْهَا تَسْلُطُ
وَيُحْكِمُونَهَا غَايَةً الْأَحْكَامِ حَتَّى أَنَّهُ يُغْرَمُ عَلَى عِمَارَةِ الْوَاحِدِ مِنْهَا مِائَةُ دِينَارٍ
إِلَى خَمْسِ مِائَةٍ وَإِنْ كَانَتْ بَادَا هَنْجَاتُ الْمَنَارِ الصُّغَارِ يُغْرَمُ عَلَى الْوَاحِدِ
مِنْهَا دِينَارٌ. وَأَسْوَاقُهُمْ وَشَوَارِعُهُمْ وَاسِعَةٌ وَأَبْنِيَّتُهُمْ شَاهِقَةٌ وَيَسُونُ بِالتَّحْجَرِ
الْيَتِيَةِ وَالطُّوبِ الْأَخْضَرِ وَهُوَ الْأَجْرُ وَشَكْلُ طُوبِهِمْ عَلَى نِصْفِ طُوبِ

الْعِرَاقِ

وَيُحْكِمُونَ قَنَوَاتِ الْمَرَايِضِ حَتَّى أَنَّهُ تَخَرَّبُ الدَّارُ وَالْقَنَاءُ قَائِمَةٌ
وَيُخْفِرُونَ الْكُفَّ إِلَى الْمَعِينِ فَيُغْبَرُ عَلَيْهَا بُرْهَةٌ مِنَ الدَّهْرِ طَوِيلَةٌ وَلَا
يَنْتَقِرُ إِلَى كَمَحٍ

وَأَمَّا سُفْنُهُمْ فَكَثِيرَةٌ الْأَصْنَافِ وَالْأَشْكَالِ وَأَعْرَبُ مَا رَأَيْتُ فِيهَا مَرْكَبٌ
يُسَمُّونَهُ الْعَشِيرَى شَكْلُهُ شَكْلُ شِبَارَةِ دِجَلَةٍ إِلَّا أَنَّهُ أَوْسَعُ مِنْهَا بِكَبِيرٍ
وَأَعْلَى وَأَحْسَنُ هُنْدَامًا وَشَكْلًا قَدْ سُطِحَ بِالْوِاجِ خَشَبٌ يُخَيَّنُ مُحْكَمًا
وَأُخْرِجَ مِنْهَا أَفَارِيزُ كَالرَّوْاشِينِ يَنْجُو ذِرَاعَيْنِ وَيَبْنِي فَوْقَ هَذَا السُّطْحِ
بَيْتٌ مِنْ خَشَبٍ وَعِنْدَ عَلَيْهِ قُبَّةٌ وَفَوْقَ لَهَا طَافَاتٌ وَرَوَازِينُ بِأَبْوَابٍ إِلَى
الْبَحْرِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا ثُمَّ تَعْمَلُ فِي هَذَا الْبَيْتِ خِزَانَةٌ مُفْرَدَةٌ وَمِرْحَاضٌ

ثُمَّ يَزُوقُ بِأَصْنَافِ الْأَصْبَاغِ وَيُنْهَبُ وَيَذَعُنُ بِأَخْسَنِ دِهَانِهِ. وَهَذَا
يُخَذُّ لِلْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ يَحْتَبُ بِكَوْنِ الرَّئِيسِ جَالِسًا فِي وَسَادَتِهِ وَخَوَاصُّهُ
حَوْلَهُ وَالْعِلَمَانُ وَالْمَالِكُ فَيَأْمُرُ بِالْمُنَاطِقِ وَالسُّبُوفِ عَلَى تِلْكَ الرُّوَاثِينَ
وَأَطْمَعْنَهُمْ وَخَوَائِجَهُمْ فِي قَعْرِ الْمَرْكَبِ وَالْمَلَاخُونَ تَحْتَ السَّلْحِ أَيْضًا وَفِي
بَاقِي الْمَرْكَبِ يَقْدِفُونَ بِهِ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِ الرُّكَّابِ وَلَا
الرُّكَّابُ يَشْتَغِلُ خَوَاطِرُهُمْ بِمَنْ بَلَّ كُلُّ قَرِينٍ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْآخِرِ وَمَشْغُولٌ
بِمَا هُوَ بِصَدْرِهِ وَإِذَا أَرَادَ الرَّئِيسُ الْإِخْلَالَ يَنْفِيسُهُ عَنْ أَصْحَابِهِ دَخَلَ
الْمُخَدَّعُ وَإِذَا أَرَادَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ دَخَلَ الْبِرْحَاضَ

وَالْمَلَاخُونَ يَبْصُرُ يَقْدِفُونَ إِلَى وَرَائِهِمْ ثُمَّ فِي قَدْفِهِمْ بُشْبُوهَ
الْحَبَائِلِينَ فِي مَشِيمِ الْقَهْقَرَى وَبُشْبُوهَ فِي تَحْرِيكِ السُّفُنِ مَنْ يَجْذُبُ
ثِقَلَايَيْنِ يَدْنِيهِ وَيَنْشِي بِهِ إِلَى خَلْفِهِ. وَأَمَّا مَلَاخُوا الْعِرَاقِ ثُمَّ يَهْتَدُونَ
يَذْفَعُ الثَّقَلَ نَحْوَ أَمَامِهِ وَيُدْسِرُ بِهِ فَسْفَنُهُمْ تَوَجُّهُ حَيْثُ الْمَلَاخُ مُنْجَهُ. وَأَمَّا
سُفُنُ مِصْرَ فَتَحْتَرِكُ إِلَى ضِدِّ الْجِهَةِ الَّتِي إِلَيْهَا الْمَلَاخُ مُتَوَجِّهُ. وَأَمَّا أَيُّ
الْمَحَالَّتَيْنِ أَسْهَلُ وَالْبَرْهَانُ عَلَيْهَا فَمَوْضِعُهُ الْعِلْمُ الطَّبِيعِيُّ وَعِلْمُ تَحْرِيكِ
الْأَنْفَالِ

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ

فِي النَّيْلِ وَكَيْفِيَةِ زِيَادَتِهِ
وَإِعْطَاءِ عِلَلٍ ذَلِكَ وَقَوَائِيهِ

لَعَلَّمْنَا أَنَّ نَيْلَ مِصْرَ بَدَأَ وَقْتُ نُضُوبِ مِيَاهِ الْأَرْضِ وَذَلِكَ فِي شَمْسِ
السَّرْطَانِ وَالْأَسَدِ وَالسَّنْبَلَةِ فَيَعْلُو عَلَى الْأَرْضِ وَيُفِيمُ آبَاءًا فَإِذَا نَزَلَ عَنْهَا
حُرِنَتْ وَزُرِعَتْ ثُمَّ يَكْثُرُ النَّدَا فِي اللَّيْلِ جِدًّا وَبِهِ يَتَغَذَّى الزَّرْعُ إِلَى أَنْ
يَسْتَحْصِدَ وَنَهَايَةُ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الزِّيَادَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا
فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَبْرُؤُ أَمْكَنَةً مُسْتَعْلِيَةً وَكَأَنَّهُ نَافِلَةٌ عَلَى جِهَةِ
الْعَبْرَةِ وَنَهَايَةُ مَا يَزِيدُ عَلَى جِهَةِ النَّدْرِ أَصَابِعُ مِنْ عِشْرِينَ ذِرَاعًا
وَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَحِيرُ أَمْكَنَةٌ بِدُومٍ مَكْتُ الْمَاءِ عَلَيْهَا فَتَنْوُتُ زَرَاعَتَهَا
وَيَبْرُؤُ مِنَ الْإِلَادِ بِمَا عَادَتْهُ أَنْ يَزْرَعَ نَحْوِيًّا (نَحْوَمَا) رَوِيَّ بِمَا عَادَتْهُ
أَنْ يَبْشُرَ وَلِنَسَمِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ نَهَايَةُ الضَّرُورِيِّ وَلِنَسَمِ الْعِشْرِينَ نَهَايَةُ
الْإِفْرَاطِ وَكُلُّ نَهَايَةٍ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَلَهَا أَنْ يَدَّ أَهْلُهَا قَابِلَتَهُ الضَّرُورِيُّ
سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَيُسَمَّى مَاءُ السُّلْطَانِ إِذْ عِنْدَهُ يُسْتَحَقُّ الْخِرَاجُ وَيَبْرُؤُ
بِهِ نَحْوُ نِصْفِ الْإِلَادِ وَيَغْلُثُ مِنَ الْقَوْتِ بِمِقْدَارِ مَا يَبْنِي أَهْلُ الْإِلَادِ
سِتِّينَ جَعْلًا مَعَ تَوْسَعٍ وَيَبْرُؤُ سَائِرُ الْإِلَادِ الْمُعْتَادَةِ بِالرِّيِّ بِمَا زَادَ عَلَى
سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا إِلَى ثَمَانِي عَشْرَةَ وَهَذَا يَغْلُثُ بِمِقْدَارِ مَا يَهْدِي أَهْلُ الْإِلَادِ
سِتِّينَ فَصَاعِدًا. وَأَمَّا مَا نَقَصَ عَنْ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَيَبْرُؤُ بِهِ مَا هُوَ
دُونَ الْكِفَايَةِ وَلَا تَحْصُلُ مِنْهُ يَرْبَعُ سِتِّينَ وَيَكُونُ تَعْدُّ الْقَوْتِ بِمِقْدَارِ
نَقْصَانِهِ عَنْ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَحِينَئِذٍ يُقَالُ إِنَّ الْإِلَادَ قَدْ شَرِقَتْ

وَاتَّفَقَ أَنَّ زِيَادَةَ النَّيْلِ بَلَغَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ
 اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَاحِدَى وَعِشْرِينَ أَصْبَعًا. وَهَذَا الْقِيْدَارُ نَادِرٌ جِدًّا
 فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مُذِ الْفَحْرِ إِلَى الْآنَ أَنَّ النَّيْلَ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ قَطُّ إِلَّا
 فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَكُلِّمَانَهُ فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى دُونَ هَذَا الْقِيْدَارِ
 بِأَرْبَعِ أَصَابِعٍ. وَأَمَّا وَقُوفُهُ عَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعٍ فَإِنَّهُ وَقَعَ نَحْوَ
 سِتِّ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ. وَأَمَّا أَرْبَعُ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعٍ فَإِنَّهُ
 وَقَعَ نَحْوَ عِشْرِينَ مَرَّةً. وَأَمَّا خَمْسُ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَكَثُرَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا
 وَنَحْنُ نَسُوْقُ أَحْوَالَ زِيَادَتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَغْنَى سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ
 وَخَمْسٍ مِائَةٍ ثُمَّ تَتَبَعَ ذَلِكَ بِهَا حَصْلُ عِنْدَنَا مِنْ عِلَلِ ذَلِكَ وَقَوَائِيهِ
 فنَقُولُ إِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً أَنْ تَبْدُئَ الزِّيَادَةُ مِنْ أَيْبٍ وَتَعْظُمَ فِي مِيسَرَى
 وَتَنْتَهِى فِي ثَوْتٍ أَوْ بَابَةٍ ثُمَّ يَخْطُ. فَدَخَلَ أَيْبُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَأَبْدَأَ
 النَّيْلُ يَهْرُكُ بِالزِّيَادَةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَغْوِي شَهْرَيْنِ قَدْ بَدَتْ فِي مَائِهِ
 خُضْرَةٌ سَلَفِيَّةٌ ثُمَّ كَثُرَتْ وَظَهَرَتْ فِي رَأْيَيْهِ دِفْعَةٌ كَرِيهَةٌ وَعَفْوَةٌ طَحْلِيَّةٌ
 كَأَنَّهُ عَصَارَةُ السِّلَنِ إِذَا بَقِيَ أَيَّامًا حَتَّى يَغْفَنَ وَجَعَلَتْ مِنْهُ فِي وَعَاءٍ ضَيْقِ
 الرَّاسِ فَعَلَاهُ سَحَابَةٌ خُضْرَاءُ فَرَفَعْتُهَا بِرِفْقٍ وَتَرَكْتُهَا تَجِفُّ وَإِذَا بِهَا
 طَحْلَبٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَيَقَى الْمَاءَ بَعْدَ رَفْعِ هَذِهِ السَّحَابَةِ عَنْهُ صَافِيًا لَا خُضْرَةَ
 فِيهِ إِلَّا أَنَّ طَعْمَهُ وَرِيحَهُ بَاقِيَانِ وَيَحْدُ فِيهِ أَيْضًا أَجْسَامًا صِغَارًا نَبَاتِيَّةً
 مَبْثُوثَةً كَالِهَيْاءِ لَا تَرُسُّبُ. وَصَارَ أَرْيَابُ الْحَمِيَةِ يَجْتَنِبُونَ شَرِبَهُ وَإِنَّمَا
 يَشْرَبُونَ مَاءَ الْأَبَارِ وَأَعْلَانُهُ بِالنَّارِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَضْلُحُ بِذَلِكَ كَمَا وَصَّى
 الْأَطِبَّاءُ يَفْعَلُ بِالِهَيْاءِ الْمُتَغَيَّرَةِ فَرَادَ طَعْمُهُ وَرِيحُهُ كَرَاهَةً وَسَهْكًَا

فَوَجَدْتُ عِلَّةَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَجْزَاءَ النَّبَاتِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَبْنُوءَةٌ فِيهِ بِطَافٍ
الطَّيْحُ جَوهرها قَبْلُهَا بِالْمَاءِ اخْتِلَافًا أَتَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ فَيُظْهِرُ التَّغْيِيرَ
(التَّغْيِيرُ) فِي رِيحِهِ وَطَعْبِهِ أَكْثَرُ وَيَصِيرُ ذَلِكَ بِمِثْلَةِ الْمَاءِ إِذَا طُيْحَ فِيهِ
سِلْقٌ أَوْ جُلٌّ أَوْ نَحْوُهُ فَإِنَّ النَّارَ تَمِزُجُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْفِ النَّبَاتِ . وَأَمَّا
الْمَاءُ الَّذِي يَصْلُحُ بِالطَّيْحِ وَإِنَاءُهُ فَصَدَّ الْأَطْيَابُ هُوَ الَّذِي تَغْيِيرُهُ بِخَالِطَةِ
أَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ فَإِنَّهَا تَنْفَصِلُ عَنْهُ بِالطَّيْحِ لِأَنَّ الْمَاءَ جَنِيذٌ يَلْطَفُ فَتَرْسُبُ
فِيهِ

ثُمَّ إِنَّهُ دَامَتْ خُضْرَتُهُ أَبَامًا مِنْ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَأَصْحَلَتْ
فِي شَوَّالٍ وَكَانَ بِضَعْبِ الْخُضْرَةِ دُودٌ وَحَيَوَانَاتٌ أَجْمِيَّةٌ وَهَذَا التَّغْيِيرُ فِي
الْمَاءِ يَكُونُ بِالصَّيْدِ أَكْثَرَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَبْدَأِ وَالْمَعْدِنِ وَأَنْتَهَتْ زِيَادَتُهُ
فِي الْخَمَادِيِّ عَشْرِينَ ثَوْبًا إِلَى أَتْنِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَاحِدًا وَعِشْرِينَ
لِصَبَا ثُمَّ انْحَطَّ

فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ مِنْ حَالِ الْقَاعِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَقَلٌّ مِنَ الْمُعْتَادِ أَنَّ
الزِّيَادَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَكُونُ أَقَلٌّ مِنَ الْمُعْتَادِ هَذَا حُكْمُهُ الْأَكْثَرِيُّ
فَإِنَّ أَتَمَّ الْخُضْرَةِ فِي أَوَّلِ زِيَادَتِهِ وَقِيلَ لَهَا قُوَى الظَّنُّ بِضَعْفِ جِزْمِهِ
فَإِنْ طَالَتْ أَبَامُ الْخُضْرَةِ وَضَعْفَ بِقَدَارِ الزِّيَادَةِ قُوَى الظَّنُّ جِدًّا بِقَلْبِهِ
فَإِنْ دَامَتْ الْخُضْرَةُ فِي أَيْسَبَ فَأَدْنَى بِقَلْبِهِ الْمَدَى

وَعِلْلُ هَذَا ظَاهِرَةٌ أَمَّا كَوْنُ فَلِئَالِ الْقَاعِ دَلِيلًا عَلَى فَلِئَالِ الزِّيَادَةِ فَلِأَنَّ
الْمَطَرَ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ الزِّيَادَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْكَثْرَةِ مَا يَرُدُّ الْقَاعَ
إِلَى أَحْوََالِهِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يَزِيدُ عَلَيْهَا الزِّيَادَةَ الْمُعْتَادَةَ وَهِيَ كَثْرَةٌ لَا تَنْفِي

بِهَا أَمْطَارُ كُلِّ سَنَةٍ وَلَا تُوجَدُ كُلُّ وَقْتٍ مِثَالُهُ أَنَّ الْقَاعَ إِذَا كَانَ ذِرَاعًا
مَثَلًا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا حَتَّى يَبْلُغَ مَاءَ السُّلْطَانِ
فَإِنْ كَانَ الْقَاعُ سِتِّ أَذْرُعٍ أَحْتَاجَ مِنَ الزِّيَادَةِ إِلَى عَشْرِ أَذْرُعٍ وَكَوْنُ
هَذَا أَيْسَرُ مِنَ الْأَوَّلِ . وَأَيْضًا فَإِنْ جَرِيَةُ النِّيلِ الْأَصْلِيَّةُ مَا ذَاتُهَا عُبُونٌ .
وَأَمَّا زِيَادَتُهُ فَأَذَاتُهَا أَمْطَارٌ وَتَقْصَانُ الْعُبُونِ دَلِيلٌ عَلَى اخْتِرَاقِ السَّنَةِ
وَيَسِّرُ أَمْوَاءَ وَفِلَةٍ أَلْبَحَارُ فَيَقِلُّ الْمَطَرُ لِذَلِكَ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمُدَّ الزَّائِدَ عَلَى
الْقَاعِ أَكْثَرُهُ فِي الْغَالِبِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَإِذَا كَانَ الْقَاعُ ذِرَاعًا أَوْ
ذِرَاعَيْنِ . ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُدِّ وَهُوَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا لَمْ يَلْحَقْ مَاءَ
السُّلْطَانِ

وَأَمَّا كَوْنُ الْخُضْرِ دَلِيلًا عَلَى فِلَةِ الزِّيَادَةِ فَلِإِنَّ النِّيلَ الْأَمَاضِي يُغَادِرُ
تَقَائِعَ وَغُدْرَانًا بَعْضُهَا بَنْضُوبٌ وَبَعْضُهَا يُطْلِبُ وَتَعَطُّنٌ وَبَاسِنٌ فَإِذَا
مَرَّتْ بِهَا أَمْطَارٌ ضَعِيفَةٌ اخْتَلَطَتْ بِهَا وَصَبَّتْهَا إِلَى النِّيلِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا
مِنَ الْكَثَرَةِ مَا يَغْلِبُ عَلَى التَّقَائِعِ فَيُضْلِحُهَا بِلِ التَّقَائِعِ تَغْلِبُ عَلَى الْأَمْطَارِ
الْمُنْصَلَةِ بِهَا فَتَجْلِبُهَا إِلَى الْقَسَادِ وَتَحْطُ مِنْهَا مِقْدَارٌ بَعْدَ مِقْدَارٍ وَتَتَوَاصَلُ
إِلَيْنَا وَكُلَّمَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ أَوْفَعَتْ وَأَقَلَّ كَانَتْ أَيَّامُ جَرِيَةِ الْخُضْرِ
أَطْوَلَ فَإِذَا كَانَتْ أَمْطَارٌ قَوِيَّةٌ غَسَلَتْ تِلْكَ الْهَسَنَتَفَاعَاتِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا
وَحَدَرَتْهَا بِسُرْعَةٍ مَغْمُورَةٍ بِطِينٍ مُجْرِفَةٍ بِقُوِّهَا فَتَجْفَى مَنَظَرُهَا وَيَتَعَفَّى
إِثْرُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَنْهَارَ الْخَارِجَةَ مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ تَجْتَمِعُ بِأَخْرَجٍ إِلَى
بِرْكَةٍ عَظِيمَةٍ ذَاتِ مِسَاحَةٍ فَسِحْوَةٍ وَمِنْ هَذِهِ الْبِرْكَةِ يُخْرَجُ هَذَا النِّيلُ وَلَا
شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْبِرْكَةَ مَا وَهَّاءُهَا دَائِمٌ فَيَطْلِبُ وَلَا يَسْبِيهَا شُطُوطُهَا وَفَحَا ضَيْعُهَا

فَإِذَا وَقَعَ الْوَسْطِيُّ وَجَرَى إِلَيْهَا سُبُوطُهُ أَثَارَتْ مَا فِي قَعْرِهَا وَحَرَّكَتْ مَا كَانَ
سَاكِنًا فِيهَا وَانْتَحَسَحَ أَيْضًا مَا فِي الشُّطُوطِ إِلَى الْأَوْسَاطِ وَانْتَسَحَبَ إِلَى التَّحْرِيمَةِ
فَاسْتَضَمَّتْهُ

وَأَمَّا كَوْنُ التَّخْضَعِ فِي أَيْسَبِ دَلِيلٍ عَلَى التَّقْصَانِ فَلِأَنَّ أَيْسَبَ مَظْنَةً
الزِّيَادَةِ وَغَلِيَّةَ الْمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْشَابِ فَإِذَا بَقِيَ عَلَى خُضْرَتِهِ إِبَانُ زِيَادَتِهِ
أَذِنَ بِنَيْلِهِ وَهَذِهِ الْأَجْزَاءُ النَّبَاتِيَّةُ الَّتِي تَصْهَبُ الْمَاءَ إِنَّمَا فِي حُطَامِ النَّبَاتِ
الْمَنْكُونُ فِي الْمَاءِ وَحَوْلَهُ كَالْبُرْدِيِّ وَالذَّنَسِ وَالسَّهَارِ وَالطَّحْلِبِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ فَتَتَعَنُّ فِيهِ وَتُصَغَّرُ أَجْزَاؤُهَا وَتُنْبَعِثُ مَعَهُ. وَمِمَّا يُوجِبُ أَنْبِعَاثَهَا
أَيْضًا تَقْصَانُ الْمَاءِ مِنْ تِلْكَ الْبِرْكَةِ فَإِنْ مَاتَهَا إِذَا انْتَصَلَتْ التَّحْرِيمَةُ بِقَعْرِهَا
فَانْتَسَحَبَ كَدْرُهَا وَرَأْسُهَا وَإِذَا كَانَتْ غَيْرَ كَانَتْ التَّحْرِيمَةُ مِنْ أَعْلَاهَا
وَصَفْوَاهَا فَأَعْرِفْ ذَلِكَ وَلِهَذَا لَا تَأْتِي هَذِهِ التَّخْضَعُ إِلَّا فِي السَّنَةِ الَّتِي يَحْتَرِقُ
فِيهَا النَّيْلُ وَكُلَّمَا كَانَ أَحْزَنَ قَهْ أَشَدَّ كَانَ ظُهُورُ التَّخْضَعِ أَكْثَرَ. وَفِي السَّنَةِ
الَّتِي يَكُونُ نَيْلُهَا غَيْرَ لَا يَحْتَرِقُ وَلَا تَرَى التَّخْضَعُ لِأَنَّ كِدْرَتَهُ لِيَكْثُرَ
مَبْنَاهُ وَارْتِفَاعُ جِرَتِهِ عَنْ مَفَرِّ كُدُورَتِهِ

اعلم المقول

من كتاب الامادة والاعتبار في الامور المشامة بارض مصر

لاني الطيب

مِنْ مُنْجَةِ النَّظَارِ

فِي غَرَائِبِ الْأَمْصَارِ وَغَجَائِبِ الْأَسْفَارِ
لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللُّوَانِي
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بَطْرُوطَةَ

وَصَلَّنا فِي أَوَّلِ جَادِي الْأَوَّلَى إِلَى مَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ وَهِيَ
الْغُرُ الْخَرُومُ. وَالْقَطْرُ الْمَأْتُوسُ. الْعِجْمَةُ الشَّانُ. الْأَصِيلَةُ الْبَنِيانُ. بِهَا
مَا شِئْتَ مِنْ تَحْصِينَ وَتَحْصِينَ. وَمَأْتِرُ دُنْيَا وَدِينِ. كَرُمْتَ مَعَانِيهَا.
وَلَطَفْتَ مَعَانِيهَا. وَجَمَعْتَ بَيْنَ الضَّخَامَةِ وَالْإِحْكَامِ مَبَانِيهَا. فَبِي الثَّرِيدَةِ
تَجَلَّى سَنَاها. وَالتَّحْرِيدَةِ تَجَلَّى فِي حُلَاهَا. الزَّاهِيَةُ بِحَبَالِهَا الْمَغْرِبِ. الْجَمَاعَةُ
لِإِفْتِرَاقِ الْعَاصِينَ لِيُوسِطِهَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. فَكُلُّ بَدِيعَةٍ بِهَا
أَجْنِلَاؤُهَا. وَكُلُّ طَرْفَةٍ فَإِلَيْهَا أَنْتَاهَا وَهَا. وَقَدْ وَصَفَهَا النَّاسُ فَأَطْنَبُوا.
وَصَنَفُوا فِي غَجَائِبِهَا فَأَغْرَبُوا. وَحَسَبُ الْمُشْرِفِ إِلَى ذَلِكَ مَا سَطَرَ أَبُو
عَيْنٍ فِي كِتَابِ الْمَسَالِكِ

ذَكَرَ أَبْوَابَهَا وَمَرَسَاهَا. وَلِمَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ. بَابُ السِّنْدَةِ
فَالَيْهِ يُشْرَعُ طَرِيقُ الْمَغْرِبِ. وَبَابُ رَشِيدٍ وَبَابُ الْبَحْرِ وَبَابُ الْأَخْضَرِ
وَلَيْسَ يَفْتَحُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَخْرُجُ النَّاسُ مِنْهُ إِلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ. وَمَا
الْمَرْمَى الْعَظِيمُ الشَّانُ وَلَمْ أَرِ فِي مَرَامِي الدُّنْيَا مِثْلَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرَمَى
كُورٍ وَقَالِيقُوطٍ بِبِلَادِ الْهِنْدِ. وَمَرَمَى سُودَاقٍ بِبِلَادِ الْأَنْتَارِكِ وَمَرَمَى
الزُّبُونِ بِبِلَادِ الصِّينِ وَسَيَفُحُ ذِكْرُهَا

ذَكَرَ الْأَنْتَارِ. فَصَدْتُ الْمَنَارِ فِي هَذِهِ الْوُجْهِهِ فَرَأَيْتُ أَحَدَ جَوَانِبِهِ

مَهْدًا وَصَفَتْهُ أَنَّهُ بِنَاءٌ مُرَبَّعٌ ذَاهِبٌ فِي الْهَوَاءِ وَبَابُهُ مُرْتَفِعٌ عَلَى الْأَرْضِ .
 وَأَزَاقَ بَابَهُ بِنَاءٌ يَقْدِرُ أَرْتِفَاعُهُ وَضِعَتْ بَيْنَهُمَا الْأَوَاجُ خَشَبٌ يُعْبَرُ عَلَيْهِمَا إِلَى
 بَابِهِ . فَلَمَّا أُرِيْلَتْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ . وَدَاخِلَ الْبَابِ مَوْضِعٌ لِمَجْلُوسِ
 حَارِسِ الْمَنَارِ . وَدَاخِلَ الْمَنَارِ ثُبُوتٌ كَثِيرَةٌ . وَعَرْضُ الْمَسْرِ بِدَاخِلِهِ
 تِسْعَةُ أَشْبَارٍ . وَعَرْضُ الْحَائِطِ عَشْرَةُ أَشْبَارٍ . وَعَرْضُ الْمَنَارِ مِنْ كُلِّ
 جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ يَأْتُهُ وَلَذَبْعُونَ شِبْرًا . وَهُوَ عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ .
 وَمَسَافَةٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ فَرْحٌ وَاحِدٌ فِي بَرٍّ مُسْتَطِيلٍ يُحِيطُ بِهِ الْبَحْرُ
 مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ الْبَحْرُ بِسُورِ الْبَلَدِ فَلَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ
 إِلَى الْمَنَارَةِ فِي الْبَرِّ إِلَّا مِنَ الْمَدِينَةِ . وَفِي هَذَا الْبَرِّ التَّنَاصُلُ بِالْمَنَارِ
 مَثْبُورَةٌ إِلَّا سَكَنْدَرِيَّةً . وَقَصْدْتُ الْمَنَارَ عِنْدَ عَوْدِي إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ
 عَامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِينَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ الْخَرَابُ نَحِثٌ لَا يُمْكِنُ
 دُخُولُهُ وَلَا الصُّعُودُ إِلَى بَابِهِ . وَكَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ شَرَعَ
 فِي بِنَاءِ مَنَارٍ مِثْلِهِ بِأَزَاقِهِ عَاقَهُ الْمَوْتُ عَنْ إِنْتِهَائِهِ

ذَكَرَ عُمُودُ السَّوَارِي . وَمِنْ غَرَائِبِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عُمُودُ الرُّخَامِ الْهَائِلُ
 الَّذِي يُخَارِجُهَا الْمَسْمِيُّ عِنْدَهُمْ بِعُمُودِ السَّوَارِي وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي غَايَةِ
 تَخَلٍّ . وَقَدْ أَمْتَاَزَ عَنْ شَجَرَايَا مَثْوَا وَأَرْتِفَاعًا . وَهُوَ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مُحْكَمَةٌ
 أَتَتْ قَدْ أَقِمَ عَلَى قَوَاعِدِ حِمَارَةٍ مُرَبَّعَةٍ أَمْثَالِ الدُّكَاكِينِ الْعَظِيمَةِ وَلَا
 تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ وَضْعِهِ هُنَاكَ وَلَا يَتَحَقَّقُ مَنْ وَضَعَهُ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ :
 أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِي الرُّحَالَيْنِ أَنَّ أَحَدَ الرُّمَاقِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ صَعِدَ إِلَى
 أَعْلَى ذَلِكَ الْعُمُودِ وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَكَانَتْهُ وَاسْتَفَرَّ هُنَاكَ وَشَاعَ خَبْرُهُ .

فَاجْتَمَعَ أَتَمُّهُمُ الْغَفِيرُ لِمَشَاهِدَتِهِ وَطَالَ الْعَجَبُ مِنْهُ وَخَفِيَ عَلَى النَّاسِ
وَجْهُ أَحْيَايَاهُ وَأَطْنَهُ كَانَ خَائِفًا أَوْ طَالِبَ حَاجَةٍ. فَاتَّجَّ لَهُ فِعْلُهُ الْوُضُوءُ
إِلَى قَصْدِهِ لِعَرَابِيَةٍ مَا آتَى بِهِ. وَكَيْفِيَّةُ أَحْيَايَاهُ فِي صُورِهِ أَنَّهُ رَمَى بِنُشَابَةٍ
قَدْ عَنَدَ يَفْرُحُهَا خُطَا طَوِيلًا. وَعِنْدَ يَطْرِفِ الْخُطْبُ حَبْلًا وَثِيمًا فَتَجَاوَزَتْ
النُّشَابَةُ أَغْلَا الْعُودِ مُعْرِضَةً عَلَيْهِ. وَوَقَعَتْ مِنْ أَيْمَنِهِ الْمَوَازِيَةِ لِلرَّايِ
فَصَارَ الْخُطْبُ مُعْرِضًا عَلَى أَعْلَى الْعُودِ فَجَذَبَهُ حَتَّى تَوَسَّطَ الْجُحْلُ عَلَى
الْعُودِ مَكَانَ الْخُطْبِ فَأَوْتَقَهُ مِنْ إِحْدَى أَيْمَنِهِ فِي الْأَرْضِ وَتَعَلَّقَ بِهِ
صَاعِدًا مِنْ أَيْمَنِهِ الْأُخْرَى وَاسْتَفَرَّ بِأَعْلَاهُ وَجَذَبَ وَاسْتَضَبَّ مِنْ
أَحْمَلِهِ. فَلَمْ يَهْتِدِ النَّاسُ لِحِلَّتِهِ وَتَعَجَّبُوا مِنْ شَأْنِهِ

ثُمَّ سَافَرْتُ فِي أَرْضِ رَمْلَةٍ إِلَى مَدِينَةِ دِمَاطَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ فَسِيحَةٌ
الْأَقْطَارِ. مُتَنَوِّعَةُ الشِّجَارِ. عَجِيَّةُ التَّرْيِيبِ. أَخَذْتُ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ
يَنْصَبُ. وَالنَّاسُ يَضِطُّونَ أَسْمَاءَ بِأَعْجَامِ الدَّالِ. وَكَذَلِكَ ضَبَطَهُ الْإِمَامُ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ الرَّشَاطِيُّ. وَكَانَ شَرَفُ الدِّينِ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ ابْنُ خَلْفِ الدِّمَاطِيِّ إِمَامُ الْخُدَّائِيِّينَ يَضِطُّهَا
بِأَهَالِ الدَّالِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ يَأْتِ بِقَوْلِ خِلَافِ الرَّشَاطِيِّ وَغَيْرِهِ وَهُوَ
أَعْرَفُ بِضَبْطِ أَسْمَاءِ بَلَدِهِ. وَمَدِينَةُ دِمَاطَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ وَأَهْلُ الدَّوْرِ
الْمَوَالِيَةِ لَهُ يَسْتَقُونَ مِنْهُ الْمَاءَ بِالدَّلَاحِ. وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا بِهَا دَرَكَاتٌ
يُنْتَلُ فِيهَا إِلَى النَّيْلِ. وَشَجَرُ الْوَرِ بِهَا كَثِيرٌ يَحْمِلُ ثَمَرَهُ إِلَى يَصْرِ فِي
الْمَرَكَبِ وَغَنَمُهَا سَائِمَةٌ هَبْلًا بِالنَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَلِهَذَا يُقَالُ فِي دِمَاطَ
سُورُهَا حُلَاوٌ وَكَلَامُهَا غَنَمٌ. وَإِذَا دَخَلَهَا أَحَدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى الْخُرُوجِ

عنها إلا يطاع الولي . فمن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعة
كاغيد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به .
والطبر البحرى بهذه المدينة كثير منها هي اليمن وبها الألبان الجاموسية
التي لا مثيل لها في عذوبة الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البوربي
يحمل منها إلى الشام وبالأروم ومصر . وبخارجها جزيرة بين البحر
والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية لبيت بها شجها المعروف بابن
فلي . وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقهاء الفضلاء
المتعبدين الأخيار قطعوا ليلتهم صلاة وقراءة وذكرًا . وديباط هذه
حديثة البناء والمدينة القديمة هي التي خربها الأفرنج على عهد الملك
صالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوي فذوق الطائفة المعروفة
بالقرندرية وهم الذين يخلفون لحافهم وحواجيمهم ويسكن الزاوية في
هذا العهد الشيخ فتح التكروري

ثم سافرت إلى مدينة كوروي مدينة على ساحل النيل والكاف
الذبي في أنبيها مضموم وتزلت بخارجها ولجنتي هنالك فارس وجهه
إلى الأمير الحسيني فقال لي إن الأمير سأل عنك وعرف بسيرتك
فبعث إليك بهذه التفتة ودفع إلي جملة دراهم جزاء الله خيرا

ثم سافرت إلى مدينة أشمون الرمان وضبط أنبيها يتبع المنزق وإسكان
الذين النعجة ونسبت إلى الرمان لكثرة بها ومنها يحمل إلى مصر .
وهي مدينة عتيقة كبيرة على خليج من ملح النيل وبها قنطرة خشبية
ترسو المراكب عندها فإذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت

الْمَرَاكِبُ صَاعِدَةً وَمُنْخَدِرَةً وَبِهِذِهِ الْبَلَدُ قَاصِي الْقَضَاءِ وَقَالِي الْوَلَاةِ. ثُمَّ
 سَافَرْتُ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ سَمُودَ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمَرَاكِبُ
 حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَلَّةِ الْكَبِيرَةِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخٍ وَضَبَطْتُ أَسْمَاءَهَا
 بَيْنَ السَّيْنِ الْهَمَلِ وَالْيَمِّ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَضَمِّهَا وَوَادٍ وَذَالٍ مُهْمَلٍ
 مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ رَكِبْتُ الْبَحْرَ مُصْعِدًا إِلَى مِصْرَ مَا بَيْنَ مَدَائِنَ وَقُرَى
 مُنْتَظِمَةٍ مُتَّصِلَةٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا يَنْفَرُ رَاكِبُ الْبَحْرِ إِلَى اسْتِصْحَابِ
 الزَّوَادِ لِأَنَّهُمَا أَرَادَا النُّزُولَ بِالشَّاطِئِ نَزَلَ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَشَرَّاهُ
 الزَّوَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالْأَسْوَاقُ مُتَّصِلَةٌ مِنْ مَدِينَةِ الإسْكَدَرِيَّةِ إِلَى مِصْرَ
 وَمِنْ مِصْرَ إِلَى مَدِينَةِ أَسْوَانَ مِنْ الصَّعِيدِ. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى مِصْرَ فِي أُمِّ
 الْيَلَادِ وَقَرَارَةُ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. ذَاتُ الْأَقَالِمِ الْعَرِيضَةِ. وَالْيَلَادِ
 الْأَرِيضَةِ. الْمُنْتَاهِيَةِ فِي كَثَرَةِ الْعَارَةِ. الْمُنْبَاهِيَةِ بِالْحَسَنِ وَالنَّصَارَةِ. مَجْمَعُ
 الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ. وَمَحَطُّ رَحْلِ الضَّعِيفِ وَالْقَادِرِ. وَبِهَا مَا شِئْتَ مِنْ
 عَالِمٍ وَجَاهِلٍ. وَجَانٍ وَهَازِلٍ. وَحَلِيمٍ وَسَفِيهِ. وَوَضِيعٍ وَنَبِيهِ. وَشَرِيفٍ
 وَمَشْرُوفٍ. وَمُنْكَرٍ وَمَعْرُوفٍ. تَمُوجُ مَوْجِ الْبَحْرِ يَسْكُنُهَا. وَتَكَادُ أَنْ تَضِيقَ
 بِيَمِّهَا عَلَى سَعَةِ مَكَانِهَا وَإِمَّاكَانِهَا. شَبَابُهَا يَجِدُ عَلَى طُولِ الْعَهْدِ. وَكَوْكَبُ
 نَعْدِهَا لَا يَبْرُحُ عَنْ مَنَازِلِ السُّعْدِ. قَهْرَتْ قَاهِرَتَهَا الْأُمِّ. وَتَمَلَّكَتْ
 مُلُوكَهَا نَوَاحِي الْعَرَبِ وَالنَّجْمِ. وَلَهَا خُصُوصِيَّةُ الْبَحْرِ الَّتِي جَلَّ خَطَرُهَا.
 وَأَغْنَاهَا عَنْ أَنْ يَسْتَبِدَّ الْقَطَرُ فُطْرَهَا. وَأَرْضُهَا مَسِيرَةُ شَهْرِ لِحْدِ السَّيْرِ.
 وَفِيهَا يَقُولُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنِ نَاهِيضِ

شَاطِئُ مِصْرَ جَنَّةٌ مَا يَنْثَلُهَا مِنْ بَلَدٍ

لَا سَبِيحًا مَذْرُورَةً
وَاللَّيْلَاجِ قَوْفُهُ
سَوَابِغٌ مِنْ زَرْدِ
مَسْرُودَةٍ مَا مَسَهَا
دَاوُدُهَا يَبْدُو
سَائِلَةٌ هَوَاؤُهَا
يُرْعِدُ عَارِي الْجَسَدِ
وَالْفَلَكَ كَالْأَفْلَاقِ
بَيْنَ حَادِرٍ وَمُضَعَدٍ

رَجَعَ وَيُقَالُ إِنَّ بَيْضَ مِنَ السَّيَّانِينَ عَلَى الْجَبَالِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَفَاءٍ
وَلَنْ يَهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُكَارٍ. وَلَنْ يَبْلُغَهَا مِنَ الْمَرَاكِبِ سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا
لِلسُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ تَهْرُ صَاعِدَةً إِلَى الصَّعِيدِ وَمُنْجِدَةً إِلَى الْأَسْكَدَرِيَّةِ
وَدِمْبَاطٍ بِأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ وَالْمَرَافِقِ. وَعَلَى صَفَةِ النَّبْلِ مَا يُوَاجِهُهُ مِصْرُ
الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفُ بِالرَّوَضَةِ وَهُوَ مَكَانُ الثَّزْهَةِ وَالتَّنْفُجِ. وَبِهِ الْبَسَائِثُ
الْكَبِيرَةُ الْحَسَنَةُ. وَأَهْلُ مِصْرَ خَوْطَرٍ وَسُرُورٍ وَلَهُوَ شَاهِدَتْ مَرَّةً فُرْجَةً
بِسَبَبِ بَرْءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مِنْ كَسْرِ أَصَابِ يَدِهِ فَرَزَيْنَ كُلِّ أَهْلِ سُوقٍ
سُوقَهُمْ وَعَلَقُوا بِحَوَائِجِهِمْ الْحُلَّ وَالْحُلَى وَثِيَابَ الْحَجَرِ وَيَقُولُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا
ذِكْرُ مَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمَارِسَتَانِ وَالزَّوَابَا

وَمَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مَسْجِدٌ شَرِيفٌ كَبِيرُ الْقَدْرِ. شَهِيرُ الذِّكْرِ نَقَامٌ
فِيهِ الْجُمُعَةُ. وَالطَّرِيقُ بِعَرِضَتِهِ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ. وَبِشَرْقِهِ الزَّوَايَةُ
حَيْثُ كَانَ يُدْرَسُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ. وَأَمَّا الْمَدَارِسُ فَبَيْضُ
فَلَا يُحِيطُ أَحَدٌ بِحَصْرِهَا لِكثَرِهَا. وَأَمَّا الْمَارِسَتَانِ الَّذِي بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ
عِنْدَ تَرْبَةِ الْمَلِكِ الْمُتَّصُورِ فَلَاوُونَ فَيُعْجِزُ الْوَاصِفُ عَنْ مَحَاسِنِهِ. وَقَدْ أُعِدَّ
فِيهِ مِنَ الْمَرَافِقِ وَالْأَذْوِيَةِ مَا لَا يُحْصَرُ وَيَذْكَرُ أَنْ حِجَابَهُ أَلْفُ دِينَارٍ كُلِّ

يَوْمٍ . وَأَمَّا الزَّوَايَا فَكَثِيرَةٌ وَمَنْ يُسْمِنُهَا الْخَوَائِقَ وَاحِدٌ مَهَا خَائِفَةٌ وَالْأَمْرَاءُ
يَبْصُرُ بَتْنِافُسُونَ فِي بَيْتِهَا الزَّوَايَا . وَكُلُّ زَاوِيَةٍ يَبْصُرُ مَعْبِنَةً لِطَائِفَةٍ مِنَ
الْفُقَرَاءِ وَكَثَرَتْهُمْ لِأَعَاجِمٍ وَمَنْ أَهْلُ أَدَبٍ وَمَعْرِفَةٍ بِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ
وَلِكُلِّ زَاوِيَةٍ شَيْخٌ وَحَارِسٌ وَتَرْتِيبُ أُمُورِهِمْ عَجِيبٌ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ
فِي الطَّعَامِ أَنَّهُ يَأْتِي خَدِيمُ الزَّاوِيَةِ إِلَى الْفُقَرَاءِ صَبَاحًا فَيُعِينُ لَهُ كُلَّ وَاحِدٍ
مَا يَشْتَهُ مِنْ الطَّعَامِ . فَإِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ جَعَلُوا لِكُلِّ إِنْسَانٍ خُبْزَةً
وَمَرَقَةً فِي إِنَاءٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ . وَطَعَامُهُمْ مَرَّتَانٍ فِي الْيَوْمِ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَيْتُ وَكُنْهُ الصَّبِّ وَمَرَّتَبُ شَهْرِيٍّ مِنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا
لِلْوَاكِدِ فِي الشَّهْرِ إِلَى عِشْرِينَ وَلَمْ يَحْلَافُوا مِنَ السُّكْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ
وَالصَّابُونَ لِيَسْلُ أَمْوَالَهُمْ وَالْأَجْرَةُ لِدُخُولِ الْحَمَامِ وَالزَّيْتِ لِلْإِسْتِصْبَاحِ
وَمَنْ أَعْرَابٌ . وَلِلْمَنْزُوجِينَ زَوَايَا عَلَى حِدَةٍ وَمِنْ الْمَشْرِطِ عَلَيْهِمْ حُضُورُ
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْبَيْتِ بِالزَّاوِيَةِ وَاجْتِمَاعُهُمْ بِقُبَّةِ دَاخِلِ الزَّاوِيَةِ . وَمِنْ
عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَجْلِسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى سَجَادَةٍ مُخَصَّصَةٍ بِهِ وَإِذَا صَلُّوا صَلَاةَ
الضُّحَى قَرَأُوا سُورَةَ النِّعِ وَسُورَةَ الْمَلِكِ وَسُورَةَ عَم . ثُمَّ يُؤْتَى بِشَيْخٍ مِنَ
الْقُرَّانِ مُجَرَّافٍ فَيَأْخُذُ كُلُّ فَنِيْرٍ جُزْأً وَيَجْنُمُونَ الْقُرْآنَ وَيَذْكُرُونَ . ثُمَّ
يَقْرَأُ الْفُقَرَاءُ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الشَّرِيقِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ يَفْعَلُونَ بَعْدَ صَلَوةِ
الْعَصْرِ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ مَعَ الْقَادِمِ أَنَّهُ يَأْتِي بِأَبِ الزَّاوِيَةِ فَيَقِفُ بِهِ مَشْدُودَ
الْوَسْطِ وَعَلَى كَاهِلِهِ سَجَادَةٌ وَيُسَمِّنُهُ الْعُكَّازَ وَيُسْرَاهُ الْإِبْرِيْقُ فَيُعَلِّمُ الْبَوَابَ
خَدِيمُ الزَّاوِيَةِ بِمَكَانِهِ فَيُخْرِجُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ مِنْ أَيْ الْبِلَادِ أَيْ وَأَيِّ الزَّوَايَا
نَزَلَ فِي طَرِيقِهِ وَمَنْ شَجَنَهُ . فَإِذَا عَرَفَ صِحَّةَ قَوْلِهِ أَذْخَلَهُ الزَّاوِيَةَ وَفَرَسَ

لَهُ سَجَادَتُهُ فِي مَوْضِعٍ يَلِيْقُ بِهِ وَلَرَأَهُ مَوْضِعَ الطَّهَارَةِ فَجَدَّ دُ الْوُضُوءَ وَيَأْتِي
إِلَى سَجَادَتِهِ فَيُحِلُّ وَسَطَهُ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَيُصَافِحُ الشَّيْخَ وَمَنْ حَضَرَ وَتَقَعَدُ
مَعَهُ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانَتْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَخَذَ أَحَادِمُ حَبِيعَ
سَجَادِهِمْ فَيَذْبُجُ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَنْفُثُهَا لَمْ هُنَاكَ وَيَخْرُجُونَ مُجْتَمِعِينَ
وَمَعَهُمْ شَجَرُهُمْ فَيَأْتُونَ الْمَسْجِدَ وَيُصَلِّي كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى سَجَادَتِهِ فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ
الصَّلَاةِ قَرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَادَتِهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ مُجْتَمِعِينَ إِلَى الزَّوَايِدِ
وَمَعَهُمْ شَجَرُهُمْ

ثُمَّ كَانَ سَفَرِي مِنْ مِصْرَ عَلَى طَرِيقِ الصَّعِيدِ بِرَنَمِ انْجِازِ الشَّرِيفِ قَيْثُ
لَيْلَةَ خُرُوجِي بِالرِّبَاطِ الَّذِي بَنَاهُ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ حِنَّا بِدَيْرِ
الطَّيْنِ وَهُوَ رِبَاطٌ عَظِيمٌ بَنَاهُ عَلَى مَفَاخِرِ عَظِيمَةٍ وَأَنَارَ كَرِيمَةٍ . ثُمَّ خَرَجْتُ
مِنَ الرِّبَاطِ الْمَذْكُورِ وَمَرَرْتُ بِمَدِينَةِ الْفَائِدَةِ وَهِيَ بَلَدٌ صَغِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ
النَّيْلِ . ثُمَّ سِرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بُوْشَ وَضَبَطَهَا بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ
وَأَخْرَجَهَا شَيْئًا مُعْجَمَةً وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ أَكْثَرُ يَلَادِ مِصْرَ كُنَانًا وَمِنْهَا يُجْلَبُ إِلَى
سَائِرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْأَفْرِيقِيَّةِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ
دَلَّاصَ وَضَبَطْتُ أَسْمَاءَهَا بِفَتْحِ الدَّالِ الْهَمْزِ وَأَخْرَجَهَا صَادُ هَمْزٍ وَهَذِهِ
الْمَدِينَةُ كَثِيرَةُ الْكُنَانِ أَيْضًا يُمَثِّلُ الذِّبِّي ذَكَرْنَا قَبْلَهَا وَتُجْمَلُ أَيْضًا مِنْهَا
إِلَى دِيَارِ مِصْرَ وَأَفْرِيقِيَّةِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بِيَا ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا
إِلَى مَدِينَةِ الْبَهْثَةِ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ وَبَسَاتِينُهَا كَثِيرَةٌ وَتُصْنَعُ بِهَذِهِ
الْمَدِينَةِ ثِيَابُ الصُّوفِ الْمُجَيَّدَةِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ مَنِيَّةِ ابْنِ خَصْبٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ

السَّاحَةِ . مُنْسِعَةُ الْمَسَاحَةِ . مَنِيبَةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ . وَحَفِيقٌ حَفِيقٌ لَهَا عَلَى
يَلَادِ الصَّعِيدِ التَّنْضِيلُ . بِهَا الْمَدَارِسُ وَالْمَشَاهِدُ . وَالزَّوَايا وَاللَّسَاجِدُ .
وَكَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مَنِيَّةً لِحَصْبِ عَامِلٍ مِصْرَ

حِكَايَةُ حَصْبِ

يُذَكِّرُ أَنَّ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غَضِبَ عَلَى أَهْلِ
مِصْرَ فَأَمَرَ أَنْ يُؤْتِيَ عَلَيْهِمْ أَخْفَرُ عَيْدِهِ وَأَصْفَرُ فَرْشِهِ شَأْنًا قَصْدًا لِإِرْذَالِهِمْ
وَالْتَنَكُّلِ . وَكَانَ حَصْبٌ أَخْفَرُ فَرْشِهِ إِذْ كَانَ يُؤْتَى تَسْخِينُ الْحَمَامِ . فَخَلَعَ
عَلَيْهِ وَأَمَرَ عَلَى مِصْرَ وَظَنَهُ أَنَّهُ يَسِيرُ فِيهِمْ سِيرَةً سُوءَ وَبَقِصْدُهُمْ بِالْإِذَاءِ
حَسَبًا هُوَ الْمُتَوَدُّ مِنْ وَلِيٍّ عَنْ غَيْرِ عَهْدٍ بِالْعِزِّ . فَلَمَّا اسْتَفَرَّ حَصْبُ
بِمِصْرَ سَارَ فِي أَهْلِهَا أَحْسَنَ سِيرَةٍ وَشَهْرٍ بِالْكَرَمِ وَالْإِنْفَارِ فَكَانَ أَقَارِبُ
الْخُلَفَاءِ وَسَوَامُ بَقِصْدُونَهُ فَيَحْزُلُ الْعَطَاءُ لَهُمْ وَيَبْعُدُونَ إِلَى بَغْدَادَ
شَاكِرِينَ لِأَوَّلَانِهِمْ . وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ أَتَقَدَّ بَعْضُ الْعَبَّاسِيِّينَ وَغَابَ عَنْهُ مَدَّةٌ .
ثُمَّ أَنَاةً فَسَأَلَهُ عَنْ مَغِيبِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَصَدَ حَصْبًا وَذَكَرَ لَهُ مَا أَعْطَاهُ
حَصْبٌ وَكَانَ عَطَاءٌ جَزِيلًا . فَغَضِبَ الْخَلِيفَةُ وَأَمَرَ بِسَمْلِ عَيْنِي حَصْبِ
وَأَخْرَاجِهِ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ وَلَنْ يُطْرَحَ فِي أَسْوَاقِهَا . فَلَمَّا وَرَدَ الْأَمْرُ
بِالْتَّبُصِ عَلَيْهِ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَتَرِلِهِ . وَكَانَتْ يَدُهُ بِأَثَرَتِهِ
عَظِيمَةُ الشَّانِ فَحَبَّأَهَا عِنْدَهُ وَخَاطَبَهَا فِي ثَوْبٍ لَهُ لَبْلَاءُ وَسَمِلَتْ عَيْنَاهُ
وَطْرَحَ فِي أَسْوَاقِ بَغْدَادَ . فَهَرَّبَ بِهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ لَهُ يَا حَصْبُ
إِنِّي كُنْتُ قَصَدْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ مَا دَحَا لَكَ بِقِصْدِي فَوَاقَفْتُ
أَنْصَرَفَكَ عَنْهَا وَاجِبٌ أَنْ تَسْمَعَ . فَقَالَ كَيْفَ يَسْمَعُهَا وَلَيْسَ عَلَيَّ مَا

تَرَاهُ: فَقَالَ إِنَّمَا قَصْدِي مَمَاعِكَ لَهَا. وَأَمَّا الْعَطَاةُ فَقَدْ أُعْطِيتَ النَّاسَ
وَأَجَزَلَتْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا: قَالَ فَأَفْعَلْ فَأَنْشَدَهُ

أَنْتَ الْمُخَصِّبُ وَهَذِهِ مِصْرُ قَتَدَقْنَا فِكَلَاكُمَا بَحْرُ
فَلَمَّا أَتَى عَلَى آخِرِهَا قَالَ لَهُ أَتَقْنُ هَذِهِ الْخِطَاةَ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ
خُذِ الْبَاقُوْتَةَ: فَأَبَى فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهَا فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ بِهَا إِلَى سُوقِ
الْجَوْهَرِيِّينَ. فَلَمَّا عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ إِنَّ هَذِهِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ.
فَرَفَعُوا أَمْرَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِخْضَارِ الشَّاعِرِ وَأَسْتَفْهَمَهُ عَنْ
شَأْنِ الْبَاقُوْتَةِ فَأَخْبَرَهُ بِحَبْرِهَا. فَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِمُخَصِّبٍ وَأَمَرَ بِمُثُولِهِ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجَزَلَ لَهُ الْعَطَاةَ وَحَكَمَهُ فِيهَا بِرِيْدٍ قَرِيبٍ أَنْ يُعْطِيَهُ هَذِهِ
الْمُنْبَةَ فَفَعَلَ ذَلِكَ وَسَكَّنَهَا خَصِيبٌ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَأُورِثَهَا عِنَبُهُ إِلَى أَنْ
انْقَرَضُوا

فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَلَيْسٍ وَضَبَطْتُ أَسْهَبَهَا بِبَغْعِ الْمَوْحِدِ الْأَوَّلَى وَفَرَحَ
الْقَانِيَةُ ثُمَّ بَاءَ آخِرَ الْحُرُوفِ مُسَكَّنَةً وَسَبِينَ مِهْلٍ وَهِيَ مَدِينَةُ كَثِيرَةٌ ذَاتُ
بَسَائِينَ كَثِيرَةٍ وَلَمْ أَلْقَ بِهَا مِنْ يُحِبُّ ذِكْرُ. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ
وَمِنْهَا دَخَلْنَا الرِّمَالَ وَتَزَلْنَا سَارِهَا مِثْلَ السَّوَادَةِ وَالْوَرَادَةِ وَالْمَطْلَبِ
وَالْعَرِيشِ وَالْحُرُوبَةِ وَبِكُلِّ مَزِلٍ مِنْهَا فَنَدَقُ وَهُمْ يُسَمُّونَهُ الْخَنَازِيرُ
الْمَسَافِرُونَ يَدْعَوْنَهُمْ. وَبِخَارِجِ كُلِّ خَابِ سَائِيَةٍ لِلْسَّبِيلِ وَحَانُوتُ
يَشْتَرِي مِنْهَا الْمَسَافِرُ مَا يَخْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ وَدَارَتِهِ. وَمِنْ مَنَازِلِهَا قَطِيبَا
الْمَشْهُورَةِ وَهِيَ بِبَغْعِ الْقَافِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَبَاءَ آخِرَ الْحُرُوفِ مَفْتُوحَةٌ
وَالْفِ وَالنَّاسُ يُدْعَوْنَ إِلَيْهَا هَاءَ تَائِيَةً. وَبِهَا تُؤْخَذُ الزَّكَاةُ مِنَ التُّجَّارِ

وَتَقْنَشُ أَمْتَعَتَهُمْ وَيَبْحَثُ عَمَّا لَدَيْهِمْ أَشَدَّ الْبَحْثِ. وَفِيهَا الدُّوَابُّ وَالْعَمَالُ
وَالْكِتَابُ وَالشُّهُودُ. وَتَجْبَاهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ وَلَا
يُحْزَرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الشَّامِ إِلَّا يَدْرَاهُ مِنْ مِصْرَ وَلَا إِلَى مِصْرَ إِلَّا يَدْرَاهُ
مِنْ الشَّامِ أَحِبَّاطًا عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَتَوْفِيًا مِنَ الْحَوَاسِي الْعِرَاقِيَّةِ.
وَطَرِيفُهَا فِي ضَمَانِ الْعَرَبِ قَدْ وَكَّلُوا بِحِفْظِهِ. فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَسَحُوا عَلَى
الرِّمْلِ لَا يَبْقَى بِهِ أَثَرٌ. ثُمَّ يَأْتِي الْأَمِيرُ صَبَاحًا فَيَنْظُرُ إِلَى الرِّمْلِ فَإِنْ وَجَدَ
بِهِ أَثَرًا طَلَبَ الْعَرَبَ بِإِحْضَارِ مُوَرِّعٍ فَيَذْهَبُونَ فِي طَلَبِهِ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ
فَيَأْتُونَ بِهِ الْأَمِيرَ فَيُعَاقِبُهُ بِمَا يَشَاءُ

وَكَانَ بِهَا فِي عَهْدِ وَصُولِي إِلَيْهَا عِزُّ الدِّينِ أَمْنَادُ الدَّارِ أَفْهَارِيٍّ مِنْ
خِيارِ الْأُمَرَاءِ أَضَافِيٍّ وَكَرَمِيٍّ وَأَبَاحُ الْحَوَازِيِّنَ كَانَ مَعِي. وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَبْدُ
الْجَلِيلِ الْمَغْرِبِيُّ الْوَقَافُ وَهُوَ يَعْرِفُ الْمَغَارِبَةَ وَبِلَادَهُمْ فَيَسْأَلُ مَنْ وَرَدَ
مِنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْبِلَادِ هُوَ لَكَلَّا بَلِيسَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَغَارِبَةَ لَا يُعْتَرِضُونَ فِي
جَوَازِهِمْ عَلَى قَطْعًا

ثُمَّ سَرْنَا حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ غَزَّةَ وَهِيَ أَوَّلُ بِلَادِ الشَّامِ جَمًّا بَلِيٍّ مِصْرَ
مُتَسِعَةً الْأَفْطَارِ كَثِيرَةً الْعَارَةِ حَسَنَةً الْأَسْوَاقِ بِهَا الْمَسَاجِدُ الْعَدِيدَةُ وَلَا
سُورَ عَلَيْهَا. وَكَانَ بِهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ حَسَنٌ. وَالْمَسْجِدُ الَّذِي نَقَامُ الْآنَ بِهِ
الْجَمْعَةُ فِيهَا بَنَاءُ الْأَمِيرِ الْمُعْظَمِ الْحَوَازِيِّ وَهُوَ أَيْقُ الْبِنَاءِ مُحْكَمُ الصَّنْعَةِ
وَمِنْهُ مِنْ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ وَقَاضِي غَزَّةَ بَدْرُ الدِّينِ السَّلْجُكِيُّ الْخَوَازَنِيُّ
وَمُدْرِسُهَا عَلَمُ الدِّينِ بْنِ سَالِمٍ وَابْنُ سَالِمٍ كِبَرَاءُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمِنْهُمْ تَمَسُّ
الدِّينِ قَاضِي الْقُدْسِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ غَزَّةَ إِلَى مَدِينَةِ الْخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا وَهِيَ
 مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ كَثِيرَةٌ الْبِقَعَاتِ. مُشْرِقَةُ الْأَنْوَارِ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ.
 عَجِيبَةُ الْخَبَرِ فِي بَطْنِ وَادٍ. وَمَسْجِدُهَا أَيْقُنُ الصَّنْعَةِ مُحْكَمُ الْعَمَلِ. بَدِيعُ
 الْحُسْنِ. سَامِي الْأَرْتِفَاعِ مَبْنِي بِالْصَخْرِ الْخَوْبِ فِي أَحَدِ أَرْكَانِهِ صَخْرَةٌ أَحَدُ
 أَفْطَارِهَا سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ شِبْرًا. وَيُقَالُ إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ أَنْجَنَ
 بَيْنَاتِهِ. وَفِي دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْقَارِ الْمَكْرُمُ الْمُقَدَّسُ فِيهِ قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَيَقَالُ لَهَا قُبُورُ ثَلَاثَةِ قُبُورِ أَزْوَاجِهِمْ وَعَنْ
 بَيْتَيْنِ الْمَنْبَرِ يَلْصُقُ جِدَارِ الْقِبْلَةِ مَوْضِعٌ يَهْبِطُ مِنْهُ عَلَى دَرَجٍ رُخَامٍ
 مُحْكَمَةٍ إِلَى مَسَلِكٍ ضَيِّقٍ يَفْضِي إِلَى سَاحَةِ مَفْرُوشَةٍ بِالرُّخَامِ فِيهَا صُورُ
 الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا مُحَاذِيَةٌ لَهَا. وَكَانَ هَذَا مَسَلِكٌ إِلَى الْغَارِ
 الْمُبَارَكِ وَهُوَ الْآنَ مَسْدُودٌ وَقَدْ نَزَلْتُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مَرَّاتٍ
 ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ الرَّمْلَةِ وَهِيَ فَلَاسْطِينُ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ. كَثِيرَةٌ
 الْحَبَرَاتِ. حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ. وَبِهَا الْجَامِعُ الْأَبْيَضُ وَيُقَالُ لَهَا فِي قِبْلَتِهِ
 ثَلَاثِيَّةٌ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ مَذْفُونِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَفِيهَا مِنْ كِبَارِ الشُّهَاءِ
 مَجْدُ الدِّينِ النَّابِلِيُّ. ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ نَابَلُسَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ
 كَثِيرَةٌ الْأَشْجَارِ. مُطَرَّدَةُ الْأَنْهَارِ. مِنْ أَكْثَرِ بِلَادِ الشَّامِ وَبُيُوتُهَا. وَمِنْهَا
 يُجَمَلُ الزَّيْتُ إِلَى مِصْرَ وَدِمَشْقَ. وَبِهَا تُصْنَعُ حُلُوكُ الْخَرْبُوبِ وَتُجَلَّبُ
 إِلَى دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا. وَكَيْفِيَّةُ عَمَلِهَا أَنَّ بَطْنِ الْخَرْبُوبِ ثَمٌّ يُعَصَّرُ وَيُؤْخَذُ
 مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الرُّبِّ فَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحُلُوكُ وَتُجَلَّبُ ذَلِكَ الرُّبُّ أَيْضًا إِلَى
 مِصْرَ وَالشَّامِ. وَبِهَا الْبَطْنُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا وَهُوَ طَيِّبٌ عَجِيبٌ. وَمَسْجِدُهَا

الجماع في عيانية من الاتقان والحسن . وفي وسطه بركة ماء عذب . ثم
سافرت منها إلى مدينة مجلون وهي بفتح العين الههله . وهي مدينة
حسنة لها أسواق كثيرة . وقلة خطيرة وشها نهر ماء عذب . ثم
سافرت منها بقصد اللاذقية فمرت بالنور وهو وادي بين تلالي به قبر
آبي عينة بن الجراح أمين هذه الأمة رضي الله عنه زرناء وعليه زاوية
فيها الطعام لابناء السيل وبتنا هنالك ليلة ثم وصلنا إلى القصير وبه
قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه . تبركت أيضا بربارته

ثم سافرت على الساحل فوصلت إلى مدينة عكة وهي خراب . وكانت
عكة قاعة بلاد الأفرنج بالشام ومرسى سفنهم ونشبه فسطاطية
العظمى وبشر فيها عين ماء تعرف بعين البقر . يقال إن الله تعالى أخرج
منها البقرة لآدم عليه السلام ونزل إليها في درج . وكان عليها مسجد
بقي منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عم . ثم سافرت منها إلى مدينة
صور وهي خراب وبخارجها قرية معمورة وكثر أهلها شيعيون ولقد
نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء فألقى بعض أهل تلك القرية
لبنوا فبدأ بغسل رجله ثم غسل وجهه ولم يقضض ولا استشق .
ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه في فعله فقال لي إن الدنيا إنما يكون
أبدًا أو من الأساس . ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في انحصانه
والمنعة لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر
والثاني للبحر . ولها بها الذي بشرع للبر أربعة فاصلان كلها في ستائر
محيطه بالباب . وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين

وَبَنَّا وَمَا لَيْسَ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا أَعْجَبَ وَلَا أَغْرَبَ شَأْنًا مِنْهُ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ
بِهِمَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهِمَا. وَعَلَى أَلْجَمَةِ الرَّابِعَةِ سُورٌ تَدْخُلُ السُّفُنُ تَحْتَ
السُّورِ وَتَرْسُو هُنَاكَ. وَكَانَ فِيهَا تَقْدِمُ بَيْنَ الْبَرْجَيْنِ سِلْسِلَةٌ حَدِيدِيَّةٌ
مُعْرِضَةٌ لِاسْتَيْلِ إِلَى الدَّخِيلِ هُنَاكَ وَلَا إِلَى الْخَارِجِ إِلَّا بَعْدَ حَطِّهَا
وَكَانَ عَلَيْهَا الْحُرَّاسُ وَالْأَمَنَاءُ فَلَا يَدْخُلُ دَاخِلُ وَلَا يَخْرُجُ خَارِجٌ إِلَّا عَلَى
عِلْمٍ مِنْهُمْ وَكَانَ لِعَلَّةٍ أَيْضًا مِثْلُهَا وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ إِلَّا السُّفُنَ الصَّغِيرَةَ
ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ صَبَا وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَسَنَةٌ
كَثِيرَةُ الْقَوَائِمِ يُجْمَلُ مِنْهَا التِّينُ وَالزَّيْتُ وَالزَّبُوبُ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ. نَزَلْتُ
عِنْدَ قَاضِيهَا كَمَالِ الدِّينِ الْأَشْمُونِيِّ الْمِصْرِيِّ وَهُوَ حَسَنُ الْأَخْلَاقِ كَرِيمُ
النَّفْسِ. ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ طَبْرِقَةِ. وَكَانَتْ فِيهَا مَضَى مَدِينَةٍ
كَثِيرَةٍ ضَخْمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رُسُومٌ تُنْبِئُ عَلَى ضَخَامَتِهَا وَعَظَمِ شَأْنِهَا.
وَبِهَا الْحُمَامَاتُ الْعَجِيبَةُ لَهَا يَتَنَانُ أَحَدُهَا لِلرِّجَالِ وَالثَّانِي لِلنِّسَاءِ وَمَا وَهَا
شَدِيدُ الْحَرَارَةِ وَلَهَا الْبَحِيرَةُ الشَّهِيرَةُ طُولُهَا نَحْوُ سِتَّةِ فَرَاسِخَ وَعَرْضُهَا
أَزِيدُ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ. وَبِطَبْرِقَةِ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِ قَبْرُ
شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنَاتُهُ زَوْجَتُهُ مَوْسَى الْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ سُلَيْمَانَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ يَهُوذَا وَقَبْرُ رُوَيْلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.
وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةَ الْحَجِّ الَّذِي أُلْفِيَ فِيهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ
فِي صَحْنٍ مَسْجِدٍ صَغِيرٍ وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ وَالْحَجُّ كَثِيرٌ عَجِيفٌ شَرِبْنَا مِنْ مَائِهِ
الْجَمْعُ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَأَخْبَرْنَا فِيهِ أَنَّ الْمَاءَ يَنْبَغُ مِنْهُ أَيْضًا
ثُمَّ سَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ يَمْرُوتَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ. حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَجَامِعُهَا بَدِيعٌ

الْحَسَنَ وَتَجَلَّبُ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ الْقَوَاكِمِ وَالْمُحْدِيدِ. وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِبَارَةَ
قَبْرِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ
يَبْذُوعُ يَعْرِفُ بِكَرْكِ نُوحٍ مِنْ بَقَاعِ الْعَزِيزِ. وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ يُطْعَمُ بِهَا
الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ وَيُقَالُ إِنَّ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ وَقَفَ عَلَيْهَا الْآوَقَافَ.
وَقِيلَ السُّلْطَانُ نُورُ الدِّينِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَيُذَكَّرُ أَنَّهُ كَانَ يَنْسُجُ
الْمُحْصَرُ وَيَقْتَاتُ بِمِنْهَا

حِكَايَةُ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ الْمَذْكُورِ

بُحِجِّي أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ قَمَرِضَ بِهَا مَرَضًا شَدِيدًا وَأَقَامَ
مَطْرُوحًا بِأَلْسُونِي. فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ لِيَلْتَمِسَ
بُسْتَانًا يَكُونُ حَارِسًا لَهُ فَاسْتَوْجِرَ لِحِرَاسَةِ بُسْتَانِ لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ.
وَأَقَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ الْفَاكِهَةِ أَتَى السُّلْطَانُ إِلَى
ذَلِكَ الْبُسْتَانِ وَأَمَرَ وَكِيلَ الْبُسْتَانِ أَبَا يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَ بِرُمَانٍ بِأَكْلٍ مِنْهُ
السُّلْطَانُ. فَأَتَاهُ بِرُمَانٍ فَوَجَدَهُ حَايِضًا. فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِهِ فَفَعَلَ
ذَلِكَ فَوَجَدَهُ أَيْضًا حَايِضًا. فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ: أَنْتَ كُنْ فِي حِرَاسَةِ الْبُسْتَانِ
مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ الْمُحْلُومِينَ الْحَايِضُ: فَقَالَ إِنَّمَا اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى
الْحِرَاسَةِ لَا عَلَى الْأَكْلِ. فَأَتَى الْوَكِيلُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. فَبَعَثَ
إِلَيْهِ الْمَلِكُ وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي يَعْقُوبَ وَتَحْضُلُ
لَهُ مِنْهُ فَايِدَةٌ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو يَعْقُوبَ قَالَ نَعَمْ. فَقَامَ
إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ. ثُمَّ أَخَذَهُ إِلَى مَحَلِّسِهِ. فَأَضَافَهُ بِضِيَّافَةٍ
مِنْ الْأَحْلَالِ الْمَكْتَسَبِ بِكَدِّ يَدَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ أَبَامًا. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ

قَارًا بِنَفْسِهِ فِي أَوَّلِ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ. فَأَتَى قُرْبَةً مِنْ قُرَاهَا وَكَانَ بِهَا رَجُلٌ
 مِنَ الضُّعَفَاءِ قَعَرَضَ عَلَيْهِ التُّزُولَ عِنْدَهُ فَفَعَلَ وَصَنَعَ لَهُ مَرْقَةً وَذَبَحَ لَهُ
 دَجَاجَةً فَأَتَاهُ بِهَا وَتَحَيَّرَ شَعِيرٌ. فَأَكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَدَعَا لِلرَّجُلِ وَكَانَ
 عِنْدَهُ جَمَلَةٌ أَوْلَادٌ مِنْهُمْ بَنَتْ قَدْ أَنْ يَنَاءَ زَوْجَهَا عَلَيْهَا. وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي
 تِلْكَ الْيَلَادِ أَنْ الْيَتَّ بِحَبْرُهَا أَبُوهَا وَيَكُونُ مُعْظَمُ الْيُحَاذِ أَوَّلِي الثَّمَانِ
 وَيُؤْتَى بِنَفَاحُونَ وَيُؤْتَى بِنَفَاحُونَ. فَقَالَ أَبُو بَعْنُوبَ لِلرَّجُلِ: هَلْ عِنْدَكَ
 شَيْءٌ مِنَ الثَّمَانِ قَالَ نَعَمْ: قَدْ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ لِيَحْبِرُ هَذِهِ الْيَتَّ: قَالَ أَتُنِي
 بِهِ: فَأَتَاهُ بِهِ: فَقَالَ لَهُ اسْتَعْرِ مِنْ جِيرَانِكَ مَا أَمْكَكَ مِنْهُ: فَفَعَلَ وَأَخْضَرَ
 ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَوْقَدَ عَلَيْهِ الْبُرْجَانِ وَأَخْرَجَ صُرَّةً كَانَتْ عِنْدَهُ فِيهَا الْكُفَيْرُ
 فَطَرَحَ مِنْهُ عَلَى الثَّمَانِ فَعَادَ كُلُّهُ ذَهَبًا وَتَرَكَهُ فِي يَسْتِ مُنْقَلٍ وَكُتِبَ كِتَابًا
 إِلَى نُورِ الدِّينِ مَلِكِ دِمَشْقَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ وَيُنَبِّئُهُ عَلَى يَنَاءِ مَا رَسَنَانِ
 لِلرَّضَى مِنَ الثَّمَانِ وَيُؤْتَى عَلَيْهِ الْأَوْقَافَ وَيُنِي الزَّوَابَا بِالطَّرِيقِ وَيَرْضَى
 أَصْحَابُ الثَّمَانِ وَيُعْطَى صَاحِبُ الْيَتَّ كِفَايَتَهُ: وَقَالَ لَهُ فِي آخِرِ الْكِتَابِ
 وَإِنْ كَانَ لَمْ يَرْهِمْ بَنُ أَدَمَ قَدْ خَرَجَ عَنْ مُلْكِ خُرَاسَانَ فَأَنَا قَدْ خَرَجْتُ
 مِنْ مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَعَنْ هَذِهِ الصَّنْعَةِ وَالسَّلَامِ. وَفَرَمِيَتْ حَبْرُهُ وَذَهَبَ
 صَاحِبُ الْيَتَّ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ. فَوَصَلَ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ
 الْفِرْيَةِ وَاحْتَمَلَ الذَّهَبَ بَعْدَ أَنْ أَرْضَى أَصْحَابُ الثَّمَانِ وَصَاحِبُ الْيَتَّ
 وَطَلَبَ أَبَا بَعْنُوبَ فَلَمْ يَجِدْهُ أَثَرًا وَلَا وَقَعَ لَهُ عَلَى خَبَرٍ. فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ
 وَبَنَا الْمَارِسْتَانَ الْمَعْرُوفَ بِاسْمِهِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَعْبُورِ مِنْهُ
 ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ وَفِي إِحْدَى قَوَاعِدِ الشَّامِ. وَبَلَدَانِهَا

الْفَخَامُ. تَخَذَ فِيهَا الْأَنْهَارُ. وَتَحَنَّنَ الْبَسَائِنُ وَالْأَشْجَارُ. وَتَكَنَّفَهَا الْبَحْرُ
بِمِرَافِقِهِ الْعِيبِيَّةِ. وَالْبَرْقُ بِخَيْرَاتِهِ الْبَيْضِيَّةِ. وَلَمَّا الْأَسْوَدُ الْعَجِيبَةُ. وَالْمَسَارِخُ
الْحَصِيَّةُ. وَالْبَحْرُ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْهَا وَفِي حَدِيثَةِ الْبِنَاءِ. وَأَمَّا طَرَابُلُسُ
الْقَدِيمَةُ فَكَانَتْ عَلَى ضَفَةِ الْبَحْرِ وَتَمْلِكُهَا الرُّومُ زَمَانًا. فَلَمَّا اسْتَرْجَعَهَا الْمَلِكُ
الظَّاهِرُ خَرِبَتْ وَانْغَدَتْ هَذِهِ الْحَدِيثَةُ. وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةِ نَحْوُ أَرْبَعِينَ مِنْ أُمَّرَأَةٍ
الْأَنْزَالِ وَأَمِيرُهَا طَبْلَانُ الْحَاجِبُ الْمَعْرُوفُ بِهَلِكِ الْأُمْرَأَةِ وَمَسْكَنُهُ مِنْهَا
بِالدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ. وَمِنْ عَوَائِدِهِ أَنْ يَرْكَبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ
وَحَمْسٍ وَيَرْكَبَ مَعَهُ الْأُمْرَأَةُ وَالْعَسَاكِرُ وَيَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا
عَادَ إِلَيْهَا وَقَارَبَ الْوُصُولَ إِلَى مَتَرِهِ تَرْجُلُ الْأُمْرَأَةِ وَنَزَلُوا عَنْ دَوَابِّهِمْ
وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ مَتَرُهُ وَيَنْصَرِفُونَ. وَتَضْرِبُ الْعُطْلُحَانَةُ عِنْدَ
دَارِ كُلِّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ بَعْدَ صَلَوةِ الْمَغْرِبِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ وَتُوقَدُ الْمَشَاعِلُ.
وَمِنْ كَانَ يَمِينِ الْأَعْلَامِ كَاتِبُ السِّرِّ بِهَاةِ الدِّينِ بْنُ غَايِرٍ أَحَدُ الْفَضْلَاءِ
الْحَبَسَاءِ الْمَعْرُوفِ بِالسَّخَاءِ وَالْكَرَمِ. وَأَخُوهُ حَسَامُ الدِّينِ هُوَ شَيْخُ الْقُدْسِ
الشَّرِيفِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَأَخُوهُمَا عَلَاءُ الدِّينِ كَاتِبُ السِّرِّ بِدِمَشْقَ وَمِنْهُمْ
وَكِلْتُيُتُ الْمَالِ قَوَامُ الدِّينِ بْنُ مَكِينٍ مِنْ أَكْبَارِ الرِّجَالِ. وَمِنْهُمْ قَاضِي
قُضَائِيَا شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ النُّفَيْسِ مِنْ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الشَّامِ. وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةِ
حَمَامَاتُ حِسَانٍ مِنْهَا حَامُ الْقَاضِي الْفَرَمِي وَحَامُ سَنْدَمُورَ. وَكَانَ سَنْدَمُورُ
أَمِيرَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَيُذَكِّرُنَاهُ أَخْبَارَ كَثِيرَةٍ فِي الشَّيْءِ عَلَى أَهْلِ الْإِجَابَاتِ مِنْهَا
أَنَّ أُمَّرَأَةً شَكَّتْ إِلَيْهِ بِأَنَّ أَحَدَ مَالِكِيهِ الْخَوَاصِ تَعَدَّى عَلَيْهَا فِي لَبَنِ كَانَتْ
تَبِيعُهُ فَشَرِبَهُ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا بَيِّنَةٌ. فَأَمَرَ بِهِ فَوُضِعَ فَخْرَجَ اللَّبَنُ مِنْ مُصْرَانِهِ.

وَقَدِ اتَّفَقَ مِنْهُ هَذِهِ الْحِكَايَةُ لِلْعَرِيسِ أَحَدِ أُمَّرَأَةِ أَبْنَاءِ النَّاصِرِ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ
عَلَى عِدَابٍ وَاتَّفَقَ مِنْهَا لِلْمَلِكِ كَيْفَ سُلْطَانِ عَرَسْتَانِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ طَرَابُلُسَ إِلَى حَضْرَةِ آدَمَ، وَهُوَ بَلَدٌ صَغِيرٌ كَثِيرُ
الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ بِأَعْلَى تَلٍّ وَبِهِ زَاوِيَةٌ لِلْإِبْرَاهِيمِيِّ نِسْبَةً
إِلَى بَعْضِ كُبَرَاءِ الْأُمَرَاءِ وَتَزَلُّ فِيهَا مَضِيحًا وَلَا أَحَقُّ الْآنَ اسْمُهُ. ثُمَّ
سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ حَضْرَةِ وَفِي مَدِينَةِ مَلِيحَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُؤَنَّةٌ. وَأَشْجَارُهَا
مُورَقَةٌ. وَأَسْوَافُهَا فَصِيحَةٌ أَلَّةٌ. ع. وَجَامِعُهَا مُفِيدٌ بِالْحَسَنِ الْجَامِعِ.
وَفِي وَسْطِهِ بَرْكَةٌ مَاءٍ. وَأَهْلُهَا عَرَبٌ لَمْ يَفْضَلْ وَكَرَمٌ وَبِخَارِجِ
هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَبْرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ. وَبِهِ زَاوِيَةٌ وَمَسْجِدٌ وَعَلَى الْقَبْرِ
كِسْوَةٌ سَوْدَاءٌ. وَقَاضِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ جَمَالُ الدَّيْرِ السَّيِّدِ بْنِ
النَّاسِ صُورَةٌ وَأَحْسَنُهُمْ سَيِّدَةً. ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ سَمِيٍّ بِحَدِّ
أَهْمَاتِ الشَّامِ الرَّفِيعَةِ. وَبَدَائِنُهَا الْبَدِيعَةِ. ذَاتُ الْحَسَنِ الرَّائِقِ. وَالْحِجَابِ
الْفَائِقِ. تَحْتُمُهَا الْبَسَائِينُ وَالْجَمَاتُ. عَلَيْهَا النُّوَابِغُ كَأَلْفِ أَفلاكِ الدَّافِرَاتِ
يُشْفِيهَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ الْمَسْمِيُّ بِالْعَاصِي. وَلَهَا رِضٌّ سُمِّيَ بِالْمَنْصُورِيَّةِ أَعْظَمُ
مِنَ الْمَدِينَةِ فِيهِ الْأَسْوَاقُ الْمُخَافِلَةُ وَالْجَمَامَاتُ الْحَسَنَاتُ. وَبِحِجَاةِ النَّوَاكِرِ
الْكَبِيرَةِ وَمِنْهَا الْيَشْيَشُ الْوَلِيدِي إِذَا كَثُرَتْ نَوَائِدُهُ وَجِدَتْ فِي دَاخِلِهَا
لَوْزَةٌ حُلْوَةٌ

ثُمَّ سَافَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ حَلَبِ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى وَالْقَاعَةِ الْعُظْمَى. قَالَ أَبُو
الْحَسَنِ ابْنُ جَبْرِ فِي وَصْفِهَا. قَدَرُهَا خَطِيرٌ. وَذِكْرُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ
يَطِيرُ. خُطَابُهَا مِنَ الْمُلُوكِ كَثِيرٌ. وَمَحَلُّهَا مِنَ النُّفُوسِ أَثِيرٌ. فَكَمْ هَاجَتْ

مِنْ كِفَاحٍ . وَسُلِّ عَلَيْهِمَا بَيْنَ بَيْضِ الصِّفَاحِ . لَمَّا قَلَعَهُ شَهِيدُهُ الْإِمْتِنَاعِ .
 بِأَمْنَةٍ الْإِرْتِفَاعِ . تَزْهَتْ زَهَامَةً أَنْ تُرَامَ أَوْ تُسْتَطَاعَ . مَخُوفَةُ الْأَرْجَاءِ .
 مَوْضُوعَةٌ عَلَى نِسْبَةِ آعِندَرٍ وَآتِنَوَاهِ . قَدْ طَاوَلَتْ الْأَيَّامَ وَالْأَعْوَامَ .
 وَشَبِعَتْ الْخَوَاصَّ وَالْعَوَامَ . ١٠ - مَرَّأُوها أَلْحَمْدَانِيُونَ وَشُعْرَاؤُهَا .
 فَقَدْ جَمِعَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِنَاؤُهَا . ١١ - الْبِلَادُ تَبَنَّى وَيَذْهَبُ أَمْلَاكُهَا .
 وَيَهْلِكُونَ وَلَا يَبْقَى هَلَاكُهَا . وَتَذْهَبُ دُمُومُهَا فَلَا يَبْعَدُرُ أَمْلَاكُهَا .
 وَتُرَامُ فَيَنْبَسِرُ بِأَهْوَنِ شَيْءٍ إِذَا رَأَتْهَا . عِيْدُ حَلَبُكُمْ أَذْخَلَتْ مُلُوكُهَا فِي
 خَبَرٍ كَانَ . وَنَسَخَتْ صَرْفَ الزَّمَانِ بِأَمْنِهَا . أَنْتِ أَسْمَا فَخَلَتْ بِحِمْلَةِ الْعَوَانِ .
 وَكَانَتْ بِالْعُدْرِ فِيمَنْ دَانَ . وَتَوَدَّاتِ عُرُوسًا بَعْدَ سَيْفِ دَوْلَتِهَا أَنْبِ
 دَانَ . هَبَّاتِ سَبَرٍ مُسَابِهَا . وَيَعْدُمُ خِطَابُهَا . وَيُسْرِعُ فِيهَا بَعْدَ حِينِ
 سَرَابِهَا . ١٢ - ١٣ - الشَّهْبَاءُ . وَبَدَا خِلَافُهَا جُبَانُ بَنِيهَا الْمَاءُ .
 فَلَا حَرَّ أَلَدٍ . وَبَطِيفُهَا سُورَانِ . وَعَلَيْهَا خَنْدَقٌ عَظِيمٌ يَنْبَعُ مِنْهُ
 الْمَاءُ . وَسُورُهَا مَتَدَانِي الْأَبْرَاجِ . وَقَدْ أَنْتَضَلَّتْ بِهَا الْعَلَالِي الْعَجِيَّةُ
 الْمُنْعَمَةُ الطَّبَقَانِ . وَكُلُّ بُرْجٍ مِنْهَا مَسْكُونٌ وَالطَّعَامُ لَا يَتَغَيَّرُ بِهِ الْقَلْعَةُ
 عَلَى طُولِ الْعُمْدِ . وَبِهَا مَشْهُدٌ يَقْصِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ . يُقَالُ إِنَّ الْأَخْلِيلَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَعَبَّدُ بِهِ . وَهَذِهِ الْقَلْعَةُ تُشَبِّهُ قَلْعَةَ رَحْبَةَ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ
 الَّتِي عَلَى الْفُرَاتِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا قَصَدَ قَارَاطُ طَاغِيَةِ الْغَنَرِ
 مَدِينَةَ حَلَبَ حَاصَرَهُ هَذِهِ الْقَلْعَةُ أَيَّامًا وَنَكَّصَ عَنْهَا خَائِبًا . قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ
 وَفِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ يَقُولُ الْأَخْلِيلِيُّ شَاعِرُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ
 وَخَرَفَاءُ قَدْ قَامَتْ عَلَى مَنْ يَرُومُهَا يَبْرُقُهَا الْعَالِي وَجَانِبُهَا الصَّغِيرُ

يُحْرَقُ عَلَيْهَا الْجَوْجِبُ غَمَامِهِ وَيُلْبِسُهَا عِفْدًا بِأَنْجَبِهِ الشَّهْبُ
 إِذَا مَا سَرَى بَرَقَ بَدَتْ مِنْ خِلَالِهِ كَمَا لَحَتْ الْعُذْرَةُ مِنْ خِلَالِ الشَّجَرِ
 فَكَمْ مِنْ جُنُودٍ قَدْ أَمَاتَتْ بِقُصَّةٍ وَذِي سَطَوَاتٍ قَدْ أَبَانَتْ عَلَى عَقَبِ
 رَجَعٍ وَيُقَالُ فِي مَدِينَةِ حَلَبَ حَلَبَ لِإِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ الْحَمِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
 وَسَلَامُهُ كَانَتْ بِسُكْنِهَا وَكَانَتْ لَهُ الْغَنَمُ الْكَثِيرَةُ فَكَانَ يَسْنِي الْفَرَاعَ
 وَالسَّائِكِينَ وَالْوَارِدَ وَالصَّادِرَ مِنَ الْبَابِهَا. فَكَانُوا يَحْتَمِلُونَ وَيَسْأَلُونَ
 حَلَبَ إِبْرَاهِيمَ فَسَيِّئَتْ بِذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَعَزِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ لَا تَطِيرُ لَهَا فِي
 حُسْنِ الْوَضْعِ وَاقْتَانِ التَّرْتِيبِ وَالنَّسَاعِ الْأَسْوَاقِ وَاتِّعْظَامِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.
 وَأَسْوَاقُهَا مُسْتَفْتَةٌ بِأَشْجَبِ. فَأَهْلُهَا كَانُوا فِي ظِلِّ مَهْدُودٍ. وَقِيَّسَارِيَّتُهَا
 لَا تَمَازِلُ حُسْنًا وَكِبَرًا وَهِيَ تُحِيطُ بِسُجْدِهَا. وَكُلُّ سِيَاطٍ مِنْهَا مُحَادِي لِبَابِ
 مِنْ أَبْوَابِ السُّجْدِ. وَسُجْدُهَا الْجَمِيعُ مِنْ أَحْمَلِ الْمَسَاجِدِ. فِي صَحْنِهِ بَرَكَةٌ
 مَاءٌ وَيُطْبَفُ بِهِ بِلَاطٌ عَظِيمٌ إِلَى تَسَاعٍ. وَمِنْبَرُهَا بِدَيْعِ الْعَمَلِ. مُرْصَعٌ
 بِأَلْعَاجٍ وَالْأَبْنُسِ. وَيُقَرَّبُ جَامِعُهَا مَدْرَسَةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ فِي حُسْنِ الْوَضْعِ
 وَاقْتَانِ الصَّنْعَةِ تُنْسَبُ لِأَمْرَأَةٍ بِنِي حَمْدَانَ. وَبِالْبَلَدِ سِوَاهَا ثَلَاثُ مَدَارِسَ
 وَبِهَا مَارِسَتَانُ. وَأَمَّا خَارِجُ الْمَدِينَةِ فَهُوَ بَسِيطٌ أَفْخُ عَرِيضٌ بِهِ الزَّرَاعُ
 الْعَظِيمَةُ وَشَجَرَاتُ الْأَعْنَابِ مُنْتَظِمَةٌ بِهِ. وَالْبَسَاتِينُ عَلَى شَاطِئِ سَهْرِهَا.
 وَهُوَ النَّهْرُ الَّذِي يَهْرُ بِحِمَاةٍ وَيُسَمَّى الْعَاصِي. وَقِيلَ إِنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ
 يُجْبَلُ لِنَاطِيرِهِ أَنْ جَرِيَانَهُ مِنْ أَسْفَلٍ إِلَى عَلْوٍ. وَالنَّفْسُ تُجَدُّ فِي خَارِجِ
 مَدِينَةِ حَلَبَ أَشْرَاحًا وَسُرُورًا وَنَشَاطًا لَا يَكُونُ فِي سِوَاهَا وَهِيَ مِنْ
 الْمَدِينِ إِلَيَّ تَصْلُحُ لِلْخَلَاقَةِ. قَالَ ابْنُ جُزَيْ طَهَّبَتِ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ

مَحَاكِسِ حَلَبَ وَذَكَرَ دَاخِلَهَا وَخَارِجَهَا . وَفِيهَا يَقُولُ أَبُو عِبَادَةَ الْبَحْرِيُّ
يَا بَرَقُ اسْفِرْ عَنْ فُوقِي مَطَالِي حَلَبُ قَاعُ الْقَصْرِ مِنْ بَطْنِ
عَنْ مَنَبَتِ الْوَرْدِ الْمَعْصِرِ صِبْغُهُ فِي كُلِّ ضَاحِيَةٍ وَبَحْفَى الْأَسْرِ
أَرْضُ إِذَا اسْتَوْحَشْتُمْ يَتَذَكَّرُ حَشَدَتْ عَلَيَّ فَأَكْثَرْتُ لِمَنَاسِي
وَقَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ الْجِدُّ أَبُو بَكْرٍ الصَّوْبَرِيُّ

سَقَى حَلَبُ الْمَزِينِ مَغْفَى حَلَبُ فَكَمْ وَصَلَتْ طَرَبًا بِالطَّرَبِ
وَكَمْ مُسْتَطَابٍ مِنَ الْعَيْشِ لَدَىهَا إِذَا بِهَا الْعَيْشُ لَمْ يُسْتَطَبْ
إِذَا نَشَرَ الزَّهْرُ أَعْلَامُهُ بِهَا وَمَطَارَفُهُ وَالْعَدَبُ
غَدَا وَحَوَاشِيهِ مِنْ فِضْوَ تَرَوْقُ وَأَوْسَاطُهُ مِنْ دَهَبِ
ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ وَهُوَ مِنْ أَخْصَبِ جِبَالِ الدُّنْيَا . فِيهِ أَصْنَافُ
الْقَوَاكِ وَغَيُونُ الْمَاءِ وَالظِّلَالُ الْوَافِرُ . وَلَا يَجْلُو مِنَ الْمُنْطَبِعِينَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى وَالزُّهَادِ وَالصَّالِحِينَ وَهُوَ شَهْرٌ بِذَلِكَ . وَرَأَيْتُ بِهِ جَمَاعَةً مِنَ
الصَّالِحِينَ قَدْ انْقَطَعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ لَمْ بِشَهْرِ اسْمِهِ
حِكَايَةٌ

أَخْبَرَنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَقِينَهُمْ بِهِ قَالَ : كُنَّا يَهَذَا الْجَبَلِ مَعَ
جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ أَيَّامَ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ . فَأَوْقَدْنَا نَارًا عَظِيمَةً وَأَحْدَقْنَا بِهَا
فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ بَصُلْحُ لِهَذِهِ النَّارِ مَا بُشِوْهُ فِيهَا : فَقَالَ أَحَدُ
الْفُقَرَاءِ مِنْ تَزَدَرِيهِ الْأَعْيُنُ وَلَا يُؤْبَهُ بِهِ . لَمِنِي كُنْتُ عِنْدَ صَلَوةِ الْعَصْرِ
يَمْتَعِدُ لِبَرَاهِمِ نَبِ أَذْمَ فَرَأَيْتُ بِمَقَرَبَةٍ مِنْهُ جَارٌ وَخَشِيَ قَدْ أَحْدَقَ
الْفُلُجُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَظْنَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَاتِ فَلَوَدَّ هَبَمَ إِلَيْهِ لَقَدَرْتُمْ

عَلَيْهِ وَشَوَيْتُمْ لَحْمَهُ فِي هَذِهِ النَّارِ . قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فِي خَمْسَةِ رَجَالٍ فَأَلْتَيْنَاهُ
كَمَا وَصَفَ إِلَيْنَا . فَبَضَّضَاهُ وَأَتَيْنَاهُ أَصْحَابَنَا وَذَبَحْنَاهُ وَأَشْوَيْنَا لَحْمَهُ فِي
تِلْكَ النَّارِ وَطَلَبْنَا الْقَتِيرَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَيْهِ فَلَمْ نَجِدْهُ وَلَا وَقَعْنَاهُ عَلَى أَثَرٍ
فَقَالَ عَجَبْنَا مِنْهُ

ثُمَّ وَصَلْنَا مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ إِلَى مَدِينَةِ بَعْلَبَكْ . وَهِيَ حَسَنَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ
أَطْيَبِ مَدُنِ الشَّامِ . تُحْدِقُ بِهَا الْبَسَائِينُ الشَّرِيفَةُ . وَالْجَنَاتُ الْمُنِيفَةُ .
وَتُحْرِقُ أَرْضَهَا الْأَنْهَارُ الْحَارِيَّةُ . وَتُضَاهِي دِمَشْقَ فِي خَيْرَاتِهَا الْمُنْتَاهِيَةِ .
وَبِهَا مِنْ حَيِّ الْمُلُوكِ مَا لَيْسَ فِي سِوَاهَا . وَبِهَا يُصْنَعُ الدِّبْسُ الْمُنْسُوبُ
إِلَيْهَا وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الرُّبِّ يَصْنَعُونَهُ مِنَ الْعَنْبِ . وَلَمْ تُزَيَّ بِضَعُونَهَا فِيهِ
فَيُحْدَدُ وَتُكْسَرُ الْقُلَّةُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا فَيَبْقَى فِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحُلُوءَةُ
وَيُجْعَلُ فِيهَا الْفُسْفُوسُ وَاللُّوزُ وَيُسْمَوْنَ حُلُوءَةً بِالْمَلِكِينَ . وَهِيَ كَثِيرَةٌ
الْأَلْبَانُ وَتُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةٌ يَوْمٌ لِلْحَيْدِ . وَأَمَّا الرِّفَاقُ
فَيَخْرُجُونَ مِنْ بَعْلَبَكْ فَيَسِيرُونَ يَبْلُغُونَ صَغِيرَةً تُعْرَفُ بِالزُّبْدَانِي كَثِيرَةٌ
الْقَوَاكِبُ وَبَعْدُونَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ . وَبُصْنَعُ بَعْلَبَكْ الْغِيَابُ الْمُنْسُوبَةُ
إِلَيْهَا مِنَ الْأَحْرَامِ وَغَيْرِهَا وَبُصْنَعُ بِهَا أَوْلَىي الْأَخْشَبُ وَمَلَاعِقُهُ الَّتِي لَا تُظِيرُ
لَهَا فِي الْيَلَادِ وَهُمْ يَسْمَوْنَ الصِّحَافَ بِالدُّسُوبِ وَرَبَّهَا صَنَعُوا الصَّحْفَةَ وَصَنَعُوا
صَحْفَةً أُخْرَى تَسْعُ فِي جَوْفِهَا وَأُخْرَى فِي جَوْفِهَا إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا الْعَشْرَةَ
يُجَبِّلُ رَائِيهَا أَنَّهَا صَحْفَةٌ وَاحِدَةٌ . وَكَذَلِكَ الْمَلَاعِقُ يَصْنَعُونَ مِنْهَا عَشْرَةَ
وَاحِدَةً فِي جَوْفٍ وَاحِدَةٍ وَبُصْنَعُونَ لَهَا عِشَاءً مِنْ جِلْدٍ وَيَمْسِكُهَا الرَّجُلُ
فِي جِزْلِهِ . وَإِذَا حَضَرَ طَعَامًا مَعَ أَصْحَابِهِ أَخْرَجَ ذَلِكَ فَيُظَنُّ رَائِيهِ أَنَّهَا

بِلَعْنَةٍ وَاحِدَةٍ . ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِهَا نِسَاءً

وَكَانَ دُخُولِي لِبَعْلِكَ عِشَّةَ النَّهَارِ وَخَرَجْتُ مِنْهَا بِالْقُدْوَةِ لِفِرْطٍ
أَشْبَهَ فِي إِلَى دِمَشْقَ وَوَصَلْتُ يَوْمَ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
عَامَ سِتِّهِ وَعِشْرِينَ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ الشَّامِ . فَزِلْتُ مِنْهَا بِمَدْرَسَةِ
الْمَالِكِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشَّرَائِشِيَّةِ . وَدِمَشْقُ فِي أَلْيِّ تَنْفُلٍ جَمِيعِ الْبِلَادِ حُسْنًا
وَتَفَدُّهَا حَالًا وَكُلُّ وَضْعٍ وَإِنْ طَالَ فَهُوَ قَاصِرٌ عَنْ مَحَاسِنِهَا . وَلَا أَبْدَعُ
مِمَّا قَالَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ جَبْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذِكْرِهَا قَالَ . وَأَمَّا
دِمَشْقُ فَبِي جَنَّةِ الْمَشْرِقِ وَمَطْلَعُ نُورِهَا الْمَشْرِقُ . وَخَانِمَةُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ
الَّتِي اسْتَفْرَيْنَاهَا . وَعُرُوسُ الْمُدُنِ الَّتِي أَجْنَلَيْنَاهَا . فَذُحِّلَتْ بِأَزَاهِيرِ
الرَّبَاحِينَ . وَتَجَلَّتْ فِي حُلِّ سُنْدُسِيَّةٍ مِنَ الْبَسَائِنِ . وَحَلَّتْ مِنْ مَوْضِعِ
الْحُسْنِ بِالْمَكَانِ الْمَكِينِ . وَتَزَيَّنَتْ فِي مَنْصَبِهَا أَجْمَلَ تَزْيِينٍ . وَتَشَرَّفَتْ بِأَنْ
أَوَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمُّهُ مِنْهَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ فَرَارٍ وَمَعِينٍ . ظِلُّ
ظَلِيلٍ . وَمَاءُ سَلْسِيلٍ . تَنْسَابُ مَذَانِيهِ أَنْسِيَابَ الْأَرَاْفِرِ بِكُلِّ سَبِيلٍ .
وَرِيَاضُ بُحْبُحِي النَّفُوسِ نَسِيمُهَا الْعَلِيلُ . وَقَدْ سَبَتْ أَرْضُهَا كَثْرَةُ الْمَاءِ
حَتَّى أَشْتَاقَتْ إِلَى الظُّمَاءِ . فَتَكَدُّ تَنَادِيكَ بِهَا الصُّمُّ الصَّلَابُ . أَرْكُضُ
بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَقَدْ أَحْدَقَتِ الْبَسَائِنُ بِهَا إِحْدَاقَ
أَهَالَةٍ بِالْقَمَرِ . وَالْأَكْهَامُ بِالنَّهْرِ . وَأَمْتَدَّتْ بِشَرَفِهَا غُوطَتَهَا الْخَضْرَاءُ
أَمْتِدَادَ الْبَصَرِ . وَكُلُّ مَوْضِعٍ لَحِظْتُ بِمَجَاهِدِهَا الْأَرْبَعِ نَضْرَتُهُ الْبَالِغَةُ قَبْدُ
النَّظَرِ . وَلِلَّهِ صِدْقُ الْفَائِلِينَ عَنْهَا . إِنْ كَانَتْ أَلْجَنَّةُ فِي الْأَرْضِ فِدِمَشْقُ
لَأَشْكُ فِيهَا . وَإِنْ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فَبِي نُسْلِيهَا وَمُخَافَتِهَا . قَالَ ابْنُ جَزَيٍّ

وَقَدْ نَظَّمُ بَعْضُ شُعَرَاءِهَا فِي هَذَا الْمَقْعَةِ فَقَالَ
 إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ الْخُلُودِ بِأَرْضِي فِدِمَشْقُ وَلَا تَكُونُ سِوَاهَا
 إِنْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَبِيَّ عَلَيْهَا قَدْ أَبَدْتُ هَوَاهَا وَهَوَاهَا
 وَذَكَرَهَا شَيْخُنَا الْحَدِيثُ الرَّحَالُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
 جَابِرِ بْنِ حَسَنِ الْقَيْسِيِّ الْوَادِي أَيْ تَزِيلُ ثُوْنُسَ وَنَصَ كَلَامَ أَبِي
 جَبْرِ. ثُمَّ قَالَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا وَصَفَ مِنْهَا وَأَجَادَ. وَتَوَقَّى الْإِنْسَانُ
 لِلتَّطَلُّعِ عَلَى صُورِهَا بِهَا أَفَادَ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِهَا إِقَامَةٌ. فَيُعْرِبُ عَنْهَا
 بِحَقِيقَةِ عِلْمِهِ. وَلَا وَصَفَ دَهِيَّاتٍ أَصِيلَهَا. وَقَدْ حَانَ مِنَ الشَّمْسِ
 غُرُوبُهَا. وَلَا أَرْزَمَانَ جُفُولَهَا الْمُنَوَّعَاتِ. وَلَا أَوْقَاتَ سُورِهَا الْمُنْبَهَاتِ.
 وَقَدْ اخْتَصَّ مَنْ قَالَ الْقَبْتُهَا كَمَا يَصِفُ الْإِنْسَانُ. وَفِيهَا مَا تُشَبِّهُهُ الْإِنْسَانُ
 وَتَكْلُ الْآعِينَ. قَالَ أَبُو جُزَيْيٍ وَالَّذِي فَالَتَهُ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ مَحَاسِنِ
 دِمَشْقَ لَا يَحْصُرُ كَثْرَةً. وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ فِي
 وَصْفِهَا هَذِهِ الْآيَاتُ وَفِي لِشَرَفِ الدِّينِ بْنِ مُحْسِنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 دِمَشْقُ بِي شَوْقٍ إِلَيْهَا مَبْرَحٌ وَإِنْ لَمْ وَاشِ أَوْ أَلَحَّ عَذُولُ
 يَلَادُهَا الْأَحْصَاءُ دُرٌّ وَثَرُوبُهَا عَيْرٌ وَأَنْفَاسُ السَّمَاءِ شَمُولُ
 تَسْلَسُلُ فِيهَا مَا وَهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَيْمُ الرُّوضِ وَهُوَ عَلِيلُ
 وَهَذَا مِنَ النَّمِطِ الْعَالِي مِنَ الشُّعْرِ. وَقَالَ فِيهَا عَرْفَةُ الدِّمَشْقِيِّ الْكَلْبِيِّ
 الشَّامُ شَامَةٌ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا كَأَنَّ إِنْسَانَ مُقْلَمَهَا الْغَضِيبَةُ جَلِقُ
 مِنْ أَسْبَاطِ لَكَ جَنَّةٌ لَا تَنْفَضِي وَمِنَ الشُّعْبِ جَهَنَّمُ لَا تُحْرِقُ
 وَلَهُ فِيهَا أَسْعَارٌ كَثِيرَةٌ سِوَى ذَلِكَ. وَقَالَ فِيهَا أَبُو الْوَحْشِيِّ سَبْعُ بَنُ

خَلَقِ الْأَسَدِيَّ

سَقَى حِمَشَقَ اللَّهِ غَيْثًا مُحْسِنًا مِنْ مُسْتَهْلٍ دِيهَةٍ دِهَافِهَا
 مَدِينَةُ لَيْسَ يُضَاهَى حُسْنُهَا فِي سَائِرِ الدُّنْيَا وَلَا آفَافِهَا
 تَوَدُّ زَوْرَاةَ الْعِرَاقِ أَنَّهَا مِنْهَا وَلَا نُعْزِزُ إِلَى عِرَافِهَا
 فَأَرْضُهَا يَنْثُلُ السَّمَاءُ بِفَجْةٍ وَزَهْرُهَا كَالزُّهْرِ فِي إِشْرَافِهَا
 نَسِيمُ رَوْضِهَا مَتَى مَا قَدْ سَرَى فَكَّ أَخَا الْهُمُومِ مِنْ وَثَاقِهَا
 قَدْ رَتَعَ الرَّيْبُ فِي رُبُوعِهَا وَسَيَفَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَسْوَافِهَا
 لَا تَسَامُ الْعُيُونُ وَالْأَنْوُفُ مِنْ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا وَلَا أَسْتَنْشَافِهَا

انتمها المنقول من ابن بطوطة



مِنْ كِتَابِ
عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ وَغَرَائِبِ الْمَوْجُودَاتِ لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَزْوِينِيِّ

النَّظَرُ فِي الْكَائِنَاتِ وَحَيِّ الْأَجْسَامِ الْمَتَوَلِّدَةِ مِنَ الْأَمْهَاتِ

فَنَقُولُ الْأَجْسَامُ الْمَتَوَلِّدَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ نَائِمَةً أَوْ غَيْرَ نَائِمَةٍ فَإِنْ لَمْ
تَكُنْ نَائِمَةً فِي الْمَعْدِنِيَّاتِ وَإِنْ كَانَتْ نَائِمَةً فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ لَهَا قُوَّةُ الْحِسِّ
وَالْحَرَكَةِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي النَّبَاتِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحَيَوَانَاتِ
وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَا تَسْجِلُ إِلَيْهِ الْأَرْكَانُ الْأَنْبَجُ وَالْعَصَارَاتُ وَالْبَحَارُ مَا
يَصْعَدُ مِنَ لَطَائِفِ مِيَاهِ الْبَحْرِ وَالْأَجَامِ وَالْأَنْهَارِ مِنْ تَسْجِيهِ الشَّمْسِ
وَالْعَصَارَاتُ مَا يَجْلِبُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَتَخْلِطُ
بِالْأَجْزَاءِ الْأَرْضِيَّةِ وَتَغْلُظُ وَتُنْفِجُهَا الْحَرَارَةُ الْمُسْتَبِطِنَةُ فِي عُمُقِ الْأَرْضِ
فَتَصِيرُهَا مَادَّةً لِلْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَأَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا
بِالْبَعْضِ بِتَرْتِيبٍ عَجِيبٍ وَنِظَامٍ بَدِيعٍ تَعَالَى صَانِعُهَا عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ
وَالْمُجَادِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ تُرَابٌ وَآخِرُهَا
نَفْسٌ مُلْكِيَّةٌ طَاهِرَةٌ فَإِنَّ الْمَعَادِنَ مُتَّصِلَةٌ أَوَّلُهَا بِالتُّرَابِ أَوِ الْمَاءِ وَآخِرُهَا
بِالنَّبَاتِ. وَالنَّبَاتُ مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِالْمَعَادِنِ وَآخِرُهُ بِالْحَيَوَانِ. وَالْحَيَوَانُ
مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِالنَّبَاتِ وَآخِرُهُ بِالْإِنْسَانِ. وَالتَّنُومُ الْإِنْسَانِيَّةُ مُتَّصِلَةٌ

أُولَئِكَ بِالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
النَّظَرُ الْأَوَّلُ فِي الْمَعْدِنِيَّاتِ

الْمَعْدِنِيَّاتُ فِي أَجْسَامٍ مَتَوَلِّدَةٍ مِنَ الْأَتَجِيعِ وَالْأَذْنِخَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ
إِذَا اخْتَلَطَتْ عَلَى ضَرْوبٍ مِنَ الْأَخْيَلَاطِ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَثْفِ
وَهِيَ إِمَّا قَوِيَّةُ التَّرْكِيبِ أَوْ ضَعِيفَةُ التَّرْكِيبِ. وَقَوِيَّةُ التَّرْكِيبِ إِمَّا أَنْ
تَكُونَ مُنْطَرِقَةً أَوْ لَا تَكُنْ وَالْمُنْطَرِقَةُ فِي الْأَجْسَادِ السَّبْعَةِ. أَعْنِي الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَالنَّحَاسَ وَالرَّصَاصَ وَالْحَدِيدَ وَالْأَسْرَبَ وَالْخَارِصِيَّ. وَالَّتِي
لَا تَكُونَ مُنْطَرِقَةً فَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ اللَّيْنِ كَالزَّرْبِيِّ وَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ
الصلابة كَالْبَاقُوتِ. وَضَعِيفَةُ التَّرْكِيبِ قَدْ تَحُلُّ بِالرُّطُوبَاتِ فِي الْأَجْسَامِ
الْعَلِيَّةِ كَالزَّاجِ وَالنُّشَادِرِ وَقَدْ لَا تَحُلُّ بِهَا وَهِيَ الْأَجْسَامُ الدُّغْنِيَّةُ
كَالزَّرْبِيعِ وَالْكَبْرِيتِ

وَالْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ إِمَّا تَتَوَلَّدُ مِنْ اخْتِلَاطِ الزَّرْبِيِّ بِالْكَبْرِيتِ عَلَى
اخْتِلَافٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَثْفِ. وَالزَّرْبِيُّ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْزَاءِ مَا يُدْعَى اخْتَلَطَتْ
بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ لَطِيفَةٍ كَبْرِيتِيَّةٍ. وَالْكَبْرِيتُ لَطِيفٌ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْزَاءِ مَا يُدْعَى
وَهْرَائِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ تُنْضِجُهَا حَرَارَةُ قُوَّةٍ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الذَّهَبِ. وَأَمَّا
الْأَجْسَادُ الصَّلْبَةُ الشَّفَافَةُ فَتَتَوَلَّدُ مِنْ مِاءٍ عَذْبَةٍ وَقَعَتْ فِي مَعَادِنِهَا
الْمِحْجَارَةُ الصَّلْبَةُ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى غَلُظَتْ وَصَفَتْ وَانْضَجَّتْ حَرَارَةُ
الْمَعْدِنِ بِطَوِيلِ وَقُوفِهَا. وَأَمَّا غَيْرُ الشَّفَافَةِ فَمِنْ أَمِزَاجِ الْهَاءِ بِالطِّينِ إِذَا
كَانَتْ فِيهِ لُزُوجَةٌ وَأَثَرَتْ فِيهِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ بِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَأَمَّا الْأَجْسَامُ
الَّتِي تَحُلُّ بِالرُّطُوبَاتِ فَمِنْ مَا مَخْتَلِطٌ بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ مُخْتَرِفَةٍ بِإِسْفِ

تَخْلُطًا شَدِيدًا. وَأَمَّا الْأَجْسَامُ الدُّهْنِيَّةُ فَمِنْ الرُّطُوبَاتِ الْعَفِيفَةِ فِي
بَاطِنِ الْأَرْضِ إِذَا أَحْنَوَتْ عَلَيْهَا حَرَارَةُ الْمَعْدِنِ حَتَّى تَحُلَّتْ وَلَطَفَتْ
وَأَخْلَطَتْ يُزَيِّدُ النَّاعِ وَحَرَارَةُ الْمَعْدِنِ دَائِمًا فِي نُفُجِهَا وَطَبِخِهَا حَتَّى
تَزْدَادَ غِلَظًا وَصَارَتْ مِثْلَ الدُّهْنِ

النَّظَرُ الثَّانِي فِي النَّبَاتِ

النَّبَاتُ مُوسَّطٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ وَالْحَيَوَانِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ ثِنْتَيْنِ
الْجُمَادِيَةِ الصَّرْفَةِ الَّتِي لِلْمَعَادِنِ وَغَيْرُهَا وَاصِلٌ إِلَى كَمَالِ الْحَيَسِ وَالْحَرَكَةِ
الَّتَيْنِ أَخْتَصَّ بِهِمَا الْحَيَوَانُ. لَكِنَّهُ يُشَارِكُ الْحَيَوَانُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لِأَنَّ
الْبَارِيَّ تَعَالَى يَخْلُقُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَلْبَانِ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهَا فِي بَقَاةِ ذَاتِهِ
وَنَوْعِهِ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ ثِقَلًا وَكَلَالَةً لَا يَخْتَلِفُهُ وَلَا حَاجَةٌ لِلنَّبَاتِ
إِلَى الْحَيَسِ وَالْحَرَكَةِ بِخِلَافِ الْحَيَوَانِ

وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِيَّ تَعَالَى أَنَّ الْحَبَّ وَالنَّوَى إِذَا حَصَلَ فِي تَرْبِيَةِ
تَدْبِيَةِ وَأَصَابَهَا حَرُّ الشَّمْسِ انْشَقَّ وَجَدْبًا يَفُوقُ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا
الْأَجْزَاءَ اللَّطِيفَةَ الْأَرْضِيَّةَ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَائِيَّةَ مِنَ الْمَاءِ. ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ
الْأَجْزَاءَ يَدْرَأُكُمْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِوَاسِطَةِ قُوَى خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا حَتَّى
يَصِيرَ الْحَبُّ نَجْمًا بَالِغًا ذَا عُرُوقٍ وَفُضْبَانٍ وَأُورَاقٍ وَأَزْهَارٍ وَحَبِّ النَّوَى
نَجْمًا عَظِيمًا ذَا عُرُوقٍ وَسَاقٍ وَأَعْصَانٍ وَأُورَاقٍ وَنَمْرِقٍ. وَالنَّبَاتُ فِيمَا
نَجْمٌ وَنَجْمٌ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ
الشَّجَرُ

الشَّجَرُ هُوَ كُلُّ مَالَةٍ سَاقٍ مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامُ يُمَثِّلُ الْحَيَوَانَاتِ
الْعِظَامِ وَالْجُودِ يُمَثِّلُ الْحَيَوَانَاتِ الصَّغَارِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامُ لَا تُنْمُو
كَالسَّاجِ وَالذَّلْبِ وَالْعَرَعِ لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ الشَّجَرِ وَلَا
كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُسْتَعْرِفَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ إِلَى الشَّجَرِ وَالشَّعْرِ وَبَشِيرَتِهِ
حَالَهَا حَالِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنَ الْحَيَوَانِ فَإِنَّ الذُّكْرَانَ أَكْثَرَ بَدَنًا
مِنَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ بَعْضَ مَوَادِّ الْإِنَاثِ يُصْرَفُ إِلَى الْأَجْنَةِ

وَمِنْ عَجَبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلَقَ الْأَوْرَاقَ عَلَى الْأَشْجَارِ رِيَّةً لَهَا
وَوَقَايَةً لِبَارِيهَا مِنْ نِكَايَةِ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَبَعَةً
عَنِ الْيَمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضُ التَّنْفِيزِ لَا مُتَكَائِفَةً عَلَيْهَا وَلَا يَبْعِدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ
الْيَمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى فَلَوْ تَكَائِفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى
مَنْعَتْهَا إِصَابَةُ النَّسِيمِ وَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَيَقْبِثَ عَلَى نَجَاتِهَا غِلْظَةُ الْجُلْدِ
قَلِيلَةً الْمَائِيَّةِ وَإِذَا سَطَعَ عَلَيْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا
كَمَا تَرَى فِي الرُّمَانَةِ الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَائِبِ ثُمَّ إِذَا فَرَعَتْ
الشَّعْرَةُ تَنَازَلَتْ الْأَوْرَاقُ حَتَّى لَا تُجَذِّبَ مَائِيَّةُ الشَّجَرِ فَتَضَعُ قُوَّتَهَا كَمَا
تَرَى فِي الْحَيَوَانِ فَإِنَّ الْأُمَّ تَضَعُ مِنْ إِرْضَاعِ أَوْلَادِهَا

وَلَتَذْكُرُ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْجَارِ مُرْتَبَةً عَلَى
الْعَجْمِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

ذُلْبٌ مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْجَارِ وَأَعْلَاهَا وَأَبْقَاهَا فَإِذَا طَالَتْ مُدَّتُهَا تَنَتَّ

جَوْفُهَا وَيَبْقَى سَاقُهَا مُحَرَّقًا وَوَرَقُهَا تَهْرُبُ مِنْهُ الْخُفَافِسُ وَبَعْضُ الطُّيُورِ
تَجْعَلُهَا فِي أَوْكَارِهَا لِذَفْعِ الْخُفَافِسِ فَإِنَّمَا تَمُوتُ مِنْهَا وَإِذَا غُسِلَ وَطُخِيَ
وَضُمِدَ بِهِ حَسَنَ النَّوَارِلِ عَنِ الْعَيْنِ. فِشْرُهَا مَطْبُوحًا بِالنَّحْلِ يَنْفَعُ مِنْ حَرِّ
النَّارِ وَوَجَعَ الْأَسْنَانِ. ثَمَرُهَا يَبَالُهَا جَوْزُ السَّرِ وَمَعَ الشَّهْرِ ضِعَادٌ جَيِّدٌ
لِيَهْشِ الْهَوَامُ.

فُلْفُلٌ. شَجَرَةٌ تَنْبُتُ بِالْهِنْدِ بِتَاجِيفٍ مِنْهَا نَسَمَى مِلْيَارُوهِي شَجَرَةٌ عَالِيَةٌ
لَا يَزُولُ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهَا إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ تَسَاقَطَتْ حُبُّهَا عَلَى وَجْهِ
الْمَاءِ فَتَجْمَعُ مِنْهُ وَلِذَلِكَ فَسَحَةٌ وَفِي شَجَرَةٍ حُرَّةٍ لَا مَلِكَ لِأَحَدٍ فِيهَا
وَحَمَلُهَا عَلَيْهَا شَيْئًا وَصَبَا وَهُوَ عَنَاقِيدُ. فَإِذَا حَبِثَ الشَّمْسُ عَلَيْهَا انْطَبَقَتْ
عَلَى عَنُقُودٍ مِنْهَا أَوْرَاقٌ حَتَّى لَا يَحْتَرِقَ بِالشَّمْسِ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْهَا
زَالَتِ الْأَوْرَاقُ عَنِ الْعَنَاقِيدِ لِنَتَالِ النَّسِيمِ. وَذَكَرَ مَنْ رَأَاهَا أَنَّ شَجَرَتَهَا
مِثْلُ شَجَرَةِ الرُّمَانِ وَيَبْنِي الْوَرَقَتَيْنِ شِمْرًا خَانَ مَنْظُومَانِ بِالْفُلْفُلِ وَشِمْرَاخُهُ
فِي طُولِ الْأَصْبَعِ. قَالَ جَالِينُوسُ أَوَّلَ مَا تَطْلُعُ ثَمَرُهَا تَكُونُ دَارُ
فُلْفُلٍ ثُمَّ تَنْفَصِلُ عَنْ حَبٍّ يَكُونُ هُوَ الْفُلْفُلُ

قَرْنَفُلٌ. شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي بَعْضِ جَزَائِرِ الْهِنْدِ ثَمَرُهَا كَالْيَاسَمِينِ إِلَّا
أَنَّهَا أَشَدُّ سَوَادًا. وَذَكَرُوا أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ لَا يَخْرِجُونَهَا إِلَّا مَطْبُوحَةً
لِيَلَّا تَنْبُتَ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ

نَارَجِيلٌ. هُوَ الْجَوْزُ الْهِنْدِيُّ زَعَمَ أَهْلُ النِّجَارِ أَنَّ شَجَرَةَ النَّارَجِيلِ فِي
الْمَثَلِ لِكُنْهَا أَثْمَرَتِ نَارَجِيلًا لِيَطَاعِ الثَّرِيَّةُ وَالْأَهْوِيَّةُ. عَلَى ثَمَرِهَا لَيْفٌ
يُخْتَدُّ مِنْهُ النِّجَالُ تُسْتَعْمَلُ فِي سُفْنِ الْبَحْرِ تَصْبِرُ عَلَى الْمَاءِ طَوِيلًا لَا تَتَعَفَنُ.

لَبَنَهَا لَدِيدٌ كَثِيرٌ مُحَلَّوْفٌ إِذَا كَانَ رَطْبًا

نَخْلٌ شَجَرَةٌ مَبَارَكَةٌ لَا تَوْجَدُ إِلَّا بِبِلَادِ الْإِسْلَامِ قَالَ عَنْكُمْ الْخَلَّةُ
وَأَمَّا سَمَاهَا عَمْتَنَا لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ عِلْيَينِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ
نُشْبَةُ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ اسْتِقَامَةِ قَدِّهَا وَطَوْلِهَا وَأَمْتِيَارُ ذِكْرِهَا عَنْ
أَتْنَاهَا وَأَخْصَاصِهَا بِالْفَنَاجِ. وَلَوْ قُطِعَ رَأْسُهَا هَلَكَتْ. لَطَلْعُهَا غِلَافٌ
كَأَشْيَبَةِ الْبَنِي يَكُونُ أَوَّلَ دَفْعِهَا. وَالتَّجَارُ الَّذِي عَلَى رَأْسِهَا لَوْ أَصَابَهُ آفَةٌ
هَلَكَتْ الْخَلَّةُ كَهَيْئَةِ عُرِّ الْإِنْسَانِ إِذَا أَصَابَهُ آفَةٌ. وَإِذَا قُطِعَ مِنْهَا غُصْنٌ
لَا يَرْجِعُ بَدَلُهُ كَقُصْرِ الْإِنْسَانِ وَعَلَيْهَا لَيْفٌ كَقَشْعِرٍ يَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ
قَالَ صَاحِبُ الْقَلَّاحَةِ إِذَا لَمْ يُبَيِّرْ شَيْءٌ مِنَ الْخَلْلِ يَلْخُذُ رَجُلٌ قَاسًا
وَيَتَرَبُّ مِنْهَا وَيَقُولُ لِعَبِيدِهِ إِنِّي أُرِيدُ قَطْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَنَّهَا لَا تُفِيدُ.
فَيَقُولُ الْآخَرُ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا تُفِيدُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ إِنَّهَا
لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَيَضْرِبُهَا ضَرْبَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَيُسْكِكُ الْآخَرُ يَدَيْهِ وَيَقُولُ
لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ حَسَنَةٌ وَأَصْبَرَ عَلَيْهَا هَذِهِ السَّنَةَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَفْعَلْ مَا
بَدَا لَكَ. قَالَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ تُفِيدُ ثَمَرًا كَثِيرًا وَكَذَلِكَ
غَيْرُ الْخَلْلِ مِنَ الْأَشْجَارِ إِذَا فَعَلَ بِهِ هَذَا فَإِنَّهُ يُفِيدُ. قَالَ أَيْضًا إِذَا فَارَبَتْ
بَيْنَ ذُكْرَانِ الْخَلْلِ وَنَائِمًا فَإِنَّهَا تَكْثُرُ حَمْلُهَا لِأَنَّهَا تَسْتَأْنِسُ بِالْبُجَاوَرَةِ
وَرُبَّمَا قُطِعَ إِلَيْهَا مِنَ الذُّكُرَانِ فَلَا تَحْمِلُ شَيْئًا لِغُرَاقِهِ. وَإِذَا غَرَسْتَ
الذُّكْرَانَ وَسَطَ الْأَنَابِ وَهَبْتَ الرِّيحَ فَخَالَطَتِ الْأَنَابُ رَائِحَةَ طَلْعِ
الذُّكْرَانِ حَمَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الرَّائِحَةِ كُلُّ أَنْثَى حَوْلَهُ

النَّسَمُ الْقَانِي مِنَ النَّبَاتِ النَّجُومُ

النَّجْمُ كُلُّ نَبَاتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ مِثْلُ الزُّرُوعِ وَالْبُتُولِ
وَالرَّيَاحِينِ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ..... وَمِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي
خَلَقَهَا اللَّهُ فِي نَفْسِ الْحَيِّ فَإِنَّمَا إِذَا وَقَعَتْ فِي الْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَاسِطَةِ
تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ بِمَا حَوَالِهَا كَمَا تَجَذِبُ شُعْلَةُ النَّارِ
فِي السِّرَاجِ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ فَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى
حَتَّى تَبْلُغَ كَمَا كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى. وَالنَّجُومُ فِي النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرِ
فِي الْحَيَوَانَاتِ الْكَبِيرِ فَكَأَنَّ عِنْدَ شَيْءٍ الْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي
لَا عِظَمَ لَهَا شَيْءٌ فَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا حَشَبٌ صُلْبٌ
شَيْءٌ

وَأَعْلَمُ أَنَّ عُنُوقَ الْعُقَلَاءِ مُتَحَيِّزَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبُهَا وَأَفْهَامُ
الْأَذْيَكِيَاءِ قَاصِرَةٌ عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِهَا وَقَوَائِدِهَا وَكَيْفَ لَامَعَ مَا يَشَاهِدُ مِنْ
اخْتِلَافِ صُورِ فِضَائِلِهَا وَاخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَعَجِيبِ صُورِ أَوْرَاقِهَا
وَلَزَاهَارِهَا. وَكُلُّ لَوْنٍ مِنْهَا يَنْفَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ كَالْحُمْرِ مَثَلًا فَإِنَّهَا وَرْدِيَّةٌ
وَلَزْجَوَانِيَّةٌ وَسُوسَنِيَّةٌ وَشَقَائِظِيَّةٌ وَأَذْرَبُونِيَّةٌ وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَعَ أَشْدِّكَ
كُلِّهَا فِي الْحُمْرِ. ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمَخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ أَشْدِّكَ
الْكُلِّ فِي الطِّيبِ. ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ شَكْلًا
وَوَرَقًا وَعَرَقًا وَزَهْرًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِيَّةً بَلْ خَاصِيَّاتٍ
لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَالَّتِي عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا تَعْرِفُهُ

كَفَطَرَهُ مِنْ بَحْرِ. وَلَتَذَكَّرُ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِّهَا مُرَبَّةً عَلَى حُرُوفِ الْمُفْعِلِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

يَيْشُ. نَبَاتٌ يَنْبُتُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ نِصْفُ دِرْهَمٍ مِنْهُ سَمٌّ قَاتِلٌ وَعَلَامَتُهُ
أَنَّهُ يَعْزِضُ لِمَنْ سَقِيَ مِنْهُ جُحُوظُ الْعَيْنِ وَوَرَمُ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالذُّوَارُ
وَالْعَشْيُ. وَالسَّمَاءُ يَعْثَلُ مِنْهُ وَلَا يَضُرُّهُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ فَارَةُ الْيَشِ وَهُوَ
حَيَوَانٌ يَسْكُنُ فِي أَصْلِهِ وَيَأْكُلُ مِنْهُ. قَالَ ابْنُ سِينَا إِنَّهُ يُذْهِبُ الْبَرَصَ
طِلَاقًا وَشُرْبًا وَيَنْفَعُ مِنَ الْجَذَامِ وَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ مِنْهُ نِصْفُ دِرْهَمٍ
وَتَرْيَاقُهُ فَارَةُ الْيَشِ

دِفْلَى. مِنْهُ بَرِّيٌّ وَبَهْرِيٌّ فَالْبَهْرِيُّ وَرَقُهُ كَوَرَقِ الْحَمْدَى بَلْ أَدْوَى
وَفَضْلَانُهُ طَوَالُ مُنْبَسِطَةٍ عَلَى الْأَرْضِ يَنْبُتُ فِي الْأَخْرَابِ. وَالْبَهْرِيُّ عَلَى
شُطُوطِ الْأَنْهَارِ وَتَنْهَضُ فِضْلَانُهُ عَلَى الْأَرْضِ وَشَوْكُهُ خَفِيفٌ وَوَرَقُهُ
كَوَرَقِ الْأَخْلَافِ وَأَعْلَى سَافِهِ أَغْلَظُ مِنْ أَسْفَلِهِ وَفُتَاحُهُ كَالْوَرْدِ الْأَخْضَرِ
وَتَمْرَتُهُ صُلْبَةٌ مَحْشُوءَةٌ شَيْئًا كَالصُوفِ. قَالَ ابْنُ سِينَا وَرَقُهُ يَهْرُبُ مِنْهُ
الْبَرَاغِيثُ وَكُلُّهُ يَقْتُلُ أَحْسَلَهُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي آحَمَ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ

قَالَ بَلْنِيَّاسُ عَلِمَ بَعْضُ الْمُلُوكِ بَعْدُوهُ فَصَدَّ فِي عَسْكَرٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ
فَأَخَذَ مِنَ الشَّعِيرِ وَطَبَخَهُ بِالْذِفْلَى وَتَرَكَهُ حَتَّى جَفَتْ وَأَخَذَ الشَّعِيرَ مَعَهُ
وَخَرَجَ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ. فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْعَدُوِّ نَفَخَ عَنْهُ وَتَرَكَ الْأَتَالَ
وَالْبَيْدَةَ وَالشَّعِيرَ. فَوَرَدَ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ وَأَطْلَقُوا دَوَاهِيَهُمْ فِي الشَّعِيرِ فَهَلَكَتْ
كُلُّهَا فَفَكَرَ عَلَيْهِمْ وَأَسْرَمَهُمْ

فِتْنَةٌ. قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ الْفِتْنَاءَ عَلَى صُورَةٍ

مِنْهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ فَخَذَ قَالِبًا لِلصُّورَةِ الَّتِي ارْذَتْ وَاجْعَلَهَا فِيهِ وَهِيَ
صَغِيرَةٌ وَاسْتَوْنِقَ مِنْهَا رَبَطًا يَحِثُّ لَا يَدْخُلُ الْقَالِبَ رَجْحٌ وَلَا غُبَارٌ
فَإِنَّهَا إِذَا عَظُمَتْ فِيهَا كَانَتْ عَلَى صُورَةِ الْقَالِبِ الَّذِي جَعَلَهَا فِيهِ

النَّظَرُ الثَّالِثُ

فِي الْحَيَوَانِ

أَمَّا الْحَيَوَانُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَابْعَدُ الْمَوْلُودَاتِ عَنْ
الْأَمْهَاتِ لِأَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى لِلْمَعَادِنِ وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى التَّجَادِيَةِ لِنُزْجِهَا
مِنَ الْبَسَاطَةِ. وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ لِلنَّبَاتِ فَإِنَّهَا مَتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ
لِحُصُولِ النَّشْءِ وَالنُّمُوِّ وَقَوَاتِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ لِلْحَيَوَانِ
فَإِنَّهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ النَّشْءِ وَالنُّمُوِّ وَالْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَهَذِهِ قُوَى مَوْجُودَةٌ
فِي جَمِيعِ أَفْرَادِ الْحَيَوَانِ حَتَّى فِي الدُّبَابِ وَالْبَعُوضِ

وَأَمَّا الْحِسُّ فَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا فَضَى لِكُلِّ حَيَوَانٍ أَمَدًا مَعْلُومًا
وَأَبْدَانُ الْحَيَوَانِ مُتَعَرِّضَةٌ لِلْأَقَاتِ الْمُنْسِفَةِ لَهَا الْبَهْلَكَةِ لِأَنَّهَا فَاقْتَضَتْ
الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا الْقُوَّةَ الْإِحْسَاسِيَّةَ لِتَشْعُرَ بِوَاسِطَتِهَا بِالْمُنَافِي فَتَدْفَعُهُ
عَنْ نَفْسِهَا إِذَا أَحَسَّتْ بِأَلِيمِهِ. فَلَوْلَا هَذِهِ الْقُوَّةُ لَمَّا أَحَسَّ الْحَيَوَانُ بِالتَّجَوُّعِ
إِلَى أَنْ مَاتَ بَغْتَةً فَجَاءَهُ مِنْ عَدَمِ الْغِذَاءِ دَلِيلٌ إِذَا نَامَ فَأَصَابَ بِهِ أَوْ
رَجُلَهُ نَارٌ لَمْ يَكُنْ يُحْسِرُ بِهِ حَتَّى يَنْتَبِهَ مِنْ نَوْمِهِ فَإِذَا هُوَ يَلَا يَدُ أَوْ رَجُلٍ.
وَأَمَّا الْحَرَكَةُ فَلِأَنَّ الْحَيَوَانَ لَمَّا كَانَتْ مُخْتَاجًا إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ يَكُنْ غِذَاؤُهُ
يَحِثُّ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ أَفْتَدَسَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهُ آلَاتِ الْحَرَكَةِ
لِيَتَحَرَّكَ بِهَا إِلَى الْغِذَاءِ. وَأَوْلَا هَذِهِ الْقُوَّةَ وَاحْتِاجَ الْحَيَوَانِ إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ

يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ إِلَيْهِ فَاتَّ جُوعًا كَثِيرًا لَا يَجِدُ الْمَاءَ حَتَّى تَجِفَّ وَلَكَانَ
إِذَا أَصَابَهُ آفَةٌ مِنْ حَرِّ أَوْ غَرَقٍ يَفِي عَلَى مَكَانِهِ حَتَّى أَذْرَكَهُ الْحَرُّ أَوْ
الْفَرْقُ

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ بَعْضُهَا عَدُوًّا لِبَعْضٍ أَفْتَضَّتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ
لِكُلِّ حَيَوَانٍ آلَةً تَحْفَظُ بِهَا نَفْسَهُ مِنْ عَدُوِّهِ. فَمِنْهَا مَا يَدْفَعُ الْعَدُوَّ بِالْقُوَّةِ
وَالْمُقَاوَمَةِ كَالْفِيلِ وَالْجَمُوسِ وَالْأَسَدِ. وَمِنْهَا مَا يَسْلُمُ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْفِرَارِ
فَأُعْطِيَ آلَةُ الْفِرَارِ كَالطَّيْرِ وَالْأَرَابِ وَالطَّبُورِ. وَمِنْهَا مَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ
بِالسَّالِحِ كَالْقَنْظِ وَالشَّيْءِ وَالْحَفَاةِ. وَمِنْهَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ بِحِصْنٍ كَالْفَأْرِ
وَالْحَيَّةِ وَالْهَوَامِّ. وَمِنْ مَقْصَدِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنْ خُلِقَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ
مِنْ الْأَعْضَاءِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بَقَاؤُهُ وَنَوْعُهُ لَا زَائِدًا وَلَا نَاقِصًا.

بِذَلِكَ أَخْلَقْتَ أَشْكَالَهَا وَأَعْضَاءَهَا وَتَنَوَّعَتْ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً
وَلَتَذَكَّرِ الْآنَ بَعْضُ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ وَعَجَائِبِهَا وَخَوَاصِهَا

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

النَّوعُ الْأَوَّلُ

الْإِنْسَانُ

يَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ نَجْمٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ
الْحَيَوَانَاتِ وَخُلَاصَةُ الْخُلُقَاتِ. كَيْفَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ رُوحًا
وَبَدَنًا وَخَصَّصَهُ بِالنُّطْقِ وَالْعَقْلِ يَمُرُّا وَعَلَانَا وَزَيْنَ ظَاهِرُهُ بِالْحَوَاسِ
وَالْحُظِّ الْأَوْتَى وَبَاطِنُهُ بِالْقُوَى مَا هُوَ أَدْرَفُ وَأَقْوَى وَهِيَ لِلنَّفْسِ
الطَّائِفَةِ الدِّمَاغِ وَأَسْكَنُهُ أَعْلَى مَحَلٍّ وَأَوْفَقُ مَقَامٍ يَتَنَبَّهُ بِالنِّفْكِ وَالنُّوْخِ

وَالْمِنْظَرُ وَسَلَطَ عَلَيْهِ الْجَوَاهِرُ الْعَقْلِيَّةُ لَتَكُونَ النَّفْسُ أَمِيرًا وَالْعَقْلُ وَزِيرَهُ
وَالْقَوَى جُنُودَهُ وَالْجِسْمُ الْمُشْتَرِكُ بَرِيدَهُ وَالْأَعْضَاءُ خَدَمَتُهُ وَالْبَدَنُ مَحَلُّ
سَكَنِهِ. وَالْحَوَاسُّ يُسَافِرُونَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي عَالَمِهِمْ وَيَلْتَفِتُونَ
الْأَخْبَارَ الْمُوَافِقَةَ وَالْعُخَالِفَةَ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى الْجِسْمِ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي هُوَ
وَاسِطَةٌ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْحَوَاسِّ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَعْرِضُهَا عَلَى الْقُوَّةِ
الْعَقْلِيَّةِ تَخْتَارُ مَا يُوَافِقُ وَتَطْرَحُ مَا لَا يُوَافِقُ

فَإِنَّ هَذَا الْوَجْهَ قَالُوا الْإِنْسَانُ عَالَمٌ صَغِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَتَغَذَّى وَيَبْنُو
قَالُوا نَبَاتٌ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَحْسُ وَيَهْتَرِكُ قَالُوا حَيَوَانٌ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ
يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ قَالُوا مَلَكٌ فَصَارَ جَمْعًا لِهَذِهِ الْمَعَانِي. فَإِذَا صَرَفَ هِمَّتَهُ
إِلَى جِهَتَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَجْهَاتِ يَلْتَمِصُ بَهَا. وَإِنْ كَانَ قَدْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى جِهَةٍ
الطَّبِيعِيَّةِ فَيَكُونُ رَضِيًّا مِنْ دُنْيَاهُ بِالتَّغَذِّيِ وَتَنْبِيَةِ الْفُضُولِ. وَإِنْ كَانَ
إِلَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَيَكُونُ مَا غَضِبَا كَسْبُ أَوْ شَيْئًا كَتَبَسَ أَوْ أَكُولًا كَثُورِ
أَوْ شَرًّا كَحَنْزِيرٍ أَوْ ضَرَعًا كَكَلْبٍ أَوْ خَفُودًا كَجَمَلٍ أَوْ مُتَكَبِّرًا كَنَسِيرٍ أَوْ
خَارَوْغَانٍ كَنَعْلَبٍ أَوْ يَجْمَعُ هَذَا كُلَّهُ فَيَكُونُ شَبِيحًا مَرِيدًا. وَإِنْ كَانَ
صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى الْأَجْهَةِ الْبَلَدِيَّةِ فَيَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَلَا
يَرْضَى بِالْمَنْزِلِ الْأَسْفَلِ وَالرَّبْعِ الْأَدْنَى

النَّظَرُ فِي الْقَوَى

الْقَوَى صِنْفٌ مِنَ الْمَلَكِيَّةِ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِتَذْيِيرِ الْأَبْدَانِ وَتَقْوِيمِ
مَنَافِعِ أَعْضَائِهَا مِنْ الْأَفْعَالِ وَالْإِذْرَاكَاتِ فَتَشْبِهُ أَعْمَالَهَا فِيهَا أَعْمَالُ
صُنَاعِ الْإِلَادِ وَسُكَايَاهَا. فَإِنَّ حَالَ الْبَدَنِ مَعَ الرُّوحِ وَهِيَ الْقَوَى تُشَبِّهُ

مَدِينَةٍ عَامِرَةٍ بِأَلَايِمِهَا مَأْنُوسَةٍ بِسُكَّانِهَا مَفْتُوحَةٌ لِأَسْوَاقِ مَسْلُوكَةٍ
الطَّرَفَاتِ مُشْتَغَلَةٌ بِالصَّنَاعِ وَحَالَةٌ عِنْدَ النَّوْمِ وَهَذُوها لِحَوَاسٍ وَسُكُونِ
الْمَحْرَكَاتِ نُشِيدُ حَالَ الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ إِذَا غَلِقَتْ أَبْوَابُهَا وَتَغَطَّلَتْ صُنَاعُهَا
وَنَامَ أَهْلُهَا

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الْبَدَنَ كَبَيْتٍ مُنْقَشٍ بِنُقُوشٍ غَرِيبَةٍ وَصُورٍ عَجِيبَةٍ
وَالْوَانِ مَخْتَلِفَةٍ وَالْقَوَى تِلْكَ النُّقُوشُ وَالصُّورُ وَالنَّفْسُ كَالسِّرَاجِ الَّذِي
يُدَارُ فِي أَطْرَافِ الْبَيْتِ وَبَسَبَبِ وُضُوعِهِ إِلَى أَجْزَاءِ الْبَيْتِ يَرَى
فِي سَفِينِهِ وَحِيطَانِهِ وَفَرْشِهِ عَجَائِبَ تَبْهَرُ فِيهَا بِلَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا
مِثْلُ الْخَمْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّهْمِ وَالْقَوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَالْأَجْمَالِ وَغَيْرِهَا .
فَإِذَا فَارَقَ النَّفْسَ بَطَلَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ عِنْدَ أَنْظِئِهَا
السِّرَاجُ لَا يَرَى لِيْلِكَ الصُّورِ وَالنُّقُوشِ أَثَرٌ . وَبِعَجَائِبِ الْقَوَى خَارِجَةٌ
عَنِ النَّهْمِ لَكِنْ أَحَبُّتُ أَنْ أَذْكَرَ بَعْضَ مَا أَذْكَرُهُ أَذْكِيكُمُ النَّفُوسَ مِنْ
الْحُكْمَاءِ مِنَ الْعَجَائِبِ الْمَوْدُوعَةِ فِي الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْقَوَى
الْقَوَى الظَّاهِرَةِ وَهِيَ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ

الْأَوَّلُ حَاسَةُ اللَّسِّ وَهِيَ قُوَّةٌ مُنْبِئَةٌ فِي جَمِيعِ جِلْدِ الْبَدَنِ يُدْرِكُ
بِهَا مَا يَلَاقِيهِ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ . فَإِنَّهَا أَوَّلُ حَاسَةٍ خُلِقَتْ لِلْحَيَوَانِ حَتَّى إِذَا
مَسَّهُ نَارٌ أَوْ حَدِيدٌ جَارِحٌ يُحْسُ بِهِ فَيَهْرُبُ مِنْهُ وَلَا يَتَصَوَّرُ حَيَوَانٌ إِلَّا
وَلَهُ هَذَا الْخَمْسُ حَتَّى الدَّوْدَةُ الَّتِي فِي الطَّيْلِ فَإِنَّهَا إِذَا غَرِزَ فِيهَا لَبَنَةٌ
أَنْقَبَضَتْ

الْقَانِيَةُ النَّهْمُ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي مَقْدَمِ الدِّمَاغِ تُدْرِكُ الرِّيحَ الَّتِي يُوَحِّسُهَا

أَلْوَاءُ الْمَكْنِيفُ بِتِلْكَ الْكُنْيَةِ

الثَّالِثَةُ الْبَصَرُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُرْتَبَةٌ فِي عَصَبَةٍ مُجَوَّفَةٍ فِي الْعَيْنِ تُدْرِكُ بِمَحْصُولِ الْأَشْيَاءِ ذَوَاتِ الصُّورِ وَالْأَلْوَانِ. فَإِنَّ الصُّورَ إِذَا سَرَى فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ وَحَمَلَ مَعَهُ الْوَانِ الْأَجْسَامَ وَأَتَصَلَ بِحَدَقَةِ الْحَيَوَانِ وَسَرَى فِيهَا كَمَا يَسْرِي فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ أَنْصَبَتْ الْحَدَقَةُ بِتِلْكَ الْأَلْوَانِ كَمَا يَنْصَبُ الْهَوَاءُ بِالضِّيَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْسُ بِالْقُوَّةِ الْبَاصِرِ

الرَّابِعَةُ السَّمْعُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُرْتَبَةٌ فِي عَصَبٍ دَاخِلِ الصَّمَاخِ تُدْرِكُ الصَّوْتِ الَّذِي يُؤَدِّي بِهِ الْهَوَاءُ بِالنَّمُوجِ وَحَالَهُ نُشِيهُ بِنَمُوجِ الْمَاءِ فَإِنَّ الْهَوَاءَ أَشَدَّ لَطَافَةً مِنَ الْمَاءِ. فَإِذَا وَقَعَ نَشِيٌّ فِي الْمَاءِ تَحْدُثُ مِنْهُ قُوَّتُهُ دَوَائِرُ فِكْلَمَا اتَّسَعَ ذَلِكَ الشَّكْلُ ضَعُفَتْ حَرَكَتُهُ وَنَمُوجُهُ إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ. فَكَذَلِكَ بِمَحْضٍ مِنْ قَرَعِ الصَّوْتِ الْهَوَاءَ تَمُوجُ فَأَيُّ سَامِعٍ حَصَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْجِ دَخَلَ أَذُنُهُ فَحَسَّ بِهِ الْقُوَّةَ السَّامِعَةَ

الخَامِسَةُ الذَّوْقُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُنْبَثَّةٌ فِي جِزْمِ اللِّسَانِ يُدْرِكُ بِهَا مَا يُمَاسَّهُ مِنَ الْمَطْعُومِ بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ الْعَذِيَّةِ الَّتِي تَحْتَ اللِّسَانِ. فَإِنَّ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ تَخَالِفُ الْجِسْمَ الَّذِي فِيهِ كَيْفِيَّةُ الطَّعْمِ فَتَكْنِيفُ بِتِلْكَ الْكُنْيَةِ فَيَحْصُلُ الْإِحْسَاسُ بِالطَّعْمِ



فصل في الدواب

وهي النوع الثالث من الحيوان

هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعاً. ولما كان الإنسان لطيف البدن بطي المشي كثير العدو من جنسه وتحت جنسه وحركاته قاصرة عن الوقام بمقاصده من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان وهذاه إلى تذييلها وتصريفيها تحته في أنحاء مقاصده ليقوم له مقام أجناس الطائر والقوائم البهائم والدواب. وزعموا أن آذانها إنما خلقت فوق رأسها ذات حركات شتى ليحاذي النقب جهات شتى وترد الهواء إليه فتكون فائدة السمع أكثر. ولما كان الفرس أدنى حساً من الحمار خلقت أذنه أصغر من أذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لأن الفرس يكتفيه من قرع الهواء دون ما يكتفي الحمار لصفاء حس الفرس وكثورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لأن إحساسه يلدغ الهواء فوق إحساس الحمار فجعل طافات ذنبه طويلة ليطرد بها الهواء عن بدنه

ولما كان المطلب من الدواب السير صليت حوافرها ليتمكن المشي الكثير عليها ولتكون سلاحاً دافعاً للعدو. فإن كل حيوان له حافر لا قرن له لأن المادة التي بها جميعاً وكل حيوان له قرن لا حافر له بل له ظلف فإن المادة التي بها جميعاً فتتم آلة المشي والسلاح فسمعان من أعطى كل شيء ما يستحقه دون الزيادة والتقصان

فصل في النعم وفي التنوع الرابع

هذا النوع كثير الفائدة شديد الأنياد ليس له شراسة الدواب ولا
تفرغ السباع ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنساب
السباع وبرائتها وأنساب الحشرات وأبرها. شأنها الثبات والصبر على
التعب والتجوع والعطش وخلفت ذلولا. وخلق القرن سلاحا لها لتندرك
تقصير الحافير وجعل لها بدل الحافير ظانفصوري المادة عن الحافير
والقرن. وربما صرفت المادة في جهة أنفع وتركب النجاسة التي هي أقل
نمعا كتركك ألك في الأعلى للبر بلايين وصرف مادتها إلى القرن
والقوة المديرة بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جنة
أو هرب وأي هذه فبذات مادته دبرت يماداة أخرى حتى يكون له ما
يحتاج إليه في بقاء نفسه ونوعه

ثم إن النعم لما كان أكلها التحشيش اقتضت الحكمة الإلهية لها أفواها
واسعة وأسنانا حادًا وأضراسا صلابا لتطحن بها الصلب من الحب
والنوى. ولما اقتضت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب
منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئا كثيرا يفي بغذاها
وإذا رجعت إلى أمائها تجعله بالأجزاء منها بما للشفيع. فعند ذلك تميز
طبيعتها لطيفه من قبيله فجعل التين اليابس لحما ودمًا. ومن العجب
القوة التي خلقها الله تعالى في أضراسها فإنها باللبل والنهار في الطحن
لا تنتر إلا قليلا فلو كانت من الحديد المذكور لا تخسفت وتفتت

ولتذكر بعض ما يتعلق بواجب واحد

زرقة. رأسها كراس الإبل وقرنها كقرن البقر وجلدها كجلد النمر وقوائمها كما للبعير وأظلافها كما للبقر. طويلة العنق جدا طويلة البدن قصيرة الأرجل وصورتها بالبعير أقرب وجلدها بالبقر أشبه ودنبا كدنب الطيامة. قالوا الزرقة متولدة من ناقة الحبشة والبقر الوحشية والضبعان وذلك أن الضبعان يولدان الحبشة بسفد الناقة فحي بولدين بين خلقه الناقة والضبعان. فإن كان ولد تلك الناقة ذكرا ولحق بالماهة أتت بالزرقة

وحكى طيماة الحكيم أن بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء بالصيف تجتمع حيوانات مختلفة الأنواع على مصانع الماء من شدة العطش قربها سافدت غير أنواعها فيولد منه مثل الزرقة والسبع والسيار وأماليها. والزرقة من المخلوق العجيب ليس عندها إلا ظرقة الصورة وغبابة الحاج

طباء اليأس. فإنها كطيامة يلدان إلا أن لها نابين معقنين خارجين من القم كالليلب. قربها أصطيدت واليأس في سرعها غير نضج تكون فيه زهوكة وسيله سبل الثمار إذا قطنت قبل إدراكها فإنها تكون ناقصة الطعم والرائحة. وأجود اليأس ما ألقاه الغزال وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى سرته فإذا استحك الدم فيها ونضج يحد من ذلك أذية وحكة في سرته فيفرغ حينئذ إلى صخر حادة فيحك فيها ملتدا بذلك فتتجر المادة حينئذ وتسيل على ذلك الحجر كأنه نجار

الخراج والدماكيل إذا نَفِجَتْ فَيَحْدُ الْغَزَالُ يُخْرُجُهَا لَذَّةً . وَالنَّاسُ
يَتَّبِعُونَ مَرَاعِيهَا فِي الْإِجْمَالِ فَيَحْدُونَ ذَلِكَ الْأَدَمَ قَدْ حَمَدَ عَلَى تِلْكَ
الضُّوْرِ فَيُكُونُهُ وَيَدْعُوهُ فِي نَوَاجِحِ مَعَهُ مُعَاةٍ لِذَلِكَ . فَذَلِكَ أَفْضَلُ
الْيَسْكِ تَسْعِيلُهُ مُلُوكُهُمْ وَبَهَادُونُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ

فصل في السباع وهي النوع الخامس

دُبٌّ . حَيَوَانٌ جَسِيمٌ يُحِبُّ الْعُرْلَةَ فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ يَدْخُلُ وَجَارَهُ
الَّذِي اتَّخَذَ فِي الْغَيْرَانِ وَلَا يُخْرُجُ حَتَّى يَطْلُبَ الْمَوَاةَ إِذَا جَاعَ يَبْصُ
يَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَذْفَعُ بِذَلِكَ جُوعَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ وَجَارِهِ فَصَلَ الرَّبِيعِ
أَتَمَّنَ مَا كَانَ . وَيُخَاصِمُهُ الْبَقَرُ فَإِذَا نَطَحَ الْبَقَرُ اسْتَلْقَى وَيَأْخُذُ يَدَيْهِ قَرْنَيْهِ
وَبَعْضُهُ عَضَاشِدِيدًا بَيْنَهُ

وَالذُّبَّةُ إِذَا وَلَدَتْ يَكُونُ وَلَدُهَا كَقِطْعَةِ لَحْمٍ تَخَافُ عَلَيْهَا مِنَ النَّمْلِ
فَتَسْتَفْلُهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ فَإِذَا صَلَبَ بَدَنُ الْوَلَدِ أَفْرَتُهُ فِي مَوْضِعٍ .
وَرُبَّمَا تَتْرُكُ أَوْلَادَهَا وَتَرْضَعُ وَلَدَ الصَّبُعِ . وَلِهَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ فَلَانٌ
أَحْمَقُ مِنْ جَهْدِ قَوِيٍّ الْآنَ نَتَى مِنَ الذُّبِّ

فصل في الطيور وهي النوع السادس

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْحَيَوَانِ مُخْتَصٌّ بِخِنَةِ الْبَدَنِ وَفَقْدِ أَعْضَاءَ كَثِيرَةٍ
وَجِدَتْ فِي غَيْرِهِ . وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهَا خَلَقَ الْحَيَوَانَ
وَجَعَلَ بَعْضَهَا عَدُوًّا لِبَعْضٍ أَعْطَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَّا قُوَّةً وَسِلَاحًا
يَذْفَعُ بِهَا عَدُوَّهُ كَمَا لِلدَّوَابِّ وَالسَّبَاعِ أَوْ آلَةً يَهْرُبُ بِهَا كَمَا لِلْوُحُوشِ
وَالطُّيُورِ . وَأَمَّا الْوُحُوشُ فَالْأَمَّا قُوَّاتُهَا وَالطُّيُورُ فَالْأَمَّا أَجْسَادُهَا .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الِآلَةَ اقْتَضَتْ خِفَةَ الْجَنَّةِ إِذْ لَوْ كَانَتْ الْجَنَّةُ كَثِيرَةً اقْتَضَتْ
كِبَرَ الْجَنَاحِ وَالْجَنَاحُ الْكَبِيرُ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ سُرْعَةُ الطَّيْرَانِ بَلْ يَكُونُ
طَيْرَانُهُ بَطِيئًا لَا يَزِيدُ عَلَى سُرْعَةِ الشَّيْءِ فَلَا يَحْصُلُ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ طَيْرَانُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَعَدَمُ سُقُوطِهِ وَالْهَوَاءُ أَخَفُّ
مِنْهُ وَهُوَ أَثْقَلُ مِنْهَا. فَلَمَّا اقْتَضَى هَذِهِ الِآلَةُ خِفَةَ الْجَنَّةِ نَقَصَ مِنْهَا أَعْضَاءَهُ
كَثِيرَةً تَوْجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنْ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَلِدُ وَتُرْضِعُ لَسَعَةً عَلَيْهَا
النُّهُوسُ وَتَسْهَلُ الطَّيْرَانُ كَالْأَسْنَانِ وَالْأَدَاكِبِ وَالْكُرْشِ وَالْمَلَأَنَةِ
وَحَرَزَاتِ الظُّهْرِ وَالْجِلْدِ الْخَفِينِ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ خِلْقَةَ الطَّيْرِ وَجَدْتَ نِسْبَةً
قُدَامِيَةً إِلَى أَسْفَلِيَةٍ كَنِسْبَةِ بَيْهِنِهِ إِلَى شِمَالِهِ فَإِنْ كَانَ طَوِيلَ الرِّقَبَةِ تَطَوَّلُ
أَيْضًا رِجْلَاهُ وَلَمَّا قَصُرَتْ رَقَبَتُهُ قَصُرَتْ رِجْلَاهُ. وَلَوْ تَنَبَّهْتُ دَنْبُ الطَّيْرِ
لَمَالَ إِلَى قُدَامٍ كَالسَّيْفِيَةِ الَّتِي خَفَتْ مُؤَخَّرَهَا. قَالَ الْجَاهِلُ كُلُّ طَائِرٍ
جَدِيدُ الْجَنَاحِ يَكُونُ ضَعِيفَ الرِّجْلَيْنِ كَالزَّرَارِيِّ وَالْعَصَافِيرِ وَإِذَا قُطِعَتْ
رِجْلَاهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الطَّيْرَانِ كَمَا إِذَا قُطِعَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ
عَلَى الْعَدْوِ. وَكُلُّ طَائِرٍ يَبْعُثُ الْمَاءَ بَرْقُ فَرْخِهِ. وَمِنَ الطُّيُورِ مَا أُعْطِيَ
الْعَجَبُ فِي لَوْنِهِ كَالطَّاوُوسِ وَالْبَيْغَا وَأَبْيَ بَرَأِشَ. وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي
حَلْنِهِ كَالنَّحَامِ. وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي حُمْرَتِهِ كَالْبَلَابِلِ وَالْقَنَابِيرِ. وَمِنْهَا مَا
أُعْطِيَ الْعَجَبُ فِي تَرْكِيبِ أَعْضَائِهِ كَاللَّنَائِي وَالْكُرْكِيِّ وَالنَّعَامِ. وَمِنْهَا مَا
أُعْطِيَ فِي صَنْعَتِهِ كَالْمُخْطَافِ وَالنُّنُوطِ وَالْقَنْبَرَةِ. وَسَدَّدَ كَرَّ بَعْضِهَا وَمَا
يَعْلَقُ بِهَا مِنْ الْعَجَبِ وَتَرْيِيبِ أَسْمَائِهَا عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ
بَلْبَلٌ. يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَةِ هَزَارُ دَسْتَانُ طَائِرٍ صَغِيرُ الْجَنَّةِ سَرِيعُ الْحَرَكَةِ

فَصَبَّحُ الْإِنْسَانُ كَثِيرُ الْأَحْمَانِ يَسْكُنُ الْبَسَاتِينَ وَلَهُ شَغَبٌ وَيُوجَدُ الْبَسَاتِينَ
الْوَرْدِ. يَقُولُونَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْوَرْدَ فَإِذَا رَأَى مَنْ يَقْطِنُهُ بِكَثْرَةِ صِيَاغِهِ
لَا يَصْبِرُ عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً لِنَرِطِ حَرَارَتِهِ وَلَا يَنْزَاجُ إِلَّا فِي الْبَسَاتِينَ
وَالرَّيْحُ تَعْصِفُ بِهِ مِنْ صَغِيرٍ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَتْ يَوْمَ الرِّيحِ لَمْ
يَخْرُجْ أَصْلًا

حُبَارِي. طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ جَرَزٌ قَالُوا مَا فِي الطُّبُورِ أَشَدُّ
بَلَامًا مِنْهَا لِأَنَّهَا تَذْكُ بِيضَهَا وَتَحْضُنُ بِيضَ غَيْرِهَا وَفِي الْمَثَلِ كُلُّ شَيْءٍ
يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الْحُبَارَى. وَإِذَا وَقَعَ ذَرْقُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطُّبُورِ يَعْمَلُ
عَمَلَ الدِّبْيِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ الْحُبَارَى سِلَاحُهُ سُلَاحُهُ. وَإِذَا فَصَدَّ
الْصَفَرُ لَا يَزَالُ يَلْعُو وَيَنْزِلُ مَعَ الصَّفَرِ حَتَّى يَجِدَ فُرْصَةً فَرَمَاهُ بِذَرْقِهِ يَتَقَى
الْصَفَرُ مُقْبِدًا مِثْلَ الْمَكْنُوفِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجْنِيعُ عَلَيْهِ الْحُبَارَى بَاتٍ وَتَتَنَفَّسُ
رِيَشَهُ وَفِي ذَلِكَ هَلَاكُ الصَّفَرِ. وَالْحُبَارَى إِذَا تَحَسَّرَ وَتَحَسَّرَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ
الطُّبُورِ فَيَنْبُتُ رِيشُ صَاحِبِهِ قَبْلَهُ فَيَبُوتُ كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ مَاتَ
كَمَا الْحُبَارَى

خُطَافٌ. طَائِرٌ لَا يَزَالُ يَنْتَقِلُ مِنَ الصُّرُودِ إِلَى الْجُرُومِ وَيَتَّبِعُ الرِّيحَ.
إِذَا عَرَفَ اسْتِقْبَالَ الصَّبَفِ يَأْخُذُ فِرَاحَهُ وَيَبْشِي بِهَا إِلَى الْوَكْرِ الَّذِي بِهِ
تَرَكَّهُ فِي الْيَلَادِ الْأَخِيرِ وَلَا يَبْقَى مِنْهَا وَاحِدٌ إِلَّا رَجَعَ إِلَى وَكْرِ الْقَدِيمِ.
وَيَخُذُ الْوَكْرَ مِنَ الطَّيْنِ الْخُلُوطِ بِالشَّعْرِ لِيَبْقَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَيَقْوَى
كَطِينِ الْحِكْمَةِ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُهُ وَيَذْكُرُهُ حَتَّى يَحْفَ
فَئِمَّ يَعْمَلُ الْبَعْضُ الْآخَرَ. فَلَوْ عَمِلَهُ كُلُّهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَتَنَاقَلَ وَسَنَطَ

وَإِذَا ارَادَ اتِّخَاذَ الْوَكْرِ عَاوَنَتْهُ الْمُخَطَّاطِيْفُ فَإِذَا فَرَعَتْ تَأْتِي بِالْمَاءِ فِي
أَفْوَاهِهَا وَتُسَوِّي بِهِ بَاطِنَ الْوَكْرِ وَتُهْلِسُهُ وَتَزِيلُ خُشُونَتَهُ . وَتَضَعُ
السَّدَابَ فِي أَوْكَارِهَا لِتَدْفَعَ الْحَبَاتِ وَالذُّبَابَ وَالْبُعُوضَ . وَمِنْ الْمَشْهُورِ
أَنْ عَشَّ الْمُخَطَّاطِيْفُ بِحُلٍّ فِي الْمَاءِ وَبَسَنِي صَاحِبَةُ الطَّلَقِ فَتَضَعُ بِسُهُولَةٍ
خُفَّاسٌ . طَائِرٌ مَشْهُورٌ ضَوْفُ بَصْرِ ضَعِيفٌ يَسْتُرُهُ شَعَاعُ الشَّمْسِ
لَا يَخْرُجُ إِلَّا بَيْنَ الظَّلَامِ وَالضُّبَاءِ . شَبِيهُ بِالْقَارِ جَنَاحُهُ جِلْدٌ رَفِيقَةٌ وَلَهُ
أَسْنَانٌ وَالْأُنثَى لَهَا نَذْبَةٌ كَمَا لِلْقَارِ نُرْضَعُ أَوْلَادُهَا تَصِيدُ الذُّبَابَ
وَالْبَقَّ وَأَمْثَالَهَا . وَرُبَّمَا تَأْخُذُ وَلَدَهَا فِي فَمِهَا وَتَطِيرُ وَتُرْضَعُ وَلَدَهَا .
وَتَأْكُلُ الرُّمَانَ عَلَى الشَّجَرَةِ وَتَتْرُكُهَا فِشْرًا مَجُوفًا . وَتَهْرُبُ عَنْ وَرَقِ
الدُّلْبِ إِذَا نَزَلَ فِي مَكَانِهَا وَإِذَا عَلِقَتْ خُفَّاسَةٌ فِي شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ جَاوَزَ
الْجَرَادُ عَنْهَا

غَوَاصٌّ . طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْقَارِ سَيِّئَةٌ مَا هِيَ خَوَارٌ . يُوجَدُ بِالْبَصْرِ عَلَى
طَرَفِ الْأَنْهَارِ يَغُوصُ فِي الْمَاءِ مَعْكُوسًا يَقُوقُهُ شِدِيدُهُ وَهَلَبَتْ تَحْتَ
الْمَاءِ وَالْمَاءُ لَا يُعْلِيهِ مَعَ خِفَةِ بَدَنِهِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ رَأَيْتُ غَوَاصًا غَاصَ
وَطَلَعَ بِسِمَكَةٍ فَغَلَبَهُ الْغُرَابُ وَأَخَذَ السِّمَكَةَ مِنْهُ فَغَاصَ مَرَّةً أُخْرَى وَطَلَعَ
بِسِمَكَةٍ أُخْرَى وَقَرَّبَهَا مِنَ الْغُرَابِ وَاشْتَغَلَ الْغُرَابُ بِأَخْذِهَا فَوُتِبَ
الْغَوَاصُّ وَأَخَذَ بِرِجْلِ الْغُرَابِ وَغَاصَ بِهِ وَوَقَفَ تَحْتَ الْمَاءِ حَتَّى اخْتَنَقَ
الْغُرَابُ وَخَرَجَ الْغَوَاصُّ سَالِمًا .

قَطَا . طَائِرٌ مَعْرُوفٌ سَيِّئٌ بِصَوْتِهِ يُقَالُ فُلَانٌ أَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا .
يَقِضُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيَغِيبُ عَنْهَا أَبَا مَا وَتَعُودُ إِلَيْهَا يُقَالُ فُلَانٌ أَهْدَى مِنْ

الْقَطَا وَلَا يَتَأَمُّ الْبِلَاحِي وَيَأْتِي الْجَلَادَةُ لِيَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَارِّ بَيْنَ خَبَرٍ وَآلِهِ
أَفْخُوصَةٌ عَجِيبَةٌ فِي وَسْطِ الْحَشِيشِ مِثْلَ بِهَا الْقَائِلُ مِنْ بَنِي اللَّهِ مُسْجِدًا وَلَوْ
مِثْلَ مَلْجَأِ قِطَافِ بَنِي اللَّهِ لَهُ يَتَنَا فِي الْحَجَةِ

فصل في الهوام والحشرات وفي النوع السابع

هَذَا النَّوعُ لَا يُدْرِكُ ضَبْطُ أَوْصَافِهِ وَأَصْنَافِهِ لِكَثْرَتِهَا . قَالَ بَعْضُ
الْمُفَسِّرِينَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ تَحْقِيقَ قَوْلِ مَنْ قَالَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
فَلْيُوقِدْ نَارًا فِي وَسْطِ غَيْضَةٍ بِاللَّيْلِ ثُمَّ لِيَنْظُرَ مَا يَغْشَى تِلْكَ النَّارَ مِنَ
الْحَشَرَاتِ فَإِنَّهُ يَرَى صُورًا عَجِيبَةً وَأَشْكَالًا غَرِيبَةً لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى خَلَقَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْخُلُقَ الَّذِي يَغْشَى نَارَهُ بِخِلَافِ
بِاخْتِلَافِ مَوَاضِعِ الْغِيَاضِ وَانْجِبَالِ السُّهُولِ وَالْبَرَارِيِّ . فَإِنَّ فِي كُلِّ
بُقْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبُقَاعِ الْوَثَاكِ مِنَ الْخُلُوفَاتِ مُخَالَفَةً لَهَا فِي الْبَنَةِ الْآخَرَةِ .
وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَسْبَغُ فَائِدَةٍ فِي هَذِهِ الْهُوَامِ مَعَ كَثَرَةِ ضَرَرِهَا وَلَمْ
يَذَرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بُرَاعِي الْمَصَالِحِ الْكَلِمَةِ كَمَا رَسَالِ الْمَطَرِ فَإِنَّ فِيهِ مَصَالِحَ
الْإِلَادِ وَالْعِبَادِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ خَرَابٌ ثَبَتَ الْعَجُوزُ

فَهَكَذَا خُلِقَ هَذِهِ الْحَشَرَاتُ مِنَ الْمَوَادِّ الْعَالِيَةِ وَالْعُنُونَاتِ الْكَائِنَةِ لَتَصْنُفُ
أَمْوَالَهُ مِنْهَا وَلَا يَعْرِضَ لَهَا الْقَسَادُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْوَبَاءِ وَهَلَاكِ الْحَيَوَانِ
وَالنَّبَاتِ وَإِنْ كَانَ يَتَضَمَّنُ لَسَعَ الْبَقَرِ . وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَا نَرَى
الذُّبَابَ وَالذُّرْيَدَانَ وَالْحَنَافِيسَ فِي دُكَّانِ الْقَصَابِ وَالذَّبَّاسِ أَكْثَرًا مِمَّا نَرَى

(١) ان الحشرات لم تكن عن المواد العالسة العنيفة بل عن زرعها الخاص بها فوالحالة
هذه تتنسل نظير كل حيوان على ما علمته العلوم الصحيحة المنبئة على الاصول الصادقة

فِي دُكَّانِ الْبَرَارِ وَالْمُحَادِدِ. فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ صَرْفَ الْعُنُونَاتِ
إِلَيْهَا لِتَصْنُفَ الْهَوَاءَ مِنْهَا وَتَسْلِمَ مِنَ الْوَبَاءِ. ثُمَّ جَعَلَ صِغَارَهَا مَا كُنَّ لَا
لِكِبَارِهَا وَلَا أَمْتًا لِوَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهَا. فَلَيْسَ فِي مَلَكُوتِهِ دَرَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا
مِنْ الْحِكْمِ مَا لَا يَحْصَى. وَاعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنْ كُلَّ مَا جُعِلَ سَبَبًا لِهَلَاكِ
حَيَوَانٍ جُعِلَ لِحِمِّهِ سَبَبًا لِدَفْعِ ذَلِكَ السَّمِّ. فَإِنَّ الْأَطِبَّاءَ الْأَقْدَمِينَ
وَجَدُوا فِي لَحْمِ الْحَبَّةِ قُوَّةَ مُقَاوَمِ سَمِّهَا فَأَدْخَلُوا لَحْمَهَا فِي الزَّرِّيَاقِ
وَالْتَجَرِبَةُ تَشْهَدُ أَنَّ مَنْ لَسَعَتْهُ الْعُقْرَبُ يُلْطِخُ الْمَوْضِعَ بِرُطُوبَةِ الْعُقْرَبِ
يُسَكِّنُ أَلَمَهَا فِي الْحَالِ

ثُمَّ لَمْ يَكُنْ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْحَيَوَانِ يَخْتَلِفُ حَالُهَا عِنْدَ الشِّتَاءِ. فَمِنْهَا مَا
يَمُوتُ مِنْ بَرْدِ الْهَوَاءِ كَالدُّبِّ وَالْبَقِ وَالْبَرَاغِيثِ. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي
الشِّتَاءِ وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا كَالنَّحَابِ وَالْعُقَارِبِ. وَمِنْهَا مَا يَذْخَرُ مَا يَكْفِيهَا
لِشِتَائِهَا كَالنَّحْلِ فَإِنَّهَا لَا تَعِيشُ إِلَّا طَعْمًا. وَلْتَذَكَّرْ بَعْضَهَا مَرْتَبًا عَلَى حُرُوفِ
الْمُعْجَمِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

بُرْغُوثٌ. هُوَ أَسْوَدُ أَحَدَبُ ضَامِرٌ إِذَا وَقَعَ نَظَرُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ أَحَسَّ
بِهِ فَيَسْبُتُ تَارَةً إِلَى الْيَسِينِ وَتَارَةً إِلَى الَّتَالِ حَتَّى يَغِيبَ عَنْ نَظَرِ
الْإِنْسَانِ. قَالَ الْمُجَاحِظُ لَهَا تَيْضٌ وَتَفْرِخٌ. قَالُوا عَمْدٌ خَمْسَةُ أَيَّامٍ.
وَعَمُوا أَنَّ الْبَرَاغِيثَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي يُعْرِضُ لَهُ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ بَقَا كَمَا
يُعْرِضُ لِلدَّعَايِصِ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ فَرَّاشًا. وَزَعَمُوا أَنَّ الْبُرْغُوثَ يَأْكُلُ
الْقَبْلَ الَّذِي فِي الثِّيَابِ وَيَمُوتُ مِنْ رَائِحَةِ وَرَقِ الذِّفْلِ
بَعْضٌ. هُوَ حَيَوَانٌ فِي غَايَةِ الصِّغَرِ عَلَى صُورَةِ الْفِيلِ وَكُلُّ غُضْرِ خَلْقٍ

لِلنَّيْلِ فَلِلبَّعُوضِ مِثْلُهُ مَعَ رِيَادَةِ جَنَاحَيْهِ. فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ لَهُ الْأَعْضَاءَ
الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ وَالْقُوَى كَذَلِكَ كَمَا لِلْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ. أَنْظِرْ إِلَى صِغَرِ
جَسَدِهِ فَإِنَّ الطَّرْفَ بِالشَّيْءِ يُذِرْكُهُ لِصِغَرِهِ. ثُمَّ إِلَى رَأْسِهِ فَإِنَّ رَأْسَهُ كَمَا
يَكُونُ مِنْ جَسَدِهِ وَفِيهِ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ وَالسَّامِعَةُ. ثُمَّ إِلَى دِمَاعِهِ وَأَنْظِرْ كَمَا
يَكُونُ دِمَاعُهُ مِنْ رَأْسِهِ فَإِنَّ فِيهِ الْقُوَى الْبَاطِنَةَ الْخَمْسَ. فِيهَا الْخَمْسُ
الْمَشْرُوكُ لِأَنَّهَا تَرَى الْحَيَوَانَ تَمِشِي إِلَيْهِ. وَفِيهَا الْخَيَالُ لِأَنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ
عَلَى الْحَيَوَانِ تَغْمِسُ خُرْطُومَهَا وَإِذَا وَقَعَتْ عَلَى الْحَائِطِ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ.
وَفِيهَا الْقُوَى لِأَنَّهَا تَفَرِّقُ بَيْنَ مَنْ يَقْصِدُهَا فَتَهْرُبُ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَقْصِدُهَا
فَتَبْقَى. وَفِيهَا الْحَافِظَةُ لِأَنَّهَا إِذَا اجْتَذَبَتْ الدَّمَّ تَهْرُبُ فِي الْحَالِ لِعَلِّهَا
يَأْتِيهَا أَوْجَعَتْ فَتَأْتِيهَا صَدْمَةُ الْمَنَاءِ لَمْ. وَفِيهَا الْمَتَفَكِّرَةُ لِأَنَّهَا إِذَا أَحْسَنَتْ
مَحَرَكَةَ يَدِ الْإِنْسَانِ تَهْرُبُ لِعَلِّهَا أَتَتْهَا مُهْلِكَةٌ وَإِذَا سَكَنَ يَدَهُ عَادَتْ إِلَى
مَكَانِهَا لِعَلِّهَا أَنَّ الْمَنَاءَ فِي دَهَبٍ وَأَنَّ مَحَلَّ الْغِذَاءِ خَلَا. وَلَمَّا خُرْطُومُ
أَدَقُّ نَحْيِهِ يُبَيِّنُ أَنَّ يُقَالُ وَمَعَ دِقَّتِهِ جُوفٌ حَتَّى يَجْرِي فِيهِ الدَّمُّ الرَّفِيقُ
وَخُلِقَ فِي رَأْسِ ذَلِكَ أَنْخُرْطُومُ قُوَّةً تَضْرِبُ بِهَا جِلْدَ النَّيْلِ وَالْجَامُوسِ
تَنْفِذُهُ فِيهَا وَالنَّيْلِ وَالْجَامُوسِ يَهْرَبَانِ مِنَ الْبَعُوضِ فِي الْهَلَاكِ

دُودُ الْقَرَى. دُورِيَّةٌ إِذَا شَبِعَتْ مِنَ الْمَرْعَى طَلَبَتْ مَوَاضِعَهَا مِنْ
الْأَشْجَارِ وَالشُّوكِ وَمَدَّتْ مِنْ لُعَابِهَا خُيُوطًا دِقَاقًا وَنَجَّتْ عَلَى نَفْسِهَا كُبَّةً

(١) قد قسم القزويني القوى الباطنة في الحيوان الى قسمين الى متحركة والى عقلية
فنسب المتحركة الى الحيوان الحصى وقد نشأت عن ميله الفريزي. اما العقلية فقد اخصها
بالحيوان الباطني وهو الانسان لا غير

يُنْزِلُ كَيْسٍ لِيَكُونَ سِرْبًا لَهَا مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالْأَنْطَارِ وَنَامَتْ
إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ بِإِلْهَامِ اللَّهِ تَعَالَى

وَأَمَّا كَيْفَةُ أَفْتِنَانِهَا فَمِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا وَهِيَ أَنَّهُمْ أَوَّلَ الرَّبِيعِ
يَأْخُذُونَ الْبَزْدَ وَيَشْدُونَهُ فِي خِرْقَةٍ وَيَحْمِلُ تَحْتَ نَدْيِ أَمْرَأَةٍ لِيَصِلَ
إِلَيْهِ حَرَارَةُ الْبَدَنِ إِلَى أَسْبُوعٍ . ثُمَّ يَنْتَرِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَرَقِ الثَّوْبِ
الْمَقْصُوصِ بِالْمِقْرَاضِ فَيَجْرُكُ الدَّوْدُ وَتَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَرَقِ ثُمَّ
لَا تَأْكُلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النَّوْمَةِ الْأُولَى . ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْأَكْلِ
فَتَأْكُلُ أَسْبُوعًا ثُمَّ تَتْرِكُ الْأَكْلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النَّوْمَةِ
الثَّانِيَةِ . وَهَكَذَا فِي الرِّمَجِ الْأُخْرَى وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النَّوْمَةِ الثَّالِثَةِ . وَبَعْدَ
النَّوْمَاتِ يُطْلَقُ لَهَا مِنَ الْعَلْفِ لِيَتَأْكَلَ كَثِيرًا وَتَشْرَعُ فِي عَمَلِ الْفَلِجَةِ .
فَيُطَهِّرُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْءٌ مِثْلُ نَعَجِ الْعَنْكَبُوتِ وَيَزْدَادُ شَيْئًا
فَشِيئًا فَإِذَا مَطَرَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَطَرٌ يُدْنِي الْفَلِجَةَ بِرُطُوبَةِ الدَّوَاوِقِ
وَتَنْقَبُهَا الدَّوْدَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهَا وَقَدْ نَبَتَ لَهَا جَنَاحَانِ فَيُطِيرُ وَلَا يَحْصُلُ
شَيْءٌ مِنَ الْإِبْرِيشِمِ . وَإِذَا فَرَعَتِ الدَّوْدَةُ مِنَ الْفَلِجَةِ عَرِضَتْ عَلَى الشَّمْسِ
لِيَتَبَوَّأَ الدَّوْدَةُ فِيهَا وَيَحْصُلَ مِنَ الْفَلِجَةِ الْإِبْرِيشِمُ . وَيَتْرِكُ بَعْضُ
الْفَلِجَاتِ لِيَتَقَبَّأَ الدَّوْدُ وَتَخْرُجَ وَتَبْيَضَ وَيَضُّهَا بِخَفْظٍ لِلْسَّنَةِ الْآتِيَةِ فِي
ظَرْفِ نَفْسٍ مِنَ الْخَرْفِ أَوْ الرَّجَاجِ . وَالْثِيَابُ الْإِبْرِيشِمِيَّةُ تَنْتَفِعُ مِنَ الْحِكْمَةِ
وَالْجَرَبِ وَلَا يَتَوَلَّدُ فِيهَا الْقَمَلُ

عَنْكَبُوتٌ . أَصْنَافُهُ كَثِيرَةٌ لِكُلِّ صِنْفٍ فِعْلٌ عَجِيبٌ مِنْهَا الطَّوِيلُ لِي
الْأَرَجْلِ فَإِنَّهَا لَهَا عَرَفَتُ ضَعْفَ قَوَائِمِهَا وَأَنَّهَا تَعِزُّ عَنِ الصِّيدِ أَعْدَاءُ

لِلصَّيْدِ مَصَابِدَ وَحَبَائِلَ مِنَ الْحَبُوطِ فَعَمِدَتْ إِلَى فُرْجَةٍ بَيْنَ حَائِطَيْنِ
مُتَقَارِبَيْنِ . وَبَلَّغْنِي لُعَابَهُ الَّذِي هُوَ خِطُّهُ إِلَى جَانِبٍ لِيَلْصِقَ بِهِ ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وَهَكَذَا ثَانِيًا وَثَالِثًا وَهَذَا هُوَ السَّدَى . ثُمَّ يُجْكِمُ
لَحْمَهُ حَتَّى يُنْمَ النَّسَجُ وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَنَاسُبِ هَنْدَقِي حَتَّى يَصِحَّ النَّسَجُ .
ثُمَّ يَقْعُدُ فِي زَاوِيَةِ مَرَصِدًا وَقُوعَ الصَّيْدِ فَإِذَا وَقَعَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الدُّبَابِ
أَوْ الْبَقِ يَأْذَرُ إِلَى أَخِيهِ

وَمِنْهَا صِنْفٌ آخَرٌ قَصِيرُ الْأَرْجُلِ يُسَمَّى الْقَهْدُ فَإِنَّهُ يَصِيدُ الدُّبَابَ عَلَى
شِبْهِ صَيْدِ الْقَهْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَتَمَكَّنُ فِي زَاوِيَةٍ فَإِذَا طَارَتْ ذُبَابَةٌ يَقْرُبُهُ
وَقَبَّ إِلَيْهَا . وَرَبَّمَا مَدَّ خَيْطًا مِنَ السَّفْفِ وَعَلَّقَ نَفْسَهُ فِيهِ مُتَّكِمًا فَإِذَا
طَارَ ذُبَابٌ يَقْرُبُهُ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ وَآخَذَهُ . وَمِنْهَا صِنْفٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ
الْأَلَيْثُ وَهُوَ سِتٌّ عُمُورٍ فَإِذَا رَأَى الدُّبَابَ لَطَى إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ وَقَبَّ فَلَمْ
يُخْطِ وَتَبَتَهُ وَهُوَ آفَةُ الدُّبَابِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ الرُّبَيْلَا إِذَا مَشَى عَلَى
الْإِنْسَانِ يَمُوتُ الْإِنْسَانُ مِنْ لُعَابِهِ . وَيُسَمَّى عُقْرَبُ الثَّعْبَانِ لِأَنَّهُ يَقْتُلُ
الثَّعْبَانَ . وَمِنْهَا صِنْفٌ دَقِيقُ الصَّنْعَةِ يَهْبِي نَسْجَةً وَيَصْعَدُ يَتَنَّهُ فَإِذَا وَقَعَتْ
فِي مَصِيدَتِهِ ذُبَابَةٌ تَضْطَرِبُ فِيهَا قَبْضِي إِلَيْهَا وَيَبْصُ رُطُوبَتَهَا
وَالدُّبَابَةُ تَطْنُ مِنَ الْأَلَمِ إِلَى أَنْ تَمُوتَ وَيَحْمِلُهَا إِلَى خِزَانَتِهِ لِلدَّخِيرَةِ
وَكَثَرَمَا يَقَعُ فِي مَصِيدَتِهِ عِنْدَ غَيْبَةِ الشَّمْسِ

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَنَاقِبَ الْإِنَانَتِ هِيَ الْعَوَائِلُ وَالذُّكُورَ خُرَقُ
تَعْمَلُ شَيْئًا . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ السَّدَى مِنَ الْإِنَانَتِ وَاللَّحْمَةَ مِنَ
الْخُرَقِ لِأَنَّ اللَّحْمَةَ أَقْوَى مِنَ السَّدَى وَهِيَ كَالشَّرِيبِكَيْنِ فِي الْعَمَلِ أَوْ

كَالْأَسَاذِ مَعَ اللَّيْلِ

فَرَأَى هُوَ الْحَيَوَانُ الَّذِي يَهَافُ عَلَى السِّرَاجِ وَتَحْنَرُ ذَكَرَ خَفِيفَةً
الْمَرْقَدِ فِي صَاحِبِ الْمَعْتَصِدِ أَنَّهُ كَثُرَ الْفَرَاشُ عَلَى الشَّمْعِ بِحَضْرَةِ
الْمَعْتَصِدِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَجَمَعْنَاهَا فَكَانَتْ مَكُونًا ثُمَّ مِزَّ فَكَانَ أَثْنَيْنِ
وَسَعِينَ شَكْلًا. زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْفَرَاشَ دُعُوصٌ نَبَتَ جَنَاحُهَا.
وَسَبَبُ وَقُوعِهَا عَلَى النَّارِ مَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِذَا رَأَى السِّرَاجَ بِاللَّيْلِ
نَظَنُّ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَلَئِنْ السِّرَاجَ كَوْنَهُ مِنَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ إِلَى الْمَكَانِ
الْمُضِيِّ فَلَا تَزَالُ تَطْلُبُ الضُّوءَ وَتَرِي نَفْسَهَا فِيهَا إِلَى أَنْ تَحْنَرُ

فَحُلُّ حَيَوَانٌ ذُو هَيْئَةٍ لَطِيفَةٍ وَخَلْقُهُ ظَرِيفَةٌ وَبَنِيَّةٌ نَجِيفَةٌ وَسَطٌ بَدَنُهُ
مَرَبَعٌ مُكَعَّبٌ وَرَأْسُهُ مَدَوَّرٌ مَبْسُوطٌ وَمُؤَخَّرٌ مَخْرُوطٌ وَرُكْبَتَانِ فِي وَسْطِ
بَدَنِهِ أَرْبَعَةُ أَرْجُلٍ وَبَدَنَانِ مُتَنَاسِبَتَانِ الْمَقَادِيرِ كَأَضْلَاعِ الشَّكْلِ الْمُسَدَّسِ
وَقَدْ جُعِلَ فِيهَا مُلْكٌ وَتَوَارَثَ الْمُلْكُ أَوْلَادُهَا عَنْ آبَائِهَا. فَإِنَّ
الْبَعَاسِيْبَ لَا تَلِدُ إِلَّا الْبَعَاسِيْبَ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الْبَعُوبَ لَا يَخْرُجُ مِنْ
الْكُورِ لِأَنَّهُ إِنْ خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ الْخَلْقِ فَيَنْفُ الْعَمَلُ وَإِنْ هَلَكَ
الْبَعُوبُ وَقَفَتِ الْخَلْقُ لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فَتَهْلِكُ عَاجِلًا. وَالْبَعُوبُ تَكُونُ
جُنَّةً كَجُنَّةِ تَحْلِيَيْنٍ وَهُوَ يَزْعُ الْعَمَلُ عَلَى الْخَلْقِ حَتَّى تَرَى بَعْضَهَا يَهْدُ
الْأَسَاسَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ اللَّيْلَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْعَسَلَ. وَمَنْ لَا يَحْسِنُ
الْعَمَلَ لَا يَجْلِيهَا فِي وَسْطِ الْخَلْقِ بَلْ يُخْرِجُهَا وَيَنْصُبُ بَوَابًا عَلَى بَابِ الْخَلْقِ
لِيَلَّا يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَنْ وَقَعَ عَلَى التَّجَاسَاتِ فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى
التَّجَاسَاتِ مَتَّحًا الدَّخُولَ

وَأَتَّخَذُ يَوْمَ مُسَدَّسَةً مِنْ أَجْبِ الْأَشْيَاءِ وَالْفَرْضُ مِنَ الْمُسَدَّسَاتِ
الْمَسَاوِيَّاتِ الْأَضْلَاعِ لِحَاصِيَةِ يَنْصُرُ فَمِ الْمُهَنْدِسِ عَنْ إِذْرَاكِهَا
لَا تُوجَدُ تِلْكَ الْحَاصِيَةُ فِي الْمُرَبَّعِ وَلَا فِي الْخُمْسِ وَلَا فِي الْمُسْتَدِيرِ .
وَهِيَ أَنْ أَوْسَعَ الْأَشْكَالِ وَأَجُودَهَا الْمُسْتَدِيرُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَمَّا الْمُرَبَّعُ
فَيَخْرُجُ مِنْهُ زَوَايَا ضَائِعَةٌ وَشَكْلُ الْخَلِّ مُسْتَدِيرٌ مُسْتَطِيلٌ فَتَرَكَ الْمُرَبَّعَ
حَتَّى لَا تَضِيعَ الزَّوَايَا قَبْلَ خَالِيَةٍ وَلَوْ بَنَاهَا مُسْتَدِيرَةٌ لَبَقِيَ خَارِجَ الْبُيُوتِ
فَرَجَّ ضَائِعَةٌ فَإِنَّ الْأَشْكَالَ الْمُسْتَدِيرَةَ إِذَا جُمِعَتْ لَا تَجْنِيعُ مَتْرَاصَةً وَلَا
شَكْلَ فِي الْأَشْكَالِ ذَوَاتِ الزَّوَايَا يَقْرُبُ فِي الْأَحْيَاءِ مِنَ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ
يَتَرَاوُ الْجَمْلَةُ مِنْهُ يَحْتِكُ لَا يَبْقَى بَعْدَ أَجْنَاعِهَا فَرَجَّةٌ إِلَّا الْمُسَدَّسُ
فَانْظُرْ كَيْفَ أَلْهَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ

وَتَعْمَلُ فَصْلَيْنِ فِي الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ فَتَجْمَعُ بِأَلْيَدَيْهِ وَالْأَرْجُلِ مِنْ
وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَزَهْرِ الْقِمَارِ الرُّطُوبَاتِ الدُّهْنِيَةِ الَّتِي تَبْقَى فِيهَا مَنَارِلُهَا
وَمَا مِشْفَرَانِ حَادَانِ تَجْمَعُ فِيهَا مِنْ ثَمَرَةِ الْأَشْجَارِ رُطُوبَاتِ لَطِيفَةٍ
عَجَزَتْ عَنْوَلُ الْأَكْثَرِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهَا عَلَى طَبَائِعِ . وَخُلِقَ فِي جَوْفِهَا
قُوَّةٌ عَاطِيَةٌ تُصَيِّرُ تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ عَسَلًا حُلَا لَذِيذًا غَدَاةً لَهَا وَلِأَوْلَادِهَا
وَمَا فَضَلَ عَنْ غَدَاةِهَا تَجْعَلُهُ حَمْرُونًا فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ وَتُعْطِي رَأْسَهَا
يَغْطَاهَا رَفِيقِي مِنَ الثَّمَعِ حَتَّى يَكُونَ الثَّمَعُ مُحِيطًا بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْجَوَائِبِ
كَأَنَّهُمَا رَأْسُ الْبَرَانِيِّ مُسَدُّودَةٌ بِالْقَرَّاطِيسِ وَتَدْخُرُ ذَلِكَ لِأَجْلِ الشِّتَاءِ
وَتَبْيَضُ فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ وَتَحْضُنُ وَتَنْرُخُ وَتَأْوِي إِلَى بَعْضِ الْبُيُوتِ
وَتَتَنَامُ فِيهَا أَيَّامَ الشِّتَاءِ وَيَوْمَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ وَالْأَمْطَارِ وَتَتَفَوَّتُ مِنْ ذَلِكَ

الْعَسَلِ الْخَزُونِ فِي وَأَوْلَادُهَا لَا إِسْرَافًا وَلَا تَقْتِيرًا إِلَى أَنْ تَأْتِيَ أَبَاطِمُ
الرَّبِيعِ وَتَخْرُجَ الْأَزْهَارُ وَالْأَنْوَارُ فَتَرَعَى كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي
وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبُهَا بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِنْ عَجَائِبِ النَّحْلِ أَنَّهُ إِذَا
عَرَفَتْ أَخَذَ الْعَسَلُ وَأَحْسَتْ بِالدُّخَانِ جَعَلَتْ تَأْكُلُ مِنْهُ أَكْلًا ذَرِيعًا
حَتَّى بَعْضُهُمْ أَنَّ خَلِيَّةً مِنْ خَلَايَا الْعَسَلِ مَرَضَ نَحَلَهَا فَجَاءَ نَحْلُ خَلِيَّةِ
أُخْرَى يُقَاتِلُهَا عَلَى الْعَسَلِ الَّذِي فِي يَدَيْهَا يُرِيدُ إِخْرَاجَهَا مِنَ الْخَلِيَّةِ
لِيَسْتَوِيَّ عَلَى عَسَلِهَا فَأَقْبَلَ قَيْمُ الْأَحْلَايَا يُعَاوَنُ النَّحْلَ الضَّعِيفَ الْمَرِيضَ
وَكَانَ يَلْسَعُهُ النَّحْلُ الْغَرِيبُ دُونَ الْمَرِيضِ كَأَنَّهُمَا عَرَفَتْ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْهَا.
وَأَمَّا الْعَسَلُ فَدَعَا أَنْ الْأَيْضَ عَمَلُ شَبَابِهَا وَأَلْصَقَ عَمَلُ كِبَرِهَا
وَالْأَحْمَرُ عَمَلُ شِبَابِهَا



من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
للقرشي

فهرس

وحه

من كتاب العدم ودينوان المتذلة في ايام العرب والبربر ومن عاصريهم من ذوي السلطان
الاكبر لعبد الرحمان بن خلدون المحضري

المتقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبهم والاملاء بما يعرض للورخين من المعالط
الاولهام وذكر شي من اسماها

٣

من كتاب نفع الطيب من غصن الاملس الرطيب تأليف العلامة المغربي

١٥

في وصف الاملس

في القاء الاملس للسجين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن

٢٦

ياد

من كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لاني

الامام

المقالة الاولى وهي ستة فصول

٣٠

الفصل الاول . في خواص مصر العامة لها

٣٤

الفصل الثاني . فيما يخص يوم من الليات

٣٧

الفصل الثالث . فيما يخص يوم من الحيوان

٤٠

الفصل الرابع . في اقتصاص ما شوهد من اثارها القدسية

٥٥

الفصل الخامس . فيما شوهد بها من غرائب الالية والسفن

المقالة الثانية

٥٧

الليل وكيفية زيادته واعطاه ظل ذلك وقوايسه

من تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسرار لاسعد الله محمد بن محمد بن عبد الله

٦٢

محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف باسم بطوطه

٧٠

حكاية خصيص

٧٦

حكاية الي يعقوب يوسف

من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموحودات للشيخ الامام محمد بن محمد القزويني

٨٧

ظرف في الكائنات وهي الاحسام المتولدة من الامهات

٨٨

النظر الاول . في المعدييات

النظر الثاني . في النبات
 القسم الاول . الشجر
 القسم الثاني من النبات . النجوم
 النظر الثالث . في الحيوان
 النوع الاول . الانسان
 النظر في القوى
 القوى الظاهرة وهي الحواس الخمس
 فصل في الدواب
 فصل في النعم
 فصل في السباع
 فصل في الطيور
 فصل في الهوام والمخدرات



| | |
|---------|---------------|
| ٢ ٥ ٢ ٥ | لا غنى عن هذا |
| ٢٥ | فن نمبر |
| ٢٥٨ | كتاب نمبر |

